سلسلة حياة الرسول وأهل بيته (ع)

سيرة المرتضى (ع)

بأسلوب قصصي ميسّر

علي

محمد رضا عباس محمد الدباغ

دار المحجة البيضاء




سيرة المرتضى (ع)


بسم الله الرحمن الرحيم

سلسلة حياة الرسول وأهل بيته (ع)



محمد رضا عباس الدباغ

دار المحجة البيضاء

الطبعة الأولى

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م



حارة حريك - شارع الشيخ راغب حرب - قرب نادي السلطان

ص.ب: ٥٤٧٩ / ١٤ - هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧

E-mail:almahajja@terra.net.lb

www.daralmahaja.com

info@daralmahaja.com

الاهـــداء

إلى من كانوا ومازالوا كقلبي أو كروحي
إلى من أنسوني كل همومي وجروحي
إلى من خيرَهُمُ يبقى نعيمي وطموحي
إلى من أعطانهم ربي شموخاً لصروحي

إلى من أدعو لهم ربّي خيراً ودواماً
إلى من أرجو لهم ذاك نعيماً وسلاماً
إلى من هم قرةَ العينِ قعوداً أو قياماً
إلى من إن عضني في عيشتي كلب الزمانا

كانوا عكازي لعودي كانوا حمالي وعوني
إلى أبنائي أعزائي أهدي كل حبي
إلى من هم نور عيني بل هم نوراً لدربي
إلى (مهند وسجاد وأبا الطاهر وأبا الحسن)

أهدي كتابي . . . .

لفت نظر

وأنا في بيروت، وبينما كنت منهمكاً بكتابة كتابي هذا، وإذا بصديق يزورني في محل إقامتي. فتناول وريقات فيها بعض ما كتبت، فثار انتباهه أني كنت قد كتبت في محاورتي مع الأبناء: الإبن الأكبر والإبن الأوسط. فسألني قائلاً: ذكرك الإبن الأكبر والإبن الأوسط يعني أن الأبناء ثلاثة، فأجبته: نعم، هم ثلاثة أبناء، فقال: إن في إهدائك تذكر أن الأبناء أربعة؟ هم: مهند وسجادوأبا الطاهر وأبا الحسن.

فقلت لصديقي: أما سمعت بالقول الذي يقول: أعز الولد ولد الولد.

قال صديقي: نعم.

قلت له: الأبناء ثلاثة، وولدي الرابع من ولدي الأول.

تبسم الصديق وقال: أنا أعتذر، لم أكن أعلم ذلك. حفظهم الله لك جميعاً.

قلت: إن لي في إبني الرابع هذا شعراً قلت فيه:

سألت الله يرزقنا وليداً   أعز على الفؤاد من الوليدِ
فلبى خالقي طلبي وربي   كثيراً ما يحن على العبيد
فأهداني أبا حسن علي   وأفضال الإله بلا حدود

فـأهـلاً بـالـولـيـد وألـف سـهـلاً وألـف الألـف مـن جـد سـعـيـد

ولكي لا يقع القارىء العزيز بمثل ما وقع به الصديق أوضحت ذلك هنا تحت عنوان لفت نظر.

محمد رضا الدباغ

«التمهيد»

في يوم قد تكون فيه عواصف آذار أقل تأثيراً على محمد من تلك العواصف التي في رأسه، فهو مع كونه قد اعتاد على التفكير الجدي في كل أمر يعترض حياته وأي تصرف يتصرف به أي فرد من حوله إلا أن الأمر مختلف تماماً في ذلك اليوم.

صحيح أن المقولة المروية عن لقمان الحكيم والتي قال فيها حينما سئل: أين تعلمت الحكمة؟ قال: من أخطاء الآخرين، كانت له مبدأ علم نفسه من خلالها الكثير بل الكثير جداً. إلا أنه وجد الأمر هذا اليوم ليس بالبساطة هذه، فهو لا يضمن أن يتمتع أبناؤه بالعقلية التي هو فيها حتى يوم كان في عمر أي واحد منهم، فإن لكل فرد زمانه ومحيطه إضافة إلى ما يرث من الخصائص الوراثية التي تنقل إليه عن أمه أو أبيه أو الاثنين معاً.

معلوم أن من كان طيباً لا يفترض أن يكون جميع أبنائه طيبين مثله، وفي حياتنا هذه امثلة عديدة تؤيد هذا القول، وكذلك العكس، إلا أن هذا الرجل الذي جعلنا منه مادة لحديثنا يجد ان عليه واجب يجب أن يقوم به على أكمل وجه وذلك لأسباب منها أنه يسعى دائماً وأبداً أن يذكر بين الناس بذكرى حسنة تليق به، وهذا كما هو معلوم واجب شرعي على كل مسلم ومسلمة،

وثانياً ان الحب الذي يحمله لأبنائه يدعوه بشدة أن يجعل منهم أفراداً لا يذكرون إلا بالخير وللخير، وهذا كما لا يخفى حق كل أب. وفوق كل ذلك يرغب بشدة أن ينال أبناؤه رضا خالقهم ومسويهم لأن ذلك الفوز العظيم الذي لا يقاس به فوزاً أبداً.

ولذلك تجد محمداً في دوامة من التفكير والبحث والاستقراء سعياً لإيجاد أفضل الطرق التي يصل من خلالها إلى بلوغ هدفه ونيل مأربه.

وبينما هو على هذه الحال إذ خطر له خاطر اراحه كثيراً، ووجد فيه أفضل وسيلة ينال بها مبتغاه. بل ويتعدى ذلك إلى نيل ثواباً طالما كانت روحه تهفو إليه. وبه تتحقق أهدافاً عدة وليس هدفاً واحداً.

وسكنت العاصفة بعد شدتها، وهدأ محمد قليلاً، وأراح رأسه على كفيه محاولاً جمع ما كان قد تناثر من أفكاره هنا وهناك، وبعد وقت ليس بالقصير جمع شتات أفكاره وبدأ يرتب ما يجب فعله. وما عليه أن يبتدأ به ليصل من خلاله إلى تهيئة الأبناء ليستقبلوا بيسر ما يريد توصيله لهم وما يجب أن يطبع في ضمائرهم كمبدأ يستعينوا به في تصحيح ما يطرأ عليهم من أمور، خصوصاً والحياة في وقتنا الحاضر هذا فيها الكثير من السلبيات التي رفضها الإسلام رفضاً قاطعاً، ونهى عن التخلق بها.

ورب سائل يسأل فيقول: ان كان الإسلام قد رفضها ونهى عن التخلق بها. فكيف وجدت في وقتنا الحاضر هذا وبشكل كبير؟

ولكي نجيب عن هذا التسائل وهو حق أن يطرح مثل هذا السؤال خصوصاً ونحن في وقت قد مضى على الدعوة إلى الإسلام أربعة عشرة قرناً، ويفترض أن نكون قد شربنا تعاليم الإسلام مع اللبن الذي رضعناه من أثدية أمهاتنا. وتعلمناه من آبائنا وأمهاتنا من خلال تعليمهم ايانا به أو من خلال لمسه في سلوكياتهم اليومية.

نعم، علينا أن نوضح بشيء من الإيجاز الأسباب التي جعلت من المسلمين مقدمين على فعل ما لا يرضاه الله تعالى ورسوله الكريم محمدﷺ رغم اعتمادهم القرآن والسنة النبوية الشريفة. فنقول: صحيح ان المسلمين اعتمدوا في كثير من عبادتهم وأعمالهم على القرآن والسنة النبوية الشريفة، ولأن الكثيرين منهم لم يؤهلوا لأن يفسروا القرآن الكريم ليتعرفوا من خلال ذلك على ما أمر الله تعالى به ونهى عنه، وكذلك لم يكن باستطاعتهم تمييز الحديث النبوي الصحيح من الموضوع، لذلك صار لا بد لهم من الاعتماد على رجالات الدين منهم ليرشدوهم سلوك طريق الصواب والحكمة.

إن من المؤسف له بل المؤلم حقاً هو أن بعض رجال العلم من تفسير وحديث انقادوا إلى هوى النفس أكثر من انقيادهم إلى قول كلمة الحق التي فيها سلامتهم وسلامة من اتبعهم فراحوا مفسرين لكثير من آي الذكر الحكيم بغير ما أنزل الله تعالى رغبة منهم في دعم ما آمنوا به تبعاً لاسلافهم، وكذلك الحال بالنسبة لواضعي الحديث.

قد يقول قائل كيف تقول ذلك على رجال نسبوا إلى الخير والزهد والعلم؟ وعرف عنهم العبادة والتقوى والبكاء والخشوع عند الصلاة وقراءة القرآن؟

ولكي نوصل السائل إلى اليقين بكوننا لم نفتر على أحد بغير ما كان حاصلاً منهم فعلاً نذكره بما جاء في مقدمة صحيح مسلم وتاريخ بغداد ٢/ ٩٨ من حديث ليحيى بن سعيد القطان إذ يقول: ما رأيت الصالحين في شيء أكذب منهم في الحديث.

وعنه أيضاً في كتاب اللآلىء المصنوعة للسيوطي حـ ٢ في خاتمة الكتاب حيث يقول: ما رأيت الكذب في أحد أكثر منه فيمن ينسب إلى الخير والزهد.

لقد أباح هؤلاء لأنفسهم التأويل في تفسير كتاب الله، وما فعلوا ذلك إلا اصراراً وعناداً في أن يلبسوا الحق بالباطل، وما اكتفوا وإنما مالوا لسنّة الله ﷺ وغيروا فيها كثيراً ووضعوا أحاديث أكثر. واستدلالاً على صحة هذا القول إليك ما ذكره إبن الأثير في البداية والنهاية ٨/ ١١٥ : لم تكن مرويات كعب بالمرضية عند الصحابة ولا بعدهم، فقد جاء عن كثير من الصحابة تكذيبه واتهامه في عقيدته، فقد قال له عمر: لتتركن الحديث أو لألحقنك بأرض القردة.

وروي عن إبن عباس أنه قال في بعض أحاديث كعب: كذب كعب، أما ترك يهوديته بعد (راجع تفسير القرطبي).

ومما ذكره صاحب تفسير المنار ٨/ ٤٤٩ : وقد علم المحققون أن كعباً قد أدخل على المسلمين شيئاً كثيراً من الاسرائيليات الباطلة والمخترعة. وخفي على كثير من المحدثين كذبه ودجله لتعبده.

هذا نموذج واحد من الذين شوهوا كثيراً من تعاليم الدين الإسلامي، وهناك غيره الكثير ممن كان لهم باعاً طويلاً في طمث تعاليم الدين الإسلامي وتشويه أصوله ومنهم على سبيل المثال لا الحصر رجل عده الكثيرون من رجال العلم والدين. مع صراحته في الطعن بريحانة رسول الله ﷺ الإمام الحسين بن علي عليه السلام شهيد كربلاء إذ وصف خروجه على البغاة من بني امية مفسدة، وذلك كان دفاعاً منه عن يزيد بن معاوية وأفعاله التي هدمت الكثير من المفاهيم الإسلامية. وعطلت الأكثر من الحدود. فمن أقواله التي نفحت بغضاً لآل البيت يقول ابن تيمية في وصفه لخروج الإمام الحسين عليه السلام إلى الكوفة: هذا رأي فاسد، فإن مفسدته أعظم من مصلحته، وقلّ من خرج على إمام ذي سلطان إلا كان تولد على فعله من الشر أعظم مما تولد من الخير (راجع منهاج السنّة لإبن تيمية ٢/ ٢٤١).

وصار على منوال إبن تيمية من كان له هوى كهواه وحباً للأمويين كحبه ونسوا أو تناسوا أن هناك الكثير ممن دعوا إلى الخير والفضيلة ووقفوا بوجه الضلال والإنحراف والرذيلة. قد قتلوا، وهذا القرآن الكريم ما زال يقص علينا أحسن القصص ويحدثنا عن أنبياء وصالحين دعوا بدعوة الحق والتوحيد والفضيلة فقتلوا على أيدي سلاطين الجور والضلال أبشع قتلة. وما قضية الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب الا كقضيتهم وتضحيته كتضحيتهم.

قال رسول الله ﷺ في حديثه الشريف المروي عن انس بن الحارث: أن ابني (يعني الإمام الحسين عليه السلام) يقتل بأرض يقال لها كربلاء. فمن شهد منكم ذلك فلينصره (البداية والنهاية ٨/ ٢١٧ نقلاً عن البغوي).

هذه الأمور وغيرها دعت محمد يفكر كثيراً في الكيفية التي يسلكها في تربية أبنائه التربية التي تحقق له أهدافه، ويسعدون بواسطتها في الدنيا والآخرة.

كان الخاطر الذي طرأ على باله والذي استراح إليه كثيراً هو أن يجعل من الكتاب والسنّة النبوية الشريفة أساساً في تربيتهم وتعليمهم، لأن في ذلك ضماناً للنجاح أكيداً، وأمثلة ذلك كثيرة بل وكثيرة جداً ابتداءً من أول الدعوة إلى الإسلام إلى يومنا الحاضر هذا.

إلا أن الحيرة ما فارقت الأب رغم قناعته التامة في أصل المنهج الذي استقر رأيه عليه. إلا أن الحيرة في كيفية البدىء وأي الأمور هي التي يجب أن يبدأ بها أولاً. وأيها أيضاً التي ستشدهم إلى التعلم والتربية شداً.

راح محمد يقلب الأمر مع نفسه بهدوء، لأن مثل ذلك لا يمكن أن يبت به ارتجالاً ودون تمحيص ومناقشة. وبينما هو كذلك مفكراً، وإذا بالأبناء ملتفين حول أبيهم إلا أنهم لم يجرأوا على محادثته. فبادرهم الأب قائلاً وعلى وجهه تلك الابتسامة العريضة التي تنعش قلبه كلما نظر لأبنائه وقد

حماهم الله تعالى من سوء الزمان والاقدار: أراكم قد حضرتكم جميعكم في وقت واحد. وهذا يعني أن هناك شيئاً ما في بالكم. فما هو؟ فابتسم الأبناء لأبيهم وقال كبيرهم: وجدناك يا أبي مفكراً مشغولاً بشيء. عسى أن يكون خيراً إن شاء الله. فإن كان همك يا أبي من أجل العيش ومصاعبه فأنت والحمد لله علمتنا أن لا نفرح بما اتانا ولا نحزن على ما فاتنا وكنت تستشهد بقول أمير المؤمنين علي عليه السلام حينما أوصى ولده بقوله: يا بني لا تحزن على ما فاتك ولا تفرح بما أتاك، وقوله عليه السلام: إعلم. أن الدهر يومان. يوم لك وآخر عليك، فإن كان لك فلا تبطر. وإن كان عليك فاصبر...

أما إن كان تفكيرك من أجل غير ذلك فحدثنا به لكي ننتفع منك ومن مواعظك وأفكارك التي ربيتنا عليها والتي كانت والحمدلله مباركة ورشيدة.

سُرَّ الأب من حديث ابنه الكبير كثيراً وبمعرفته خطأ ما كان يتخوف منه من أنه لا يضمن أن يكون أبناؤه يتمتعون بعقلية تعينهم على استقصاء الصحيح من الأمور في حياتهم وتركهم كل ما هو سقيم منها، وهذا الأمر بحد ذاته بشرى له في كونهم قد انتفعوا من أبيهم، وهذا تأكيد للأب بكون طريقة تربيته لأبنائه موفقة وناجحة.

ولكي يصل الأب إلى وضع بداية لما خطط له قال مخاطباً إياهم: لا يا أبنائي. ما حملت هم الدنيا ولا طمعت بها قليلاً أو كثيراً، وأنتم تعرفون جيداً أن كل ما أفكر به هو أن تكونوا أبناء صالحين عزيزي النفس كريمي الأخلاق أما ما تبقى فهو هين مادام أمره متعلقاً بالله سبحانه وتعالى.

الإبن الأوسط: أتعني يا أبي بقولك: (أما ما تبقى فهو هين مادام متعلقاً بالله سبحانه وتعالى). الرزق؟

الأب: نعم يا ولدي، إن الله جل شأنه هو الرازق، وهو المقدر لرزق كل إنسان، ولا يريد من الإنسان إلا أن يجعل من سعيه سبباً لكي يوصل

الرزق إليه، والسبب كما لا يخفى يعني العمل.

الإبن الأوسط: إني أرى كثيراً من الناس من لا يبخلون ببذل الجهود في العمل من أجل الرزق ومع ذلك فهم فقراء محتاجين، فما تفسير ذلك يا أبي؟

الأب: اعلموا يا أبنائي أن الله جلت عظمته حكيم، بل هو أحكم الحكماء، ومن حكمته جل جلاله أن جعل عبيده من هم الأغنياء ومن هو الفقراء ومن هم بين هذا وذاك. وهو جل جلاله القائل: ﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾[1].

وقوله سبحانه وتعالى هذا وغيره يوضح بجلاء أنه جل جلاله هو الرازق لمخلوقاته، وأنه تعالى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، يبتلي عباده بالفقر والغنى. ويختبرهم بالشكر والطاعة والصبر والبذل.

فمن قول لأمير المؤمنين علياً عليه السلام يقول فيه: (وقدر الأرزاق فكثرها وقللها، وقسمها على الضيق والسعة فعدل فيها ليبتلي من أراد بميسورها ومعسورها. وليختبر بذلك الشكر والصبر من غنيها وفقيرها).

الإبن الأكبر: هل يعني هذا يا أبي أن الرزق مرهون بيد الله تعالى وان علينا أن لا نجد ولا نجتهد؟

الأب: نعم يا ولدي إن الرزق مرهون بيد الله تعالى. ولكن يجب علينا أن نجد ونجتهد في طلب الرزق، لا أن نجاهد في طلبه جهاد المغالب. لأن ابتغاء الفضل من السنة، والاجمال في الطلب من العفة، فقد روي أن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام قال لرجل: (يا هذا، لا تجاهد في الطلب جهاد المغالب، ولا تتكل اتكال المستسلم، فإن ابتغاء الفضل من السنة والاجمال في الطلب من العفة، وليست العفة بدافعة رزقاً، ولا الحرص بجالب فضلاً،

---

(١) العنكبوت: ٦٢.

فإن الرزق مقسوم: والأجل موقوت، واستعمال الحرص يورث المآثم)[1].

ومن وصية لأمير المؤمنين علي عليه السلام أوصى بها ولده الحسن عليه السلام قال له فيها:

(واعلم يقينا: أنك لن تبلغ أملك. ولن تعدو أجلك. وأنك في سبيل من كان قبلك، فخفض في الطلب، وأجمل في المكتسب، فإنه رب طلب جرّ إلى حرب، فليس كل طالب بمرزوق، ولا كل مجمل بمحروم، وأكرم نفسك عن كل دنيه وإن ساقتك إلى الرغائب، فإنك لن تعتاض بما تبذل من نفسك عوضاً، ولا تكن عبد غيرك، وقد جعلك الله حراً، وما خير لا ينال إلا بشر. ولا يسر لا ينال إلا بعسر)[2].

الإبن الأكبر: لكن يا أبي إن الفقر مؤلم. وإن الحاجة مرة فما يفعل من هو كذلك؟

الأب: إعلم يا بني أن الله سبحانه وتعالى خبير بعباده. فهو خالقهم ومسويهم، وهو سبحانه وتعالى حاشاه من أن يظلم أحداً من عبيده، فهو جل جلاله القائل: (وما ربك بظلام للعبيد). وما العسر الذي يكون فينا إلا لمصلحتنا دون شك.

الإبن الأوسط: وكيف يكون العسر لمصلحتنا يا أبي؟

الأب: ألم يقل سبحانه وتعالى في كتابه العزيز ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾[3].

فما أدرانا يا ولدي أن من شاء الله تعالى من الناس أن يكون فقيراً أنه إن

(١) البحار ١٧ ص ١٤٥ عن تحف العقول وجـ ٢٣ ص ١٢ عن قصص الأنبياء.

(٢) نهج البلاغة محمد عبده جـ ٣ ص ٤٨٤/ ٤٨٥.

(٣) الشورى ٢٧.

أغناه لكان باغياً في الأرض، هل يستبعد ذلك أن يكون؟

الإبن الأوسط: هل يعني ذلك أن الفقراء لو استغنوا لكانوا بغاة؟

الأب: لا يا ولدي، ما هكذا أردت بقولي هذا. وإنما ضربت بذلك لكم مثلاً. أوضح لكم من خلاله أن لله جلت قدرته حكمة ما جعل الناس أغنياء وفقراء ومتوسطي الحال، وأن هذه الحكمة لا تدركها عقولنا. والله يعلمها، وقد تكون من حكمته أن جعل البعض فقراء لأنه سبحانه يعلم أنهم لو استغنوا لكانوا بغاة في الأرض، وإن من حكمته أيضاً أن جعل لنا ثواباً كبيراً أن صبرنا على ما ابتلانا به كما الحال إن صبرنا على فقرنا.

الإبن الأكبر: هل يفترض بالفقير أن يستسلم لما هو عليه، أم أن هناك وسيلة قد تخرجه من فقره؟

الأب: إعلم يا ولدي أن الفقر ابتلاء كبير ابتلى الله تعالى به الناس، وهنا قول لأمير المؤمنين عليه السلام يقول فيه: لو كان الفقر رجلاً لقتلته، وقوله هذا يوضح مدى خطورة هذا الحال، لأنه قد يوصل الفقير إلى فعل ما لا يرضاه الله جل جلاله، ولكن هناك وسائل عدة يتوسل بها الإنسان لكي ينال من الله جل جلاله الرزق مضاعفاً، ومن هذه الوسائل هي التوكل على الله جل جلاله، إذ بالتوكل يستدر الرزق، وهذا ما أكده الحديث النبوي الشريف: (لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصاً وتروح بطاناً)[1].

ولا يخفى أن رحمة من في الأرض تؤدي إلى نيل رحمة من في السماء، أي أن الصدقة تضاعف الرزق وتساعد على استمراريته وعدم انقطاعه،

---

(١) رواه الترمزي والنسائي وابن ماجة والحاكم وأقره الذهبي وذكره محمد عبده في تفسيره حـ ٤ ص ٢١٠.

فبالصدقة يستدر الرزق، أولم يقل الله جل جلاله في كتابه العزيز (أيحب أحدكم ان يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له). إن الله جل جلاله رحمة منه بعباده جعل جزاء الحسنة عشرة امثالها وأنه سبحانه وتعالى يضاعف لمن يشاء.

وهناك قصة حصلت لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وهو المعروف بالزهد والكفاف، وهي أنه خرج ذات يوم بازار فاطمة الزهراء عليها السلام ليبيعه ويأكلوا بثمنه، فباعه في السوق بستة دراهم، وبينما هو سائر في السوق وإذا بسائل يسأله أن يعطيه ليسد جوعه، فما كان من علي عليه السلام إلا أن أعطاه الدراهم الستة.

وبينما هو في السوق إذ أتاه جبرائيل عليه السلام في صورة أعرابي ومعه ناقة، فقال له يا أبا الحسن، إشتر هذه الناقة، فقال علي عليه السلام : ما معي ثمنها، فقال له: إلى أجل.

فاشتراها علي عليه السلام بمائة، وبينما هو في السوق ممسكاً بحبل الناقة إذ عرض عليه ميكائيل عليه السلام وهو في صورة رجل أعرابي فقال له: أتبيع هذه الناقة؟

فقال عليه السلام : نعم، قال له: بكم اشتريتها؟ قال عليه السلام : بمائة، قال: آخذها بمائة ولك من الربح ستون.

فباعها علي عليه السلام له. وقبض الثمن، مائة وستون درهماً، فعرض عليه جبرائيل عليه السلام فقال له: بعت الناقة؟ قال عليه السلام : نعم، فقال: ادفع لي ديني. فدفع أمير المؤمنين عليه السلام له مائة درهم ثمن شراء الناقة. ورجع إلى داره بستين درهماً، فقالت له فاطمة عليها السلام : من أين لك هذا؟ قال عليه السلام : ضاربت الله بستة فأعطاني ستين.

ثم جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله فأخبره بذلك. فقال صلى الله عليه وآله : البائع جبرائيل.

والمشتري ميكائيل: والناقة لفاطمة تركبها يوم القيامة)[1].

ثم قال الأب لأبنائه: هكذا هو عطاء الله لمن يرحم أخاه الفقير، وهكذا هو جزاؤه سبحانه وتعالى لمن يقرض الله قرضاً حسناً.

الإبن الأكبر: أرى يا أبي أن ليس للإنسان في هذه الدنيا إلا ما يسد به رمقه. وإن كل ما عدى ذلك فهو ليس له.

الأب: لو نظر الإنسان لحياته هذه بعين العبد الذي يؤمن أن الحياة الأبدية هي في الآخرة. وأن حياته هذه في الدنيا ما هي إلا فترة يتزود بها لسفره إلى الآخرة. لوجد أن كل ما يشغل تفكير الناس في هذه. لا يستحق أن يأخذ منهم ولو قليلاً من القلق والحسرة والتألم عليها. فهي فانية. وهي قصيرة، وهي تأخذ من تفكيره ما كان يفترض أن يقضيه في كيفية التزود للآخرة.

فمن وصية لأمير المؤمنين علي عليه السلام يوصي بها فيقول: (لا يكن همك يومك الذي إن فاتك لم يكن من أجلك. فإن كل يوم تحضره يأتي الله فيه برزقك. وإعلم أنك لم تكسب شيئاً فوق قوتك إلا كنت فيه خازناً لغيرك، يكثر في الدنيا تعبك، ويحظى به وارثك. ويطول معه يوم القيامة حسابك، فاسعد بمالك في حياتك، وقدم ليوم معادك زاداً يكون لك أمامك. فإن السفر بعيد. والموعد القيامة، والمورد الجنة والنار).

ومن حديث قدسي قال الله تعالى فيه «يا ابن آدم. لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها إلا القوت. فإذا أنا أعطيتك منها القوت. وجعلت حسابها على غيرك. فأنا إليك محسن».

نعم يا أولادي. ان كل ما يدخلنا من مال في هذه الدنيا. فإن كل ما كان

---

(١) ذكر ذلك صاحب السيرة الحلبية حـ ٢ ص ٢١٨.

منه حلالاً فبه حساب. وكل ما كان منه حراماً فبه عقاب. وكل ما كان شبهه فبه عتاب.

الإبن الأكبر: فبماذا تنصحنا يا أبي والحال هذه؟

الأب: اعلموا يا أبنائي أن الالتجاء إلى الله تعالى عند كل شدة كفيل بالخلاص منها ومن تبعاتها. والاقتداء برسول الله ﷺ وآل بيته الأطهار يكسب الطمأنينة والرضا وراحة البال، فمن وصية لأمير المؤمنين عليه السلام كان قد أوصى بها كميل بن زياد النخعي قال له فيها: (يا كميل، قل عند كل شدة: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم تكفها. وقل عند كل نعمة: الحمد لله. تزدد منها.

وإذا أبطأت الأرزاق عليك فاستغفر الله، يوسع عليك فيها.

يا كميل. إذا وسوس الشيطان في صدرك فقل: أعوذ بالله من شر الجنة والناس. تكفى مؤونة إبليس والشياطين معه، ولو أنه كلهم ابالسه مثله).

الاحتراز بالله سبحانه وتعالى يكفي الإنسان الكثير من المخاطر والآفات، ويدخل الإنسان في بحر سرمدي يلفه الإيمان وتحتضنه القناعة والرضا بما قسم الله تعالى وقدر.

فمن قول الله تبارك وتعالى: (فلنحيينه حياة طيبة)، وقد سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن معنى ذلك فقال عليه السلام هي القناعة[1].

ولكي يحيا الإنسان حياة طيبة يجب أن يكون قنوعاً بما قسم الله تعالى له، ولا يمنعه ذلك من استجلاب الرزق بالتوكل على الله تعالى وبذل الصدقات والسعي والاجتهاد في طلب الرزق الحلال. وكثرة الاستغفار.

---

(١) نهج البلاغة محمد عبده جـ ٤ ص ٦٠٧ تحت رقم ٢٢٩.

الإبن الأكبر: وهل للاستغفار علاقة بالرزق واستجلابه يا أبي؟

الأب: نعم يا ولدي. فقد روي أن رجلاً جاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: يا أمير المؤمنين. إني رجل فقير لا مال لي ولا ولد.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام له: فأين أنت عن كتاب الله عز وجل في قوله تبارك وتعالى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾.

فقال الرجل لأمير المؤمنين عليه السلام: علمني كيف استغفر؟ فقال عليه السلام: تقول: اللهم إني استغفرك من كل ذنب قوي عليه بدني بعافيتك، أو نالته قدرتي بفضل نعمتك. أو بسطت إليه يدي بسابغ رزقك أو اتكلت فيه عند خوفي منه على اناتك. أو عولت فيه على كريم عفوك، أو وثقت منه بحلمك.

اللهم. واستغفرك من كل ذنب خنت فيه أمانتي. أو بخست بفعله نفسي، أو خطئت به على بدني. أو قدمت فيه لذتي. أو آثرت فيه شهوتي. أو قهرت فيه من منعني.

اللهم واستغفرك من كل ذنب سبق عليّ في علمك أني فاعله فدخلت فيه بإرادتي. واجترحته بمحبتي. أو اتيته بشهوتي، ثم احلت عليك ربي فلم اغالبك بفعلي إذ كنت كارهاً لمعصيتي. لكن سبق علمك فيّ فحلمت عني فلم تدخلني فيه جبراً، أو تحملني عليه قسراً. ولم تظلمني فيه شيئاً، فاغفر لي إلهي. إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت[1].

الإبن الأوسط: أرى أن الدنيا متعبة للإنسان يا أبي؟

قال الأب: لا يا ولدي. لم تكن الدنيا متعبة إلا لمن جعل الدنيا كل

(١) دستور معالم الحكم ومأثور مكارم الشيم للقضاعي ص ١١٠.

همه، أما المؤمن فلا هم له فيها إلا البحث عن الزاد الذي ينفعه يوم القيامة. وكما قال الإمام علي عليه السلام في وصف الدنيا: (الدنيا دار ممر لا دار مقر. والناس فيها رجلان: رجل باع فيها نفسه فاوبقها. ورجل ابتاع نفسه فاعتقها)(١).

وقوله عليه السلام: (ان اخوف ما أخاف عليكم اثنان:

اتباع الهوى وطول الأمل.

فتزودا في الدنيا من الدنيا ما تحرزون به أنفسكم غداً)(٢).

نعم يا أبنائي. يجب التزود لذلك اليوم الذي لا ينفع فيه مال ولا بنون، وكما قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾.

الإبن الأكبر: أرى يا أبي أن في سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسيرة آل البيت عليهم السلام أحسن دروس للإنسان لكي يحصن نفسه من غضب الله تعالى وعذابه.

الأب: هكذا هو الإسلام يا ولدي وهكذا هي تعاليم السماء. ولا يخفى عليكم ان خير من اتبع الإسلام وانتهج طريقه هم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وآل بيته ولذلك كانت وصايا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للمسلمين باتباع كتاب الله وسنّة رسوله التي تجسدت بسنة آل بيته الأطهار. حيث كان صلى الله عليه وآله وسلم يقول موصياً المسلمين المرة تلو الأخرى بقوله: اني تركت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي آل بيتي، ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً.

الإبن الأكبر: ما رأيك يا أبي في أن تحدثنا عن سيرة آل البيت الأطهار. فإن الحديث عنهم إضافة إلى كونه نافع من حيث تكوين شخصية الإنسان وتقويمها فهو نافع من حيث البركة والثواب.

---

(١) نهج البلاغة محمد عبده جـ ٤ ص ٥٩١ تحت رقم ١٣٣.

(٢) نهج البلاغة محمد عبده جـ ١ ص ٧٨/ ٨٠.

وجد الأب أن حديث ولده الكبير جاء محققاً لهدفه الذي فكر فيه وأنه خير بداية لتحقيق هذا الهدف، فأجاب إبنه قائلاً: كما تشاؤون يا أبنائي ولكن سنجعل من حديثنا يبدأ أولاً بحياة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وبعده سنتحدث عن آل البيت النبوي الأطهار عليهم السلام وكل في حينه إن شاء الله تعالى.

فقال الأبناء وهم فرحين بإقتراح أبيهم هذا: كما تشاء يا أبي.

فقال الأب: فلنبدأ من هذا اليوم.

«اليوم الأول»

(نسب أمير المؤمنين عليه السلام وولادته)

كما هو حال كل جلسة للأسرة، يجلس الأب وحوله أبناءه وبناته، أما الأم فمجلسها غير مستقر دائماً فهي بين قائمة لتفقد بيتها وأعمالها وبين جالسة مع زوجها وأبنائها.

وكان الأب في مجلسه عريض الابتسامة فرحاً باهتمام أسرته وشوقهم لسماع حديثه.

بدأ الأب الحديث قائلاً: كانت العرب ومازالت تهتم بالأنساب وحفظها وتدوينها. وكان الإفتخار بالنسب من آباء وأجداد وذكر مفاخرهم ومآثرهم من ميزة الفترة قبل الإسلام. ولم تكن قبيلة من قبائل العرب تخلو من نساب أو أكثر. ولا من شاعر أو أكثر.

النسابين لحفظ وتدوين نسب قبيلتهم ومعرفة انساب القبائل الأخرى، والشعراء لذكر مفاخر الآباء والأجداد وبطولاتهم ومآثرهم، وكذلك لهجاء القبائل الأخرى التي لهم معها نزاع وتخاصم أو حروب. وهذا ما كان يحصل في كثير من الأحيان بين القبائل قبل الإسلام.

الإبن الأكبر: نعم يا أبي. مثل ما كان حاصلاً بين قبيلتي الأوس

والخزرج. والذي دام سنين طويلة إلى أن جاء الإسلام وهاجر النبيﷺ إلى المدينة فآخى بينهم ووضع حداً لهذه الحرب.

الأب: نعم يا ولدي، ما كان حاصل بين الأوس والخزرج واحداً من الأمثلة على ذلك.

ثم تابع الأب حديثه قائلاً: وما ان جاء الإسلام حتى سعى إلى تذويب العنصرية القبلية. وجعل من مبدأ الأخوة بين المسلمين هو الأساس في التعامل والعلاقة بين المسلمين.

الإبن الأوسط: هل تعني يا أبي أن الإسلام قد ذوب الإنتماء إلى القبيلة؟

الأب: لا يا بني. لم يذوب الإسلام الإنتماء إلى القبيلة. وإنما جعل من الأخوة الإسلامية أكثر تأثيراً وتفاعلاً في الوقوف جانب الحق ونصرة صاحبه، ورفض الباطل والتصدي له حتى وإن كان فاعله من الأهل والعشيرة.

أما الإنتساب إلى الأهل والعشيرة فقد حث الإسلام على حفظه. وقد جاء ذكره في كتاب الله العزيز عند قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾. كما وقد حث النبي الأكرم محمدﷺ على حفظ النسب وتعلمه ومعرفته بقوله الشريف: (تعلموا انسابكم لتصلوا ارحامكم). والحديث النبوي الشريف هذا دعوة من النبيﷺ إلى صلة الرحم وعون المحتاجين وتفقدهم. وطبعاً لا يمكن أن يتم ذلك دون معرفة بالنسب والقرابة.

علماً أن أفضل الانساب واشرفها واعلاها هو نسب آل البيت النبوي الأطهار. الذين فرض الله تعالى على المسلمين ودهم وطاعتهم وموالاتهم. وان الانساب والاحساب تنقطع يوم القيامة إلا حسب رسول اللهﷺ ونسبه. وهذا ما أكده النبيﷺ في حديثه الشريف.

الإبن الأكبر: أرى يا أبي ان هناك قبائل عدة. وإن الله جلت عظمته أكد أن كل البشر من آدم وهذا يعني أن الأصل واحد. فكيف ظهرت القبائل يا أبي؟

الأب: نعم يا ولدي كلنا من آدم، وان العرب ينتمون إلى جدهم إسماعيل وإسماعيل كما تعلم ابن نبي الله إبراهيم. وإن إبراهيم عليه السلام من ذرية نوح. ونوح من ذرية إدريس عليه السلام. وإدريس من ذرية شيت بن آدم عليه السلام.

ثم قال الأب: بالنسبة للعرب يا ولدي هم سكان الجزيرة العربية، ويرجع أصلهم إلى قسمين: القسم الأول: هم العرب البائدة، والقسم الثاني هم العرب الباقية.

الإبن الأكبر: ماذا تعني بالعرب البائدة والعرب الباقية يا أبي؟

الأب: العرب البائدة: هم القبائل التي بادت وضاعت أخبارها قبل ظهور الإسلام مثل عاد وثمود وطسم وجديس وعمليق وجرهم وجاسم.

أما العرب الباقية: فهم القبائل التي ظهر الإسلام وهي موجودة، وهي فرقتان ترجع كل منهما إلى أب واحد يضمها وطن تنسب إليه.

الفرقة الأولى: هي الفرقة القحطانية، وهي التي ترجع في انسابها إلى قحطان، ومقرها اليمن. ولذلك فهي تعرف أيضاً بعرب اليمن أو عرب الجنوب أو القبائل اليمنية.

الفرقة الثانية: وهي التي ترجع في انسابها إلى عدنان. ومقرها الحجاز ونجد. ولذلك فهي تعرف بالقبائل الحجازية أو عرب الحجاز ونجد أو عرب الشمال[١].

مع العلم أن قحطان وعدنان من ذرية النبي إبراهيم عليه السلام.

---

(١) راجع تاريخ التمدن الإسلامي لجرجي زيدان جـ ٤ ص ١٧.

الإبن الأكبر: وإلى أي من هاتين الفرقتين ينتمي رسول الله ﷺ يا أبي؟

الأب: ينتمي النبي ﷺ إلى القبائل العدنانية يا ولدي. والتي هي من عرب الشمال.

الإبن الأكبر: أحياناً اسمع ان النبي ﷺ من بني عبد المطلب، وأحياناً يقال عنه أنه من بني هاشم. وأيضاً من مضر. والآن عرفت أنه من عدنان. هل تتفضل يا أبي وتوضح لي ذلك؟

الأب: لقد رُتبتْ انسابُ العرب في ستة مراتب:

أولها: الشعب: وهو النسب الأبعد، مثل عدنان وقحطان.

ثم: القبيلة: وهي ما انقسمت فيها انساب الشعب. مثل ربيعة ومضر.

ثم العمارة: وهي ما انقسمت فيها انساب القبائل، مثل قريش وكنانة.

ثم البطن: وهي ما انقسمت فيه انساب العمارة، مثل عبد مناف وبني مخزوم.

ثم الفخذ: وهو ما انقسمت فيه انساب البطن. مثل بني هاشم وبني أمية.

ثم الفصيلة: وهي ما انقسم فيه الفخذ، مثل بني أبي طالب وبني العباس[١] فرسول الله ﷺ يرجع إلى بني عبد المطلب (فصيلة)

وإلى بني هاشم (فخذ)

وإلى عبد مناف (بطن)

وإلى قريش (عمارة)

وإلى مضر (الشعب وهو النسب الأبعد).

---

(١) راجع تاريخ التمدن الإسلامي لجرجي زيدان جـ ٣ ص ٤٠ عن الماوردي ص ١٩٤.

وان أردنا أن نذكر نسبه ﷺ الأبعد من الشعب فهو ﷺ من عدنان من إسماعيل من إبراهيم عليه السلام من نوح عليه السلام من إدريس عليه السلام من آدم عليه السلام ، غير أن النبي ﷺ حينما كان ينتسب ينهي بنسبه إلى عدنان. ثم يقول ﷺ : كذب النسابون)[١].

الابن الأوسط: اذكر لنا آباء النبي ﷺ وأجداده يا أبي.

الأب: لا يخفى على الجميع ان علياً عليه السلام هو ابن أبي طالب. وأبو طالب هو عم النبي ﷺ والمحامي عنه، وهو أخ والد النبي ﷺ عبد الله عليه السلام من أمه وأبيه. وأبوهما هو عبد المطلب (شيبه، شيبة الحمد) بن هاشم (عمرو، عمرو العلى) بن عبد مناف (المغيرة) بن قصي (زيد) بن كلاب (حكيم) بن مرة بن كعب ابن لوي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر (قيس) بن كنانة بن خزيمة بن مدركة (عمرو) بن الياس بن مضر[٢].

الابن الأكبر: لقد ذكرت إسمين أو أكثر لبعض أجداد رسول الله ﷺ فمثلاً عبد المطلب: ذكرت له إسمين آخرين هما شيبة وشيبة الحمد. وهاشم: ذكرت له إسمين آخرين هما عمرو وعمرو العلى. وعبد مناف: ذكرت له إسم المغيرة. وقصي: زيد وكلاب: حكيم. والنضر: قيس ومدركه: عمرو. فما يعني ذلك يا أبي؟

الأب: إسم عبد المطلب هو شيبة وذلك لأنه ولد وفي رأسه شعرة بيضاء، ولقب بشيبة الحمد لكثرة محامده، وقيل ان اسمه عامر أيضاً. أما من أين جاء إسم عبد المطلب فذلك نسبة لعمه المطلب. حينما جاء به من المدينة حيث أمه وأخواله إلى مكة المكرمة. فسأله أهل مَكة عنه من أين جاء

---

(١) عمدة الطالب ص ٢٠ ـ ٤٨.

(٢) راجع عمدة الطالب في انساب آل أبي طالب وبدائع الزهور في وقائع الدهور.

به؟ فقال لهم هو عبد ابتعته. فسموه بعدها عبد المطلب. وحتى بعد أن عرفوا حقيقة أمره فقد بقي الإسم عبد المطلب غالباً عليه.

أما بالنسبة لهاشم فإسمه عمرو ويقال له عمرو العلى. وسمي هاشماً لهشمه الثريد للحاج وفيه قال الشاعر مطرود بن كعب الخزاعي:

يا أيها الرجل المجد رحيله　　هلا مررت بدار عبد مناف
ثكلتك أمك لو مررت ببابهم　　لعجبت من كرم ومن أوصاف
عمرو العلى هشم الثريد لقومه　　ورجال مكة مستنون عجاف

وعبد مناف كان يدعي المغيرة، وقصي كان إسمه زيد. وسمي قصياً لأنه أقصي عن داره وشب في حجر ربيعة بن حزام بن سعد بن زيد القضاعي، لأن أمه فاطمة بنت سعد بن شبل الأزدية تزوجت بعد أبيه من ربيعة بن حزام فمضى بها إلى قومه.

وهو الذي جمع قبائل قريش وكانت متفرقة في البوادي فاسكنها في الحرم ولذلك سمي مجمعاً. وفيه قال الشاعر:

أبوكم قصي كان يدعى مجمعاً　　به جمع الله القبائل من فهر[1]

وكلاب إسمه حكيم، وسمي كلاب لأنه كان يحب الصيد، فجمع كلاباً كثيرة يصطاد بها وكانت إذا مرت على قريش قالوا: هذا كلاب بن مره. يعنون بذلك حكيماً، فغلب هذا الإسم عليه.

وفيه قال الشاعر:

حكيم بن مرة ساد الورى　　ببذل النوال وكف الأذى
اباح العشيرة افضاله　　وجنبها طارقات الردى

أما بالنسبة للنضر فإسمه قيس. وسمي النضر لوضاءته وجماله. وهو

---

(١) عمدة الطالب ص ٢٦.

الجامع لقريش في أصح الأقوال وليس مجمعاً[1].

أما مدركه فإسمه عمرو. وسمي مدركه لأن ابلاً لهم نفرت فتفرقت فذهب عمرو في أثرها فأدركها فسمي مدركة.

ثم تابع الأب حديثه فقال: هؤلاء هم آباء وأجداد رسول الله محمدﷺ وهم عينهم آباء وأجداد ابن عمه ووصيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام.

الإبن الأوسط: فمن هي أم أمير المؤمنين يا أبي؟

الأب: هي فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي.

الإبن الأكبر: فاطمة بنت أسد بن هاشم، هل هاشم هذا هو هاشم جد رسول اللهﷺ؟

الأب: نعم يا ولدي. فاطمة أم أمير المؤمنين هاشمية كما هو النبيﷺ وكما هو زوجها أبي طالب. وهي أول هاشمية تزوجت هاشمياً وولدت له[2].

الابن الأكبر: وهل كان لفاطمة بنت أسد دوراً في حياة رسول اللهﷺ يا أبي؟

الأب: كان دورهاعليها السلام كدور الأم الرؤم على وليدها. أحبت النبي محمداًﷺ أكثر من حبها لأبناءها الثلاثة طالب وعقيل وجعفر. وحينما ولد أمير المؤمنين عليعليه السلام لها لم ينقص حبها لمحمدﷺ. بل إزدادت حباً لهﷺ، كانت تدعوه ابني، وكانﷺ يدعوها أمي.

أدركت فاطمة بنت أسد الإسلام. فأسلمت وكانت من الأوائل فيه، فقد

---

(١) نفس المصدر والصفحة.

(٢) المناقب المخطوط لابن حنبل ص ٣٥ ـ ٣٦.

روي عن الزبير بن العوام قال: حين نزل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ﴾[١] دعا النبيﷺ النساء إلى البيعة فكانت فاطمة بنت أسد أم علي بن أبي طالبعليه السلام أول امرأة بايعت رسول اللهﷺ.

وحين حضرتها الوفاة أوصت إلى رسول اللهﷺ فقبل وصيتها، فقالت: يا رسول اللهﷺ إني أردت أن أعتق جاريتي هذه، فقال رسول اللهﷺ: ما قدمت من خير ستجدينه. فلما ماتت رضوان الله عليها نزع رسول اللهﷺ قميصه وقالﷺ: كفنوها فيه. واضطجع في لحدها. وحينما سئلﷺ عن ذلك قالﷺ: أما قميصي فأمان لها يوم القيامة. وأما اضطجاعي في قبرها فليوسع الله عليها. وفي رواية أخرى قالﷺ: انه لم يكن بعد أبي طالب ابرّ بيّ منها. إني البستها قميص لتكتسي من حلل الجنة. واضطجعت معها في قبرها ليهون عليها[٢].

الإبن الأكبر: وأين دفنت أم أمير المؤمنين يا أبي؟

الأب: دفنها النبيﷺ بالروحاء، مقابل حمام أبي قطيفة. وفي رواية أخرى وهي الأصح أن النبيﷺ أمر أسامة بن زيد وأبا أيوب الأنصاري وعمر بن الخطاب وغلاماً أسود فحفروا قبرها بالبقيع. فلما بلغوا لحدها حفر رسول اللهﷺ بيده وأخرج ترابه. فلما فرغ اضطجع فيه وقال: (اللهم اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ولقنها حجتها ووسع عليها مدخلها بحق محمد والأنبياء الذين من قبلي. فإنك أرحم الراحمين). فقيل يا رسول اللهﷺ: رأيناك صنعت شيئاً لم تكن صنعته بأحد قبلها؟

فقالﷺ: ألبستها قميصي لتلبس من ثياب الجنة، واضطجعت في

---

(١) الممتحنة: الآية ١٢.

(٢) راجع علل الشرائع لابن بابويه حـ ٢ ص ١٥٥ ونور الأبصار للشبلنجي ص ٧٦ والإمام علي بن أبي طالب لعبد الفتاح عبد المقصود المجلد الأول ص ٦٢.

قبرها ليخفف عنها من ضغطة القبر، لأنها كانت من أحسن خلق الله تعالى صنعاً إليّ بعد أبي طالب)[1].

الإبن الأوسط: وماذا كان رسول الله ﷺ يقول أيضاً عن أم أمير المؤمنين عليه السلام يا أبي؟

الأب: روي عن أنس بن مالك قال: لما ماتت فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين عليه السلام دخل رسول الله ﷺ فجلس عند رأسها وقال: رحمك الله يا أم. كنت أمي بعد أمي. تجوعين وتشبعيني. وتعرين وتكسيني. وتمنعين نفسك طيب الطعام وتطعميني. تريدين بذلك وجه الله الكريم والدار الآخرة[2].

الإبن الأكبر: هل تعتقد يا أبي ان كفالة أبي طالب لرسول الله ﷺ واهتمامه به وتفضيله وحبه أكثر من أبنائه مسألة عادية حدثت صدفة؟

الأب: إعلم يا بني. إن الله جلت عظمته حينما اختار محمداً ﷺ من بين مخلوقاته أن يكون له حبيباً ورسولاً يختم به أديان السماء. فلا بد أن يهيىء له كل شيء، ومن بين ما هيأ له هو كفالة أبي طالب له واشتراك زوجته السيدة فاطمة بنت أسد في رعايته وتعويضه عن الحب الذي افتقده بوفاة أمه آمنة بنت وهب عليها السلام، هذا إضافة إلى كون أبو طالب وفاطمة بنت أسد هما والدا وصي رسول الله ﷺ وساعده الأيمن في نشر الدعوة إلى التوحيد. فهل تعتقد أن كل ذلك كان مصادفة ودون اختيار من الخبير بعباده.

الإبن الأوسط: حدثنا يا أبي عن ولادة وصي رسول الله ﷺ؟

الأب: ان مسألة ولادة علي عليه السلام معجزة له لم تكن لأحد قبله ولا بعده.

---

(١) نور الأبصار للشبلنجي ص ٧٦.

(٢) الفضائل للخوارزمي ص ١٣.

الإبن الأكبر: وكيف ذلك يا أبي؟

الأب: كانت ولادته في الكعبة الشريفة، وهذا يعني أن الله تعالى اختار له اشرف بقعة على وجه الأرض يستقبل الدنيا فيها.

الإبن الأوسط: حدثنا يا أبي كيف تمت ولادته عليه السلام بالتفصيل؟

الأب: في يوم كان العباس بن عبد المطلب ويزيد بن قعنب وجماعة من بني هاشم جالسين بإزاء بيت الله الحرام. وبينا هم كذلك إذ أقبلت السيدة فاطمة بنت أسد بن هاشم. وكانت حاملة بعلي عليه السلام تسعة أشهر، وإذا بها وهي في الكعبة قد اخذها الطلق، فلم تستطع الانتقال إلى دارها من شدة الطلق، فكان ذلك شديداً عليها وهي السيدة بنت الأسياد وزوجها سيد قريش ومكة. فاحتارت في كيفية التصرف، فدلها إيمانها بالله الواحد أن تتوسل بخالقها فهو أرحم الراحمين. فتوجهت صوب الكعبة الشريفة وقالت: رب إني مؤمنة بك وبما جاء من عندك من رسل وكتب. وإني مصدقة بكلام جدي إبراهيم الخليل، وأنه بنى البيت العتيق. فبحق الذي بنى هذا البيت، الا ما يسرت عليّ ولادتي.

ترى هل يخذلها الخلاق الرحيم وهي المؤمنة بالله على ملة إبراهيم عليه السلام. أم يهيىء لها الأسباب ويحفظ لها عزة نفسها ويسترها من أعين الداخلين إلى الكعبة والخارجين منها.

وما هي إلا برهة من الزمن، وإذا بالبيت قد انفتح عن ظهره. فدخلت فاطمة بنت أسد من خلال الشق داخل البيت المحرم. والتزق الحائط. وغابت فاطمة عن الأبصار.

كل ذلك والعباس ويزيد بن قعنب ومن معهما من بني هاشم كان على مرأى منهم. وما ان التزق الحائط حتى توجهوا مسرعين نحو البيت بغية انقاذها متوهمين أن ذلك قد حدث مصادفة وسيكون خطراً عليها.

ويروى عن يزيد بن قعنب قال: رمنا ان ينفتح لنا قفل الباب فلم ينفتح. فعلمنا أن ذلك من أمر الله تعالى.

قضت فاطمة بنت أسد داخل الكعبة الشريفة ثلاثة أيام. وفي اليوم الرابع. وإذا بفاطمة بنت أسد قد خرجت وبيدها وليدها علي بن أبي طالبعليه السلام[1].

الإبن الأكبر: وما كان من أمر أبي طالبعليه السلام يا أبي؟

الأب: كان أبو طالب منتظراً خروجها بلهفة. وما ان خرجت حتى استقبلها مهنئاً على سلامتها. ومباركاً لها وليده. ثم تناول منها وليده وضمه إلى صدره بشوق ولهفة. ثم أذن في الناس أذاناً جامعاً: هلموا إلى وليمة إبني. ونحر ثلثمائة من الإبل وألف رأس من البقر والغنم. واتخذوا وليمة عظيمة، أكل منها الناس جميعاً.

وفي رواية: أن النبيصلى الله عليه وآله دخل المسجد الحرام فرأى عمه أبا طالب مهموماً مغموماً. فقالصلى الله عليه وآله له: يا عم. مالي أراك مغموماً؟ فقال: ان فاطمة قد اخذها الطلق. فأخذ النبيصلى الله عليه وآله بيد عمه أبي طالب واتيا إلى فاطمة بنت أسد. فأخذ فاطمة إلى الكعبة. وأدخلها الكعبة وقال لها: اجلسي بسم الله. فإن هذا المولود المكرم ينبغي أن يولد في هذا المكان المحترم[2].

الإبن الأكبر: وهل ذكرت كتب التاريخ هذه الفضيلة لأمير المؤمنينعليه السلام يا أبي؟

---

(١) راجع علل الشرائع لابن بابويه حـ ١ ص ١٢٩ وجلاء العيون للسيد عبد الله شبر حـ ١ عن رواية الإمام الصادقعليه السلام ويزيد بن قعنب والعباس بن عبد المطلب وعائشة.

(٢) راجع المسعودي في مروج الذهب حـ ٢ ص ٤ وشرح قصيدة العمري للآلوسي، وكتاب شجرة طوبى للشيخ محمد مهدي الحائري حـ ٢ ص ٩.

الأب: ان أفضال الله تعالى على آل البيت عليهم السلام لم يستطع المناوئين أو المبغضين اخفاءها أو التشويش عليها. لأن الله جلت عظمته أرادها أن تكون حجة لهم على الناس. وقد ذكر هذه الفضيلة جمع من الكتاب والعلماء منهم على سبيل المثال الحاكم في المستدرك على الصحيحين حـ ٣ ص ٤٨٣ وابن طلحة الشافعي في مطالب السئول ص ١١ وابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة ص ١٤ والدهلوي في إزالة الخفا وسبط بن الجوزي في تذكرة الخواص ص ٨ والصفوري الشافعي في نزهة المجالس حـ ٢ ص ٢٠٤ والمسعودي في مروج الذهب حـ ٢ ص ٤ والشبلنجي في نور الأبصار ص ٧٣ وآخرين غيرهم.

الإبن الأكبر: وهل تغنى الشعراء بهذه المنقبة يا أبي؟

الأب: نعم يا ولدي. لقد تغنى الشعراء بها كما تغنوا بغيرها من الفضائل التي منّ الله تعالى بها على آل البيت النبوي الأطهار. ومن بين من تغنى بها شاعر القرن الثاني للهجرة السيد الحميري رحمه الله فقال:

ولدته في حرم الإله وأمنه	والبيت حيث فناؤه والمسجدُ
بيضاء طاهرة الثياب كريمة	طابت وطاب وليدها والمولد
في ليلة غابت نحوس نجومها	وبدت مع القمر المنير الأسعد
مالف في خرق القوابل مثله	الا ابن آمنة النبي محمد[1]

الإبن الأوسط: المعروف عندنا ان علياً عليه السلام إسمه أيضاً حيدرة وإسمه الكرار وغيرها من الأسماء، فماذا تعرف عن أسمائه عليه السلام يا أبي؟ وهل ان لبعض أسمائه سبباً أو حدثاً معيناً؟

الأب: هذا ما سنتحدث عنه يوم غد إن شاء الله تعالى.

(١) ذكر هذه الأبيات الشيخ الأميني في كتابه الغدير وصاحب كتاب شجرة طوبى حـ ٢ ص ١٠.

«اليوم الثاني»

«أسماء أمير المؤمنين عليه السلام وكناه وألقابه»

كان الأبناء متشوقين لحديث أبيهم. وبمجرد أن وجدوه غير مشغولاً في شيء اجتمعوا حوله. وكانت تعلو وجوههم ابتسامة حلوة جميلة. وكان الأب يسعد كثيراً كلما شاهدهم كذلك. وقبل أن يبدأوه بحديث قال الأب:

اعلموا يا أبنائي أن آل البيت النبوي الأطهار حينما يولد لأي منهم مولود يسمونه ويكنوه. أما اللقب فكان يأتيه ويطلق عليه وهو في حياته.

الإبن الأوسط: وما الفرق بين الإسم والكنية واللقب يا أبي؟

الأب: سأعطيك مثالاً على ذلك وستعرف الفرق بينها من خلاله. فمثلاً الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: كان إسمه علياً. ويكنى بأبي الحسن وأبي الحسين. ويلقب أمير المؤمنين.

الإبن الأوسط: وهل هذه وحدها هي أسماء الإمام علي عليه السلام يا أبي؟

الأب: لا يا ولدي. لعلي عليه السلام أسماء وكنى وألقاب عدة. فمن قصيدة لشاعر القرن الرابع الهجري أبي طلحة بن عبيد الله بن أبي عون الغساني

العوني تعرف بالقصيدة المذهبة[1]. يذكر فيها بعضاً من أسماء أمير المؤمنين وألقابه وكناه قال فيها:

ان علـيـاً عـنـد أهـل الـعـلـم أول مـن سـمـي بـهـذا الإسـم
قـد نـالـه مـن ربـه فـي الـحـكـم عـلـى يـدي أخـيـه وابـن الـعـم
وحـيـاً قـديـم الـفـضـل عـدمـلـيـا

وهـو الـذي سـمـي فـي الـتـوراة عـنـد الأولـي هـاد مـن الـمـهـداةِ
مـن كـل عـيـب فـي الـورى بـريـا

وهـو الـذي يـعـرف عـنـد الكهـنـة اذ جـمـعـوا الـتـوراة فـي الـمـمـتـحـنـةِ
فـاخـذوا مـن كـل شـيء حـسـنـه وهـم لـتـوراة الـكـلـيـم خـزنـه
لـيـوردوا الـحـق لـهـم بـوريـا

وهـو الـذي يـعـرف بـالإنـجـيـل بـرتـبـة الاعـظـام والـتـبـجـيـلِ
ومـيـزة الـعـزة والـتـحـجـيـل وفـوزة الـرقـيـب لـلـمـجـيـل
وكـان يـدعـى عـنـدهـم الـيـا

وهـو الـذي يـعـرف بـالـزبـور زبـور داود حـلـيـف الـنـور
وذي الـعـلا والـعـلـم الـمـنـشـور فـي اسـم الـهـزبـر الأسـد الـهـصـور
لـيـث الـوغـا اعـنـي بـه آريـا

وهـو الـذي تـدعـوه مـا بـيـن الـورى اكـابـر الـهـنـد واشـيـاخ الـقـرى
ذووا الـعـلـوم مـنـهـم بـكـنـكـرا لأنـه كـان عـظـيـمـاً خـطـرا
وكـنـكـر كـان لـه سـمـيـا

وهـو الـذي يـعـرف عـنـد الـروم بـبـطـرس الـقـوة والـعـلـوم
وصـاحـب الـستر لـهـا الـمـكـتـوم ومـالـك الـمـنـطـوق والـمـفـهـوم
ومـن يـكـن ذا يـدع بـطـرسـيـا

وهـو الـذي يـعـرف عـنـد الـفـرس لـدى الـتـعـالـيـم وعـنـد الـدرس

(١) توجد القصيدة المذهبة للعوني في كتاب الغدير للآميني حـ ٤ ص ١٢٤.

بـتـغـرسـنـا وذاك اسـم قـدسـي		مـعـنـاه قـابـض بـكـل نـفـس
كـمـا دعـوه عـنـدهـم بـاريـا
وهـو الـذي يـعـرف عـنـد الـترك		ثـيـرا وذاك مـشـبـه الـمـحـك
وانـه يـرفـع كـل شـك		عـن كـل حـاك قـولـه ومـحـكـي
إذا عـرفـت الـمـنـطـق الـتـركـيـا
وهـو الـذي يـدعـونـه بـالـحـبـش		بـتـريـك أي مـدبـر لا يـخـتـشـي
لـقـدرة بـه وبـطـش مـدهـش		ويـنـعـتـونـه بـأقـوى قـرشـي
فـاسـأل بـه مـن يـعـرف الـحـبـشـيـا
وهـو الـذي يـعـرف عـنـد الـزنـج		بـجـنـبـنـي أي مـهـلـك ومـنـج
وقـاطـع الـطـريـق فـي الـمـحـج		الا بـإذن فـي سـلـوك الـنـهـج
فـإن أردت فـاسـأل الـزنـجـيـا
وهـو فـريـق بـلـسـان الأرمـنِ		فـاروقـه الـحـق لـكـل مُـؤمـنِ
تـعـرفـه اعـلامـهـم فـي الـزمـن		فـاسـأل بـه ان كـنـت مـمـن يـعـتـنـي
تـحـقـيـقـه مـن كـان ارمـنـيـا
وهـو الـذي سـمـتـه تـلـك الـجـوهـرة		اذ ولـدت فـي الـكـعـبـة الـمـطـهـرة
وخـرجـت بـه فـقـال الـجـمـهـرة		مـن ذا؟ فـقـالـت هـو شـبـلـي حـيـدره
ولـدتـه مـطـهـراً قـدسـيـا
هـذا وقـد لـقـبـهُ ظـهـيـرا		أبـوهُ إذ شـاهـده صـغـيـرا
يـصـرع مـن اخـوانـه الـكـبـيـرا		مـشـمـراً عـن سـاعـد تـشـمـيـرا
وكـان عـبـلاً فـتـلاً قـويـا
ولـقـبـتـه ظـئـره مـيـمـونـا		اذرأت الـسـعـد بـه مـقـرونـا
فـكـان دراً عـنـدهـا مـكـنـونـا		يـحـمـي اخـا الـرضـاعـة الـمـنـونـا
ثـم يـدر ثـديـهـا الابـيـا
واسـم اخـيـه فـي بـنـي هـلال		مـعـلـق الـمـيـمـون بـالـحـبـال

يـذكـره فـي سـمـر الـلـيـالـي	رجـالـهـم فـاسـمـع مـن الـرجـال
مـوهـبـة خـص بـهـا صـبـيـا

والإسـم عـنـد الله فـي الـعـلا عـلـي	وهـو الـصـريـح والـصـحـيـح والـجـلـي
اشـتـقـه مـن إسـمـه فـي الأزل	كـمـثـل مـا اشـتـق لـخـيـر الـرسـل
ومـنـح الـنـبـي والـوصـيـا

واتـفـقـت آراء أهـل الـعـلـم	على اسمه من دون معنى الإسم
فـاخـتـلـفـت فـي قـصـده والـفـهـم	لـه وكـلٌ لـم يـطـش بـسـهـم
إذ قـد أصـاب الـغـرض الـمـرقـيـا

فـقـال قـوم قـد عـلا بـرازا	اقـرانـه وابـتـزهـا ابـتـزازا
فـمـا رآه الـقـرن الا انـحـازا	وكـان دونـا سـافـلاً فـامـتـازا
فـهـو عـلـي اذ عـلا الـعـديـا

وقـال قـوم قـد عـلا مـكـانـاً	مـتـن الـنـبـي ورمـى الأوثـانـا
إذ لـم يـطـق حـمـل الـنـبـي كـانـا	من ثـقـل الـوحـي حـكـى ثـهـلانـا
فـنـال مـنـه الـمـنـزل الـعـلـيـا

وقـال فـرقـة عـلاهـمْ عـلـمـا	فـكـان اقـضـاهـم لـذاك حـكـمـا
ومـن إلـى الـقـضـاء قـد تـسـمـا	يـكـون اعـلـى رفـعـة وأسـمـى
فـوال ذاك الـعـلـم الـسـمـيـا

الإبن الأوسط: وأي إسم من هذه الأسماء سمي به عند ولادته عليه السلام؟

الأب: كانت أمه السيدة فاطمة بنت أسد تريد أن تسميه على إسم أبيها أسد. فسمته حيدرة. وحيدرة إسم من أسماء الأسد. وهذا ما أشار إليه الإمام علي عليه السلام في أرجوزته التي قالها يوم خيبر حينما برز لقتال مرحب اليهودي. إذ قال فيها:

انـا الـذي سـمـتـنـي أمـي حـيـدرة	ضـرغـام آجـام ولـيـث قـسـوره

اكيلكم بالصاع كيل السندرة[1]

أما أبو طالب عليه السلام فقد حمل وليده على صدره وخرج إلى الأبطح ونادى:

يا رب هذا الغسق الدجي والقمر المنبلج المضي
بين لنا من حكمك المقضي ماذا تراه في إسم ذا الصبي[2]

فجاء شيء كالسحاب يدب على وجه الأرض حتى حصل في صدر أبي طالب فضمه مع علي إلى صدره. فلما انبلج وإذا هو بلوح فيه مكتوب:

خصصتما بالولد الذكي والطاهر المنتخب الرضي
ان إسمه من شامخ علي علي اشتق من العلي

ومما يذكر في كتب التاريخ والسير ان اللوح هذا علق في الكعبة حتى أخذه هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم[3].

الإبن الأكبر: وما كان من ألقابه عليه السلام يا أبي؟

الأب: لأمير المؤمنين عليه السلام ألقاب عدة. منها ما لقبه بها رسول الله صلى الله عليه وآله. كما هو الحال للقبه أمير المؤمنين. ولقبه: قائد الغر المحجلين. والوصي. وخاتم الأوصياء وسيدهم.

الإبن الأوسط: وهل لهذه الألقاب قصة أو مناسبة يا أبي؟

الأب: يروى أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لأنس بن مالك: يا أنس. أسكب لي وضوءاً. ثم قام فصلى صلى الله عليه وآله ركعتين. ثم قال لأنس: يا أنس. أول من

---

(١) قال أبو العباس أحمد بن يحيى كما في لسان العرب حـ ٥ ص ٢٤٦: لم يختلف الرواة في أن هذه الأبيات لعلي عليه السلام.

(٢)روى الكنجي الشافعي في كتابه الكفاية ص ٢٦١ هذه الأبيات باختلاف بسيط.

(٣) جلاء العيون للسيد عبد الله شبر حـ ١.

يدخل عليك من هذا الباب: أمير المؤمنين. وسيد الوصيين، وقائد الغر المحجلين. وخاتم الوصيين.

قال أنس: قلت اللهم إجعله رجلاً من الأنصار وكتمته. إذ جاء علي بن أبي طالب عليه السلام.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: من هذا يا أنس؟ فقلت: علي. فقام صلى الله عليه وآله مستبشراً فاعتنقه. ثم جعل يمسح عرق وجهه بوجهه. قال علي عليه السلام: يا رسول الله صلى الله عليه وآله. لقد رأيتك صنعت شيئاً ما صنعت بي من قبل؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: وما يمنعني وأنت تؤدي عني وتسمعهم صوتي. وتبين لهم ما اختلفوا فيه بعدي[١].

وعلي عليه السلام: الفتى وهذا اللقب جاءه من السماء حيث نادى مناد من السماء: ان لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي.

وهو عليه السلام الكرار. فمن حديث لرسول الله صلى الله عليه وآله يوم خيبر قال فيه: سأعطي الراية غداً لرجل يحب الله ورسوله ويحبانه. يفتح الله على يديه. كرار غير فرار.

وهو عليه السلام الأخ لرسول الله صلى الله عليه وآله. وهو المواسي والظهير والعابد والزاهد والتقي والنقي والصادق والإمام والسيد والخليفة، وحامي الحمى. وحامي الجار. وأسد الله الغالب. وهو شريف وأمير من وصفهم الله تعالى في كتابه العزيز بالمؤمنين. وهو سيد السابقين والصادقين. وخير البرية ومن شرح الله صدره للإسلام. وهو من كرم الله وجهه وصان مساجده من السجود لغير الله تعالى دون الصحابة. وهو نفس الرسول.

وذكر صاحب كتاب الأنوار: ان لعلي بن أبي طالب عليه السلام في كتاب الله

(١) حلية الأولياء جـ ١ ص ٦٣.

ثلثمائة إسم. فأما في الأخبار فالله أعلم بذلك. ويسمونه أهل السماء سمساطيل. وفي الأرض حمحائيل. وعلى اللوح قنسوم. وعلى القلم منسوم، وعلى العرش معين. وعند رضوان أمين. وعند الحور العين آصب. وفي صحف إبراهيم حربيل. والعبرانية لقياطيس. وبالسريانية شروحيل. وفي التوراة ايليا. وفي الزبور اريا. وفي الإنجيل بريا، وفي الصحف حجر العين، وفي القرآن عليا. وعند النبي ناصراً. وعند العرب مليا، وعند الهند كبكوا. وعند الروم بطريس. وعند الأرض فريق، وعند الصقلاب فيروق. وعند الفرس فيروز. وعند الفلاسفة يوشع. وعند السياطين مدمر. وعند المشركين الموت الأحمر. وعند المؤمنين السحابة البيضاء، وعند والده حرب وقيل ظهير، وعند أمه حيدرة وقيل أسد، وعند ظئره ميمون. وعند الله علي(١).

وحينما سئل قنبر مولى أمير المؤمنين عليه السلام: مولى من أنت؟ قال:

أنا مولى من ضرب بسيفين. وطعن برمحين. وصلى القبلتين. وبايع البيعتين. وهاجر الهجرتين ولم يكفر بالله طرفة عين.

أنا مولى صالح المؤمنين. ووارث النبيين. وأخو الوصيين. وأكبر المسلمين. ويعسوب المؤمنين، ونور المجاهدين، ورئيس البكائين، وزين العابدين، وسراج الماضيين وضوء القائمين. وأفضل القانتين، ولسان رسول رب العالمين. وأول الوصيين من آل ياسين، والمؤيد بجبريل الأمين. والمنصور بميكائيل اعدائه الناصبين، ومطفىء نيران الموقدين. وافخر من مشى من قريش أجمعين. وأول من حارب واستجلب، أمير المؤمنين. ووصي نبيه في العالمين. وأمينه على المخلوقين. وخليفة من بعث إليها أجمعين. سيد المسلمين والسابقين. وقاتل الناكثين والقاسطين، ومبير المشركين، وسهم من مرام الله على المنافقين. ولسان كلمة العابدين، وناصر

---

(١) راجع كتاب شجرة طوبى للمازندراني الحائري جـ ٢ ص ١٣ من البحار.

دين الله، وولي الله. . . .[1].

ومن خطبة الإمام السجاد زين العابدين عليه السلام التي القاها في مجلس يزيد بن معاوية في الشام، بعد مقتل الإمام السبط الحسين بن علي عليه السلام. قال فيها عليه السلام:

أنا ابن علي المرتضى، أنا ابن من ضرب خراطيم الخلق حتى قالوا لا إله إلا الله. انا ابن من ضرب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله بسيفين. وطعن برمحين، وهاجر الهجرتين، وبايع البيعتين وقاتل في بدر وحنين. ولم يكفر بالله طرفة عين.

أنا ابن صالح المؤمنين، ووارث علم النبيين، وقامع الملحدين. ويعسوب المسلمين، ونور المجاهدين، وزين العابدين، وتاج البكائين. واصبر الصابرين، وافضل القائمين من آل يس رسول رب العالمين.

أنا ابن المؤيد بجبريل، والمنصور بميكائيل. أنا ابن المحامي عن حرم المسلمين. وقاتل المارقين والناكثين والقاسطين، والمجاهد اعدائه الغاصبين، وأفخر من مشى من قريش أجمعين. وأول من أجاب واستجاب لله ولرسوله من المؤمنين. وأول السابقين، وقاصم المعتدين. ومبيد المشركين، وسهم مرامي الله على المنافقين. ولسان حكمة العابدين، وناصر دين الله. وعيبة علمه.

سمح سخي، بهلول زكي ابطحي رضي مقدام همام صابر صوام مهذب قوام، قاطع الاصلاب، مفرق الأحزاب، اربطهم عناناً، واثبتهم جناناً، وامضاهم عزيمة، واشدهم شكيمة، أسد باسل. يطحنهم في الحروب إذا ازدلفت الاسنة، وقربت الاعنة. طحن الرحى، ويذروهم فيها ذرو الريح الهشيم.

---

(١) راجع الاختصاص للشيخ المفيد تقديم السيد محمد الخرسان ص ٦٨ ـ ٦٩ باب قنبر.

ليث الحجاز. وكبش العراق، مكي مدني. حنفي عقبي بدري احدي. شجري مهاجري. من العرب سيدها، ومن الوغى ليثها. وارث المشعرين، وأبو السبطين، الحسن والحسين. ذلك جدي علي بن أبي طالب عليه السلام.

الإبن الأكبر: أليس القول أبا الحسن أو أبا الحسين، كنية لأمير المؤمنين يا أبي؟

الأب: نعم يا ولدي، لأمير المؤمنين علي عليه السلام عدة كنى. منها أبا الحسن، وأبا الحسين، وأبا السبطين، وأبا الريحانتين، وأبا تراب وغيرها.

الإبن الأوسط: وهل لهذه الكنى أسباب أو قصص يا أبي؟

الأب: قولنا أبا الحسن وأبا الحسين. فهذا يعني أنه عليه السلام أباهما عليهما السلام وهما كما لا يخفي أبناء علي عليه السلام.

أما القول أبا السبطين. وأبا الريحانتين، فلان النبي قال عن الحسنين عليهما السلام انهما سبطاي. وقال صلى الله عليه وآله عنهما أيضاً: انهما ريحانتاي. وروي أن النبي صلى الله عليه وآله قال لعلي عليه السلام: السلام عليك يا أبا الريحانتين[1].

أما بالنسبة لكنيته أبي تراب فهذا ما كناه به رسول الله صلى الله عليه وآله. فقد روي أن النبي صلى الله عليه وآله في غزوة العشيرة وجد علياً عليه السلام وعماراً نائمين وقد علق التراب بعلي عليه السلام. فايقظه النبي صلى الله عليه وآله قائلاً: قم أبا تراب. لما يرى عليه من التراب الذي سفته عليه الريح. ومنها كني بأبي تراب[2].

ولأمير المؤمنين عليه السلام خطبة تدعى بخطبة البيان يقول عليه السلام فيها:

---

(١) زخائر العقبى في مناقب زوي القربى لمحب الدين الطبري ص ٥٦.

(٢) راجع الطبري حـ ٢ ص ٢٦٢ ومسند أحمد حـ ٤ ص ٢٦٣ والسيرة الحلبية حـ ٢ ص ١٣٥، وتاريخ الخميس حـ ١ ص ٤١٠ والرياض النضرة حـ ٢ ص ١٥٤ وامتاع المقريزي ص ٥٥ والمستطرف للابشيهي حـ ٢ ص ٣٥.

أيها الناس، أنا المخبر عن الكائنات، أنا مبين الآيات، سفينة النجاة، أنا سر الخفيات، أنا صاحب البينات، أنا مغيض الفرات، أنا معرب التوراة، أنا المؤلف للشتات، أنا مظهر المعجزات، أنا مكلم الأموات، أنا مفرج الكربات، أنا محلل المشكلات، أنا مزيل الشبهات، أنا ضيغم الغزوات، أنا مزيل المهمات، أنا آية المختار، أنا حقيقة الأسرار، أنا الظاهر علي حيدر الكرار، أنا الوارث علم المختار. أنا مبيد الكفار، أنا أبو الأئمة الأطهار، أنا قمر السرطان. أنا شعر الزبرقان، أنا أسد الشدة، أنا سعد الزهرة، أنا مشتري الكواكب. أنا زحل الثواقب، أنا عين الشرطين. أنا عنق السبطين. أنا حمل الإكليل. أنا عطارد التعطيل. أنا قوس العراق. أنا فرقد السماك. أنا مريخ الفرقان. أنا عين الميزان. أنا ذخيرة الشكور. أنا مصحح الزبور. أنا مؤمل التأويل، أنا مصحف الإنجيل. أنا فصل الخطاب، أنا أم الكتاب. أنا منجد البررة، أنا صاحب البقرة. أنا مثقل الميزان. انا صفوة آل عمران. أنا علم الاعلام. أنا جملة الأنعام. أنا خامس أهل الكساء، أنا تبيان النساء. أنا صاحب الاعراف. أنا مبيد الأسلاف. أنا مدير الكرم، أنا توبة الندم، أنا الصاد والميم. أنا سر إبراهيم. أنا محكم الرعد، أنا سعادة المجد، أنا علانية المعبود، أنا مستنبط هود. أنا نحلة الخليل، أنا آية بني إسرائيل. أنا مخاطب الكهف. أنا محبوب الصحف، أنا الطريق الأقوم. أنا موضح مريم، أنا السورة لمن تلاها. أنا آل طه، أنا ولي الاصفياء، أنا الظاهر مع الأنبياء، أنا مكرر الفرقان، أنا آلاء الرحمن. أنا محكم الطواسين. أنا إمام آل ياسين. أنا حاء الحواميم. أنا قسم آلم. أنا صاحب الطور. أنا باطن السرور. أنا عتيد قاف، أنا قارع الاحقاف، أنا مرتب الصافات، أنا سورة الواقعة أنا العاديات والقارعة. أنا نون والقلم، أنا مصباح الظلم، أنا مؤل القران. أنا مبين البيان. أنا صاحب الجنان. أنا كيوان الأمكان، أنا تبيان الامتحان. أنا الأمان من النيران. أنا حجة الله على الأنس والجان. أنا أبو الأئمة الأطهار. أنا أبو

المهدي القائم آخر الزمان.

الإبن الأوسط: هل بالإمكان وصف أمير المؤمنين علي عليه السلام وكأني أنظره أمامي؟ فإنني مشتاق جداً أن أراه يا أبي.

الأب: سوف احدثكم عن وصف أمير المؤمنين عليه السلام في يوم آخر إن شاء الله.

---

(١) الخطبة التي ألقاها الإمام علي عليه السلام في الكوفة، والتي رويت عن محمد بن أحمد الجرجاني عن طوق بن مالك عن أبيه عن جده عن عبد الله بن مسعود عن أمير المؤمنين علي عليه السلام.

«اليوم الثالث»

«صفاته عليه السلام وخصائصه»

جلس أبناء محمد كعادتهم في كل مرة حول أبيهم شوقاً ورغبة لحديث الأب، الا ان الناظر إليهم لا يمكنه أن يجزم ان اهتمامهم وشوقهم للحديث نابع عن طريقة سرد الحديث من الأب والذي اجتذبهم بها. أم أن الحديث عن الإمام علي عليه السلام هو الذي شدهم إليه بهذه القوة، وعلى كل حال المهم هو تحقيق الهدف الذي من أجله قام الأب بمحادثة أبنائه.

قال الأب: أن صفات كل إنسان لا يمكن أن توجد بعينها في إنسان آخر، وإنما من الممكن أن يحمل البعض من الصفات بنسبة عالية مما هو موجود عند غيرهم.

وصفات أمير المؤمنين عليه السلام منها ما هو منظور بالعين، ومنها ما هو محسوس بالعقل والضمير، وهكذا هو الحال بالنسبة لصفات جميع البشر.

الإبن الأوسط: ماذا تعني يا أبي بقولك: ومنها ما هو محسوس بالعقل والضمير؟

الأب: ان الذي أعنيه يا ولدي هو أن صفات كل إنسان يمكن أن نقسمها إلى قسمين، القسم الأول: هو الصفات الجسمية للفرد، كالطول والقصر

واللون وتفاصيل الجسم وما إلى ذلك من الصفات التي نراها ظاهرة للعيان. والقسم الثاني: هي الصفات الشخصية، كالشجاعة والجبن والعفة والعقل والحكمة وغيرها من الصفات التي امتازت بها ذات الشخصية وليس شكلها الخارجي.

الإبن الأكبر: إذن حدثنا يا أبي عن كل ما امتاز به أمير المؤمنين عليه السلام عن غيره سواء في جسمه أو شخصيته.

الأب: ان الصفات الجسمية لأمير المؤمنين عليه السلام كما تحدث بها ولده محمد بن الحنفية والذي قال ابن حنبل: أن أتم ما ورد في وصفه عليه السلام من الأخبار حديث حدث به أبو الفرج الأصفهاني من أحمد بن الجعد وعبد الله بن محمد البغوي قالا: حدثنا سويد بن سعيد قال: حدثنا داود بن عبد الجبار بن إسحاق قال: وصف محمد بن الحنفية أباه فقال:

كان ربع القامة. أزج الحاجبين، أدعج العينين أنجل، كان وجهه القمر ليلة البدر حسناً، وهو إلى السمرة.

أصلع له حفاف من خلفه كأنه أكليل. وكان عنقه إبريق فضة، وهو أرقب. ضخم البطن، أقرى الظهر. عريض الصدر، محض المتن، شثن الكفين، ضخم الكسور، لا يبين عضده من ساعده. قد أدمجت أدماجاً، عبل الذراعين، عريض المنكبين، عظيم المشاشين، كمشاش السبع الضاري، له لحية قد زانت صدره. غليظ العضلات، حمش الساقين[1].

وذكر محمد بن حبيب البغدادي صاحب المحبر الكبير أن علياً عليه السلام كان ادم اللون حسن الوجه[2].

---

(١) راجع الفضائل المخطوط لإبن حنبل ص ٣٦ ـ ٣٧.

(٢) الفضائل للخوارزمي ص ١٢.

أما بالنسبة للصفات الشخصية لأمير المؤمنين عليه السلام فهي ما سجلها له التاريخ الإسلامي وما اختلف فيها اثنان.

فيكفي لمعرفة شخصيته عليه السلام معرفة تامة حينا نعرف أنه ربيب المصطفى محمد صلى الله عليه وآله ومن ورث عن آبائه وأجداده من بني عبد المطلب وبني هاشم كل ما حملوا من خصال نبيلة وكريمة سجلها لهم التاريخ.

ويكفينا أيضاً ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله في علي عليه السلام، ألم يقل صلى الله عليه وآله: علي مني وأنا من علي، ألم يقل صلى الله عليه وآله أيضاً: دمه دمي ولحمه لحمي، ألم يوصف علي عليه السلام بنفس رسول الله صلى الله عليه وآله في آية المباهلة، ألم يخلق الله تعالى النور الذي سبح الله تعالى يمنة العرش والذي أودعه في صلب آدم عليه السلام ومنه انتقل إلى الأصلاب الطاهرة والأرحام المطهرة حتى أودعه في صلب عبد الله ومنه انقسم حرين فكان احدهما المصطفى محمد صلى الله عليه وآله والحر الآخر أمير المؤمنين عليه السلام.

ألم يثبت العلم أن التوائم وخصوصاً التوائم التي تتولد من بويضة واحدة يحملون نفس الصفات والخصائص.

إذن حمل علي أن لم يكن كل خصائص مكونات شخصية رسول الله صلى الله عليه وآله فهو عليه السلام قد حمل معظمها، وهذا يكفي للحكم على كون شخصية أمير المؤمنين عليه السلام شخصية متكاملة.

أما بالنسبة لمشابهة علي عليه السلام لبعض الأنبياء عليهم السلام فهذا ما جاءت به الأحاديث النبوية الشريفة، فمما روى عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وهو في محفل من أصحابه:

ان تنظروا إلى آدم في علمه، ونوح في همه، وإبراهيم في خلقه، وموسى في مناجاته. وعيسى في سنه، ومحمد في هديه وحلمه، فانظروا إلى هذا المقبل.

فتطاول الناس. فإذا هو علي بن أبي طالب عليه السلام[1].

وقد ورد هذا الحديث النبوي الشريف بعدة الفاظ، وكلها تجعل من علي نموذجاً مشابهاً لخصائص بعض الأنبياء عليهم السلام، ومن هذه الألفاظ ما رواه البيهقي في فضائل الصحابة حيث قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في تقواه، وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى موسى في هيبته، وإلى موسى في عبادته، فلينظر إلى علي بن أبي طالب عليه السلام.

وأخرج الخوارزمي بإسناده من طريق إبن مردويه عن الحارث الأعور صاحب راية أمير المؤمنين عليه السلام قال: بلغنا ان النبي صلى الله عليه وآله كان قد جمع من أصحابه فقال: صلى الله عليه وآله.

أريكم آدم في علمه، ونوحاً في فهمه، وإبراهيم في حكمته... فلم يكن أسرع من أن طلع علي عليه السلام.

فقال أبو بكر: يا رسول الله صلى الله عليه وآله، اقست رجلاً بثلاثة من الرسل؟ بخ بخ لهذا الرجل، من هو يا رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال النبي صلى الله عليه وآله: أولاً تعرفه يا أبو بكر؟ قال: الله ورسوله اعلم. قال صلى الله عليه وآله: هو أبو الحسن علي بن أبي طالب.

فقال أبو بكر: بخ بخ لك يا أبا الحسن[2].

وأخرج الكنجي عن إبن عباس قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وآله جالس في جماعة من أصحابه إذ أقبل علي عليه السلام. فلما أبصر به رسول الله صلى الله عليه وآله قال:

من أراد منكم أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في حكمته، وإلى

---

(١) ذكره الحموي في معجم الأدباء جـ ١٧ ص ٢٠٠ نقلاً عن تاريخ إبن بشر.

(٢) المناقب للخوارزمي ص ٤٩.

إبراهيم في حلمه، فلينظر إلى علي بن أبي طالب.

ثم ذكر الكنجي في كتابه كفاية الطالب ص ٤٥ فقال:

تشبيهه لعلي بآدم في علمه: لأن الله علم آدم صفة كل شيء كما قال عز وجل: (وعلم آدم الأسماء كلها). فما من شيء ولا حادثة إلا وعند علي فيها علم. وله في استنباط معناها فهم.

وشبهه بنوح في حكمته. وفي رواية في حكمه. وكأنه أصح. لأن علياً كان شديداً على الكافرين رؤوفاً بالمؤمنين، كما وصفه الله تعالى في القرآن بقوله: والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم، واخبر الله عن شدة نوح على الكافرين بقوله: رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا.

وشبهه في الحلم بإبراهيم خليل الرحمن كما وصفه عز وجل بقوله: ان إبراهيم للأواه حليم، فكان متخلقاً بأخلاق الأنبياء متصفاً بصفات الأوصياء.

وذكر الرازي في تفسيره الحديث بلفظ آخر:

من أراد أن يرى آدم في علمه ونوح في طاعته. وإبراهيم في خلقه. وموسى في قربه، وعيسى في صفوته، فلينظر إلى علي بن أبي طالب(١).

وأخرج العاصمي في كتابه زين الفتى في شرح سورة هل أتى بإسناده من طريق الحافظ عبيد الله إبن موسى العبسي عن أبي الحمراء قال:

قال رسول الله ﷺ: من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه وإلى نوح في فهمه، وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى موسى في بطشه فلينظر إلى علي بن أبي طالب عليه السلام.

---

(١) من الذين رووا الحديث هذا أو باختلاف اللفظ كل من التفتازي الشافعي في شرح المقاصد جـ ٢ ص ٢٩٩ والايجي في المواقف جـ ٣ ص ٢٧٦ والصفوري في نزهة المجالس ٢ ص ٢٤٠ وابن الصباغ في الفصول المهمة ص ٢١ نقلاً عن البيهقي في الفضائل. ورواه أيضاً أحمد القادين خاني في هداية المرتاب ص ١٤٦ وغيرهم.

وبإسناد آخر من طريق العبسي أيضاً: وزاد: وإلى يحيى بن زكريا في زهده.

قال العاصمي: أما آدم فإنه وقعت المشابهة بين المرتضى وبينه بعشرة أشياء:

١/ بالخلق والطينة.

٢/ بالمكث والمدة.

٣/ بالصاحبة والزوجة.

٤/ بالتزويج والخلعة.

٥/ بالعلم والحكمة.

٦/ بالذهن والفطنة.

٧/ بالأمر والخلافة.

٨/ بالإعداد والمخالفة.

٩/ بالوفاء والوصية.

١٠/ بالأولاد والعترة.

ثم بسط القول في وجه هذه كلها.

وقال: ووقعت المشابهة بين المرتضى وبين نوح بثمانية أشياء:

١/ بالفهم.

٢/ بالدعوة.

٣/ بالإجابة.

٤/ بالسفينة.

٥/ بالبركة.

٦/ بالسلام.

٧/ بالشكر.

٨/ بالاهلاك.

ثم وجه الشبه في هذه كلها.

وقال: ووقعت المشابهة بين المرتضى وبين إبراهيم الخليل بثمانية أشياء:

١/ الوفاء.

٢/ الوقاية.

٣/ بمناظرة أباه وقومه[١].

٤/ باهلاك الأصنام بيمينه.

٥/ ببشارة الله إياه بالولدين هما من أصول انساب الأنبياء عليهم السلام.

٦/ باختلاف احوال ذريته من بين محسن وظالم.

٧/ بابتلاء الله تعالى إياه بالنفس والولد والمال.

٨/ بتسمية الله تعالى إياه خليلاً حتى لم يؤثر شيئاً عليه.

ثم فصل وجه الشبه فيها.

وقال: ووقعت المشابهة بين المرتضى وبين يوسف الصديق بثمانية أشياء:

(١) ان أبا علي عليه السلام مؤمن قطعاً. والمؤمن لا يناظر لأن ذلك منتفي الحاجة، ووجه المشابهة في مناظرة قومه.

١/ بالعلم والحكمة في صغره.

٢/ بحسد الأخوة له.

٣/ بنكثهم العهود فيه.

٤/ بالجمع له بين العلم والملك في كبره.

٥/ بالوقوف على تأويل الأحاديث.

٦/ بالكرم والتجاوز عن أخوته.

٧/ بالعفو عنهم وقت القدرة عليهم.

٨/ بتحويل الديار.

ثم قال بعد بيان وجه الشبه فيها:

ووقعت المشابهة بين المرتضى وبين موسى الكليم عليه السلام بثمانية أشياء:

١/ الصلابة والشدة.

٢/ بالمحاججة والدعوة.

٣/ بالعصا والقوة.

٤/ بشرح الصدر والفسحة.

٥/ بالأخوة والقربة.

٦/ بالود والمحبة.

٧/ بالأذى والمحنة.

٨/ بميراث الملك والإمرة.

وبين وجه التشبيه فيها، ثم قال:

ووقعت المشابهة بين المرتضى وسليمان بثمانية أشياء:

١/ بالفتنة والابتلاء في نفسه.

٢/ بتسليط الجسد على كرسيه.

٣/ بتلقين الله إياه في صغره بما استحق به الخلافة.

٤/ برد الشمس لأجله بعد المغيب.

٥/ بتسخير الهوى والريح له.

٦/ بتسخير الجن له.

٧/ بعلمه منطق الطير والجوامد وكلامه إياه.

٨/ بالمغفرة ورفع الحساب عنه.

ثم بين وجه التشبيه فيها. ثم قال:

ووقعت المشابهة بين المرتضى وبين أيوب بثمانية أشياء:

١/ بالبلايا في بدنه.

٢/ بالبلايا في ولده.

٣/ بالبلايا في ماله.

٤/ بالصبر على الشدائد.

٥/ بخروج الجميع عليه.

٦/ بشماتة الأعداء.

٧/ بالدعاء لله تعالى فيما بين ذلك وترك التواني فيها.

٨/ بالوفاء للنذر والاجتناب عن الحنث.

وقال بعد بيان وجه التشبيه.

ووقعت المشابهة بين المرتضى وبين يحيى بن زكريا بثمانية أشياء:

١/ بالحفظ والعصمة.

٢/ بالكتاب والحكمة.

٣/ بالتسليم والتحية.

٤/ ببر الوالدين.

٥/ بالقتل والشهادة لأجل امرأة مفسدة.

٦/ بشدة الغضب والنقمة من الله تعالى على قتله.

٧/ بالخوف والمراقبة.

٨/ بفقد السمي والنظر له في التسمية.

ثم قال بعد بسط الكلام حول التشبيه فيها:

ووقعت المشابهة بين المرتضى وبين عيسى عليه السلام بثمانية أشياء:

١/ بالإذعان لله المتعال.

٢/ بعلمه بالكتاب طفلاً ولم يبلغ مبالغ الرجال.

٣/ بعلمه بالكتابة والخطابة.

٤/ بهلاك الفريقين فيه من أهل الضلال.

٥/ بالزهد في الدنيا.

٦/ بالكرم والأفضال.

٧/ بالأخبار عن الكواين في الاستقبال.

٨/ بالكفاءة.

ثم بين وجه التشبيه فيها[1].

الإبن الأكبر: كيف تربى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يا أبي؟

الأب: سنتحدث عن ذلك في يوم آخر يا ولدي.

(١) الغدير للشيخ الأميني جـ ٣ ص ٣٥٦ عن زين الفتى للعاصمي.

«اليوم الرابع»

«كيف تمت تربية علي عليه السلام»

بمجرد أن اجتمع الأبناء حول أبيهم بدأ حديثه قائلاً: حينما ولد لأبي طالب إبنه الرابع علياً كان النبي صلى الله عليه وآله ما زال في بيت عمه. وكان له من العمر ثمان وعشرين عاماً وقيل ثلاثون. وما ان مرت على ولادة الطفل أيام حتى قال النبي محمد صلى الله عليه وآله لفاطمة بنت أسد: اجعلي مهده بقرب فراشي. فلبت السيدة فاطمة طلب العزيز محمد صلى الله عليه وآله، ووضعت مهد وليدها جنب فراشه. فأخذ النبي صلى الله عليه وآله يلي أكثر تربيته، وكان يناغيه ويداعبه وهو مسرور به إيما سرور. وما ان وجد النعاس قد بدأ يداعب عينيه حتى يأخذ بتحريك مهده.

وكبر علي شيئاً فشيئاً وكبر حب الطفل لابن عمه، حتى صار يفتقده حينما لا يجده قريباً منه ومداعباً له، وصار محمد صلى الله عليه وآله يحمل الطفل على صدره ورقبته وهو يقول هذا أخي ووليي وناصري وصفيي وذخيرتي وكهفي وصهري ووصيي وزوج كريمتي وأميني على وصيتي وخليفتي.

وروي عن الإمام الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام قال: كان النبي صلى الله عليه وآله يحمل علياً عليه السلام ويطوف به جبال مكة وشعابها وأوديتها وفجاجها.

ومرت الأشهر والسنون وصار الطفل في دور الصبا. وكان يتبع محمدﷺ كظله. أو كما وصف عليعليه السلام اتباعه لمحمدﷺ فقال: وكنت اتبعه اتباع الفصيل أثر أمه، ترى هل كان اتباع علي لمحمدﷺ مجرد انتقال وحركة أم هناك ما هو أكبر من ذلك وأعظم، لنرَّ ذلك من خلال حديث أمير المؤمنين حيث قال: يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً ويأمرني بالاقتداء به.

إذن كان الأمر كبيراً، فمحمدﷺ قد بدأ بتهيأة علي واعداده، بدأ بتعليمه وتربيته، وكان علي مهيأ لاستقبال ما كان محمدﷺ يعلمه إياه.

كانت لأمير المؤمنين عليعليه السلام يوماً كلمة ألقاها على مسامع ولده الحسنعليه السلام فقال له: ان قلب الحدث كالأرض الخالية. ما ألقي فيها شيء قبلته.

نعم كان قلبهعليه السلام وهو صبي كالأرض الخالية. وكان رسول اللهﷺ يلقي بهذه الأرض كل ما هو نافع له. وكل ما هو أهل له. فاصلهعليه السلام وأصل النبيﷺ واحد. وطينتهعليه السلام عين الطينة التي خلق الله تعالى منها حبيبه ورسولهﷺ. وفوق كل ذلك فهي إرادة الله تعالى ان يتربى أمير المؤمنين على يدي سيده المصطفىﷺ.

وفي يوم، شاءت حكمة الله تعالى أن يتزوج محمدﷺ. من أم المؤمنين خديجة بنت خويلد الأسدي، فانتقل النبيﷺ إلى حيث داره التي جمعته مع الإنسانة التي وهبت كل ما تملك لله تعالى ولرسوله الكريم محمدﷺ. وبقدر فرح أبي طالب وفاطمة بنت أسد وأبنائهما بزواج الحبيب الا أن فراغاً كبيراً قد أحدثه محمدﷺ في دار أبي طالب. بل وفراغاً كبيراً ووحشة تركها محمدﷺ في قلب الصبي علي بن أبي طالب. فقد كان التقاؤه بإبن عمه محمدﷺ أقل بكثير من اجتماعه به يوم كان معهم في بيت واحد.

كان العيش في جزيرة العرب صعباً وذلك لكونها صحراء واسعة تكسوها الرمال، وليس هذا فحسب، وإنما كانت أمطارها قليلة، وفي بعض السنين كان انقطاع المطر يسبب جفافاً وهذا بدوره يؤدي إلى هلاك الماشية، وهذا ما حصل في أرض الجزيرة يوماً، فكانت سنة قاحلة جافة جلبت الفقر والمرض والموت لكل كائن حي فقير فيها، ولم يكن أبو طالب بأحسن حال من سكان مكة المكرمة، وهذا ما دعا النبي محمدﷺ يجتمع بأعمامه حمزة والعباس ليبحثوا أمر أبي طالب. وليقدموا له يد العون ليتجاوز شدة ذلك العام دون أن يسببوا له ألماً أو احراجاً يجرح كبرياءه وعزة نفسه. فاقترح محمدﷺ على أعمامه أن يأخذ كل واحد منهم ولداً من أولاد أبي طالب. ويكونوا بذلك قد خففوا عليه عياله ومسؤوليته.

جاء النبي محمدﷺ وبصحبته عميه حمزة والعباس إلى أبي طالب، وعرض عليه الأمر. فقال أبو طالب بلهجة المتألم على ما آل عليه أمره وحاجته وقلة ماله وهو الشيخ الكبير ذي العيال: ان تركتم لي عقيلاً فافعلوا ما شئتم...

فأخذ العباس طالباً...

وأخذ حمزة جعفراً...

وأخذ محمدﷺ علياً...

انتقل طالب حيث بيت عمه العباس بن عبد المطلب.

وانتقل جعفر حيث بيت عمه حمزة بن عبد المطلب.

وانتقل علي حيث بيت إبن عمه وصاحبه ومربيه ومعلمه والقريب إلى روحه محمدﷺ.

الإبن الأكبر: أرى يا أبي إن هذا الأمر ما كان صدفة، وإنما هي إرادة الله تعالى في أن يظل عليعليه السلام في رعاية النبي محمدﷺ.

الأب: نعم يا ولدي، هي حكمة الله تعالى في أن يتربى علياً في بيت

النبوة. ليكتسب وينهل من معين النبوة الذي لا ينضب.

ودخل علي عليه السلام دار النبي صلى الله عليه وآله وأقام فيها. ووجد من أم المؤمنين خديجة كل حب ورعاية واهتمام، فهي أيضاً كانت مختارة من قبل الله تعالى لكي تكون شريكتهم في هذه المسيرة التي نقلت الناس من الظلمات إلى النور، من الجهل والتخلف إلى تحكيم العقل والتقدم والرقي، بل نقلت الناس من غضب الله عليهم باشراكهم إلى رضاه سبحانه وتعالى بإيمانهم وعبادتهم لله الفرد الصمد.

تعلم علي من رسول الله صلى الله عليه وآله كيف يكون نقياً طاهراً عظيم النفس عظيم الأخلاق عالماً عابداً.

تعلم من سيده ولم يفارقه الا سويعات قلائل من الليل يستلقي بها رسول الله صلى الله عليه وآله على فراشه، مريحاً جسده وفكره من كثرة السجود والتأمل في عظمة الخلاق وعظمة قدرته ومخلوقاته.

كان علي عليه السلام لا يفارق محمد صلى الله عليه وآله، يذهب معه إينما يذهب، يتعبد معه في غار حراء وفي بيت الله الحرام، وفي بيت النبوية.

كان فضل الله تعالى على علي عليه السلام عظيماً أن شرف مساجده، وما سجد لغير الله سبحانه وتعالى.

الإبن الأوسط: وهل سجد الصحابة لغير الله تعالى يوماً يا أبي؟

الأب: نعم يا ولدي لقد كان الكثير منهم مشركين يسجدون لغير الله تعالى قبل الإسلام. وحينما دخلوا الإسلام هداهم الله تعالى وعفا عنهم ما كان منهم قبل ذلك.

الإبن الأكبر: إذن هذه فضيلة أخرى لعلي عليه السلام فضله الله تعالى بها على الصحابة.

الأب: نعم يا ولدي، هذه فضيلة كبيرة لعلي عليه السلام إن كرم الله وجهه ومساجده. الشريفة. وهناك فضائل جمة أخرى فضله الله تعالى بها.

نهل علي عليه السلام من علم النبي ما شاء الله له أن ينهل، فسار به في طريق الفضيلة والعلم والشرف والرفعة والوفاء والاقدام. بل سار به في طريق الخير والصلاح الذي ارتضاه الله لعبادة الصالحين، مما جعل منه صديقاً، بل إماماً للصديقين.

الإبن الأكبر: مَنْ من المسلمين أول من آمن بالله ورسوله يا أبي؟

الأب: حينما نزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وحده في غار حراء، ولم يكن معه علياً. وحينما حضر النبي صلى الله عليه وسلم إلى داره. تلقته زوجته خديجة أحسن لقاء وكان هذا دأبها دائماً، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لها دثريني فإني أحس في برد في أعضائي. فدثرته أم المؤمنين خديجة. وما أن ارتاح النبي صلى الله عليه وسلم حدثها بما كان في غار حراء. فآمنت به خذيجة بنت خويلد الأسدي وصدقته وشهدت إن لا إله إلا الله وإن محمداً عبده ورسوله. وفي اليوم التالي حدث النبي صلى الله عليه وسلم علياً عليه السلام فآمن علي وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد الشهادتين، وبذلك كان علي أول من أسلم من الرجال وخديجة أول من اسلمت من النساء.

ومما يروى عن زيد بن أرقم قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: أنا عبد الله. وأخو رسول الله. وأنا الصديق الأكبر. لا يقولها بعدي إلا كذاب مفتر. صليت قبل الناس بسبع سنين[(١)].

وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: صلت الملائكة عليّ وعلى علي بن أبي طالب سبع سنين، قالوا: ولم ذلك يا رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال صلى الله عليه وسلم: لم يكن معي من

---

(١) صحيح إبن ماجة ورواه الحاكم في مستدركه والطبري في تاريخه.

أسلم من الرجال غيره[1].

الإبن الأكبر: سبع سنين مرت على نزول الوحي ولم يسلم غير علي عليه السلام وخديجة يا أبي؟

الأب: حينما نزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وآله لم يبدأ النبي صلى الله عليه وآله اعلان الدعوة إلى الإسلام. لأن الله جلّت عظمته لم يأمره بإعلان الدعوة إلا بعد أن نزلت الآية الكريمة وأنذر عشيرتك الأقربين. ولذلك لم يكن مسلماً حين ذاك إلا علي عليه السلام وخديجة بنت خويلد عليها السلام ثم زيد بن حارثة وفي رواية جعفر بن أبي طالب عليه السلام.

ففي رواية ان الإمام علي عليه السلام في الأيام الأولى من إسلامه رآه أبوه مصلياً خلف النبي صلى الله عليه وآله ولم يكن قبلها يعلم أن إبنه الصغير قد اتبع محمداً. فما اضطرب علي عليه السلام حين رآه أبوه. ولما أتم صلاته ذهب تلقاء أبيه وقال له في صراحة وثبات: يا أبتي، لقد آمنت بالله وبرسوله وصدقت ما جاء به واتبعته.

فما كان من أبيه إلا أن قال له: أما أنه لا يدعوك إلا إلى خير فألزمه[2].

وفي رواية أخرى إن أبا طالب رأى إبنه علياً يصلي مع رسول الله صلى الله عليه وآله فما كان منه إلا أن قال لولده جعفر صل جناح إبن عمك، فوقف جعفر مصلياً مع رسول الله صلى الله عليه وآله وأخاه علي عليه السلام.

وهناك رواية أخرى تؤكد أن أول المسلمين من الرجال كان علي عليه السلام

---

(١) المناقب للخوارزمي ص ١٨.

(٢) سيرة إبن هشام جـ ١ ص ٢٦٥ وتاريخ الطبري جـ ٢ ص ٢١٤ والإصابة جـ ٤ ص ١١٦ وذكر الطبرسي في تفسيره مجلد ٣ جـ ٥ ص ٦٥ مثل هذه الرواية باختلاف بسيط في الألفاظ.

ومن النساء كانت خديجة عليها السلام.

فقد روي عن محمد بن عبيد المحاربي مسلسلاً عن عفيف قال: جئت في الجاهلية إلى مكة فنزلت على العباس بن عبد المطلب، قال: فلما طلعت الشمس وحلقت في السماء وأنا أنظر إلى الكعبة، أقبل شاب فرمى ببصره إلى السماء ثم استقبل الكعبة فقام مستقبلها، فلم يلبث حتى جاء غلام فقام عن يمينه، قال: فلم يلبث حتى جاءت إمرأة فقامت خلفهما، فركع الشاب. فركع الغلام والمرأة، فرفع الشاب. فرفع الغلام المرأة، فخر الشاب ساجداً، فسجدا معه.

فقلت: يا عباس أمر عظيم، فقال: أمر عظيم... أتدري من هذا؟ فقلت: لا، قال: هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، إبن أخي، أتدري من هذا معه؟ قلت: لا. قال: هذا علي ابن ابي طالب بن عبد المطلب. ابن أخي. أتدري من هذه المرأة التي خلفهما؟ قلت: لا. قال: هذه خديجة بنت خويلد زوجة إبنة أخي، وهذا حدثني ان ربك رب السماء أمرهم بهذا الذي تراهم عليه. وايم الله، ما أعلم في الأرض كلها. أحد على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة[1].

وكبر علي عليه السلام وكبر الإسلام معه، حيث دخله جمع من الناس، وكبر الإيمان في قلوب الجميع، ألا أن علياً كان حظه من ذلك الإيمان أكبر وأوفي، حيث لم تفته آية من القرآن الكريم، وذلك لملازمته لرسول الله صلى الله عليه وآله ليله ونهاره، وتعليم الرسول صلى الله عليه وآله له كل ما سأل النبي صلى الله عليه وآله عنه بل وحتى حينما لم يسأله، وكان علي عليه السلام يتلقف هذه العلوم ويخزنها في قلبه وضميره

(١) الطبري حـ ٢ ص ٥٦ وكامل إبن الأثير حـ ٢ ص ٢٢ وسيرة إبن هشام ص ١٦٤ والتبيان للطبرسي مجلد ٣ حـ ٥ و٦ ص ٦٥ عن تفسير الثعلبي عن إسماعيل بن إياس بن عفيف عن أبيه عن جده.

ووجدانه، ويعمل بها. وكانت آيات القرآن الكريم تمده بعزم خارق وإيمان فريد، نعم فريد لا مثيل له غير الإيمان الذي يحمله سيده المصطفى محمدﷺ.

وفي يوم قال النبيﷺ لعلي: يا علي إن الله أمرني أن أدينك وأعلمك لتعي.

ومما ذكره إبن أبي الحديد في شرحه للنهج فقال: كان علي محظوظاً من دون الصحابة بخلوات كان يخلوها مع رسول اللهﷺ، لا يطلع أحد من الناس على ما يدور بينهما، وكان كثير السؤال للنبيﷺ عن معاني القرآن، وإذا لم يسأله ابتدأه النبيﷺ بالتعليم والتثقيف، ولم يكن أحد من أصحاب النبيﷺ كذلك، بل كانوا أقساماً: فمنهم من يهابه أن يسأله، وهم الذين يحبون أن يجيىء الأعرابي الطارىء فيسأله وهم يستمعون، ومنهم من كان بليداً بعيد الفهم قليل الهمة في النظر والبحث، ومنهم من كان مشغولاً عن طلب العلم وفهم المعاني أما بعباده أو دنيا، ومنهم المبغض الشانيء الذي ليس للدين عنده من الموقع ما يضيع وقته بالسؤال عن دقائقه وغوامضه.

الإبن الأكبر: ترى ماذا كان يدور بين النبيﷺ وعليعليه السلام في خلوته به؟ أهي للعلم فقط أم أن هناك أسراراً شاء الله تعالى أن يعلمها النبيﷺ لعليعليه السلام وحده؟

الأب: من دون شك يا ولدي، ما كانت هذه الخلوات للعلم في التفسير، ولا في الفقه أو العبادات وحدها، وإنما كانت هناك علوماً لا يجب أن يطلع عليها غير الوصي الإمام، ألم يكن من قول أمير المؤمنينعليه السلام قال فيه: علمني أخي وحبيبي رسول الله ألف باب من العلم يفتح في كل باب ألف باب، وفي رواية ألف ألف باب.

إذن هي مشيئة الله يا أبنائي في أن يهيأ علي لمهام كبيرة كبر الوصية،

وكبر الإمامة، وكبر الإسلام والدعوة لعبادة الله الواحد، نعم هي في حقيقتها اعداد لعلي عليه السلام لتحمل مسؤولية كبيرة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وطبعاً أن من يحتل مثل هذه المكانة العظيمة لا بد أن يكون عظيماً مثلها، عظيماً في علمه وقدراته ونفسه.

من حديث لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يوضح فيه مكانته من رسول الله صلى الله عليه وآله فيقول: (ولقد كان يجاوز في كل سنة بحراء، فأراه ولا يراه غيري، ولم يجتمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وخديجة وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة، وأشم ريح النبوة، ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزول الوحي عليه. فقلت: يا رسول الله صلى الله عليه وآله ما هذه الرنة؟ فقال صلى الله عليه وآله: هذا الشيطان قد آيس من عبادته، انك تسمع ما أسمع وترى ما أرى، إلا أنك لست بنبي ولكنك لوزير. وأنك على خير).

فمن كان يسمع ما يسمع رسول الله صلى الله عليه وآله ويرى ما كان النبي صلى الله عليه وآله يراه. ترى أي درجة هو فيها، وأي عظمة هو عليها.

الإبن الأكبر: نعم يا أبي، سماعه ما كان النبي صلى الله عليه وآله يسمعه ورؤيته ما كان النبي صلى الله عليه وآله يراه خير دليل على المكانة الرفيعة التي وضعه الله تعالى بها، وهي التي حدثه النبي صلى الله عليه وآله عنها حينما قال له: أنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلا أنك لست بنبي ولكنك لوزير، وأنك على خير.

الأب: نعم يا أبنائي كان علي عليه السلام وزيراً لرسول الله صلى الله عليه وآله ووصياً ووارثاً، وأخاً مواسياً بل وأخاً استعد أن تكون حياته فداء لحياة أخيه وإبن عمه وحبيبه وسيده.

الإبن الأوسط: هل يعني هذا أن مكانة أمير المؤمنين عليه السلام تأتي بعد مكانة رسول الله صلى الله عليه وآله؟

الأب: نعم يا ولدي هي بعد مرتبة ودرجة رسول الله صلى الله عليه وآله، ومعلوم أن

درجة الإمامة تأتي بعد النبوة، لأن تنصيبهما لا يكون إلا بأمر وإختيار من الله تعالى. فكما إن الناس لا راي لهم فيمن يكون نبياً، فكذلك لا يكون لهم راي فيمن يكون إماماً.

الإبن الأوسط: إني أرى أن قول رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام: الا انك لست بنبي ولكنك لوزير، كاف لكي نعرف مكانة أمير المؤمنين.

الأب: نعم يا ولدي فهو كاف لمعرفة مكانته عليه السلام، وما قول النبي ﷺ لعلي عليه السلام: (أنت مني بمنزلة هارون من موسى الا أنه لا نبي بعدي). لدليل آخر على عظمته عليه السلام وعظمة درجته عند الله تعالى وعند رسوله الكريم ﷺ.

الإبن الأكبر: حدثنا يا أبي كيف بدأ النبي ﷺ الدعوة إلى الإسلام علناً؟

فقال الأب: سنتحدث عن ذلك في يوم آخر إن شاء الله.

«اليوم الخامس»

(يوم الدار)

كما هي طبيعة الأبناء حينما يحدثهم محدث عن شيء يحبون سماع الحديث عنه، تراهم يطلبون الزيادة والإستمرار دائماً، ولا يعبهون بتعب القاص وحاجته إلى الراحة، وهكذا هم أبناء محمد اليوم، فقد أخبرهم أبيهم بكونه يشعر أن درجة حرارته مرتفعة بعض الشيء وأنه بحاجة إلى الراحة.

فما كان من الأبناء إلا أن اطرقوا جميعاً وكأنهم فقدوا شيئاً ماكانوا يرغبون فقدانه، وما هي إلا لحظات وإذا بالصغير والأوسط يلحون على أبيهم في أن لا يقطع عليهم حديث هذه اليوم، وكان الأب يرد عليهم بالإيجاب الذي أراحهم وأبهجهم.

جلس الأب بين أبنائه وكان جلوسه مدعاة لاطمئنان الأبناء بأن أبيهم في عافية إن شاء الله وأنه سيقص عليهم ما كان قد وعدهم بالأمس بالحديث عنه.

فقال الأب: لقد ذكرت لكم إن الدعوة إلى الإسلام ما كانت علنية إلا بعد أن نزل الوحي على رسول الله ﷺ بقوله تعالى: (وانذر عشيرتك الأقربين)، وكانت الآية الكريمة هذه أمر من الله جلت قدرته لرسوله الكريم

في أن يعلن الدعوة إلى الإسلام، وإن يبدأ بإعلانه للدعوة بالأقربين، وهم بني عبد المطلب، وكانوا حينها أربعون رجلاً، وقد يزيدون رجلاً على الأربعين أو ينقصونه.

فأمر النبي ﷺ ربيبه وإبن عمه علياً عليه السلام في أن يولم وليمة يدعو إليها بني عبد المطلب، وإن يقدم لهم رجل شاة وثريد، ويقدم لهم شراباً من لبن.

فذهب علي ورتب كل شيء مثل ما أمره سيده رسول الله ﷺ. ودعا بني عبد المطلب.

أجاب بنو عبد المطلب الدعوة، وحضروا، فأمر النبي ﷺ علياً بتقديم الطعام، فقدمه علي فاستفتح النبي ﷺ الطعام، ثم أمرهم بالتقدم والأكل، فأكل الجميع حتى شبعوا ببركة رسول الله ﷺ، ثم أمر النبي ﷺ علياً أن يقدم اللبن، فقدمه علي عليه السلام فشربوا حتى رووا ببركة رسول الله. الإبن الأكبر: هل تعني شيئاً يا أبي حينما قلت ببركة رسول الله ﷺ.

الأب: نعم يا ولدي، فقد روي أن الطعام الذي قدم إلى بني عبد المطلب لو قدم لواحد منهم لأكله لوحده، وببركة رسول الله ﷺ أكلوا جميعاً وكان الطعام لم يمس.

وكذلك الحال بالنسبة للبن، روي أنه لو قدم لواحد منهم لشربه لوحده، في حين أن جميع بني عبد المطلب شربوا منه حتى رووا، وبقي اللبن وكأنه لم يمس، ألم يكن ذلك ببركة رسول الله ﷺ يا ولدي.

الإبن الأكبر: نعم يا أبي، انه والله ببركة رسول الله ﷺ.

الأب: بعد أن فرغوا من الطعام والشراب قام رسول الله ﷺ ليبدأ حديثه مع ذوي قرباه ويدعوهم للإسلام، الا أن أبا لهب قد حول المجلس إلى هرج ومرج وضحك وهزل ثم خرج وأخرج من كان على هواه وشاكلته من

الحاضرين، وبذلك فقد خرج الباقين.

وفي اليوم التالي، أمر النبي ﷺ علياً أن يولم لهم وليمة أخرى ويدعوهم لحضورها، فإستجاب علي لما أمره المصطفى، وفعل لهم كل ما كان النبي ﷺ قد أوصاه بفعله من رجل شاة وثريد ولبن، فحضروا فأمر النبي ﷺ علياً بتقديم الطعام، فقدمه، وبعد أن استفتحه رسول الله ﷺ أمرهم بالتقدم والأكل، فأكلوا حتى شبعوا، ثم أمر النبي ﷺ علياً بتقديم البن، فجائهم بعس من لبن فشربوا حتى رووا.

قام النبي ﷺ ليبدأ حديثه، ففعل أبو لهب كما في المرة السابقة. وحاول افشال الأمر كما فعل في المرة السابقة، الا أن أبا طالب نهض بوجهه كالأسد وقال له: أسكت يا أعور، ما أنت وهذا، ثم وجه خطابه إلى الحضور وقال لهم: لا يقومن أحد منكم، فجلسوا في أماكنهم صامتين، ثم استدار أبو طالب نحو رسول الله محمد ﷺ وقال له: قم يا سيدي فتكلم بما تحب... فأنت الصادق المصدق[1].

إن الله تبارك وتعالى أمرني أن أنذر عشيرتي وهم أنتم، حيث أن الله تعالى لم يبعث نبياً إلا جعل له أخاً من أهله، ووارثاً ووصياً ووزيراً منهم، فايكم يقوم ويبايعني على أنه أخي ووارثي ووزيري دون أهلي، ووصيي وخليفتي في أهلي، ويكون مني بمنزلة هارون من موسى الا أنه لا نبي بعدي.

فأمسك القوم... ولم يجبه أحد منهم... فقال رسول الله ﷺ:

---

(١) رواه الطبري عن تغلب عن إبن الأعرابي، وقال في لغة العور: إنه الرديء من كل شيء. ثم ذكر حديث الإمام عليه السلام عن الدار، ورواه أيضاً إبن الأثير في النهاية جـ ٣ ص ١٥٦ والزمخشري في الفائق جـ ٢ ص ٩٨ نقلاً عن إبن الأعرابي، وكذلك في تاج العروس جـ٣ ص ٤٢٨.

ليقومن قائمكم أو لتكونن في غيركم... ثم لتندمن...

فقام علي عليه السلام فبايعه وأجابه إلى ما دعا إليه.

فقال له النبي صلى الله عليه وآله: ادن مني... فدنا علي من رسول الله صلى الله عليه وآله... فقال له النبي صلى الله عليه وآله: افتح فاك... فمج فيه من ريقه الكريم، وتفل بين كتفيه، وبين ثدييه.

فقال أبو لهب: لبئس ما حبوت به إبن عمك... أجابك فملأت فاه ووجهه بزاقاً؟

فقال النبي صلى الله عليه وآله: بل ملئته علماً وحلماً وفهماً[1].

ومما ذكره صاحب السيرة الحلبية: أن النبي صلى الله عليه وآله قال لعلي عليه السلام: فأنت أخي ووزيري ووصيي ووارثي وخليفتي من بعدي.

ومن حديث الدار هذا بدأ الجهاد في سبيل الله. جهاداً بالكلمة والنصيحة، وبالتوعية وفتح مصاريع العقل، فدخل من دخل في الإسلام، واشتد من اشتد من المشركين في العداء والأذى، فكذبوا رسول الله صلى الله عليه وآله ثم اتهموه بأنه ساحر ومجنون، كل ذلك والنبي صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام والمسلمون الأولون. صابرون راضون آملون بأن الناس من حولهم جهال، ولا بد أن يأتيهم يوم يعرفوا به الحق فيتبعوه.

أما المشركين فلم يشحذوا عقلاً في علاج ما هم فيه، وإنما جعلوا من العنجهية والوحشية سلاحاً لهم للحفاظ على معتقدهم الذي ورثوه عن آبائهم وأجدادهم ولم يفكروا يوماً في حقيقته وصلاحه، ولا حتى مناقشة ما جاء به رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وما هم عليه من عقيدة لكي يصلوا من خلال ذلك إلى

---

(١) الذين ذكروا حديث الدار صاحب السيرة الحلبية حـ١ ص٣٢٢ والسيرة الدحلانية ص١١٥ وتاريخ الطبري ٦٣ ـ ٦٤ وخصائص النسائي ١٨ وتاريخ إبن خلدون حـ٢ ص٧ وغيرهم.

اختيار ما هو أكثر خيراً لهم وقبولاً للعقل السوي.

الإبن الأكبر: وكيف سارت الأمور بين المشركين والمسلمين يا أبي؟

الأب: لقد بدأ شكل جديد من التعامل، شكل اتسم بالوحشية والقسوة، انتهجه المشركون ظناً منهم أنه الوسيلة الناجحة للدفاع عن إشراكهم وتخلفهم، فراحوا معذبين للمستضعفين من المسلمين، ولم يكتفوا بذلك وإنما جعلوا من القتل وسيلة لحفظ سيادتهم وأصنامهم، فقتلوا ياسر وسمية أبوا الصحابي الجليل عمار بن ياسر، وبذلك صارا أول شهيدين في الإسلام.

ومن ذلك الحين فقد أمر رسول الله ﷺ المستضعفين من المسلمين بالهجرة إلى الحبشة. حيث النجاشي ملكاً عليها، وهو وإن لم يكن مسلماً فهو يؤمن بأن للسماء دور في هداية الناس إلى طريق الصواب والحق، وأن هناك أنبياء يقومون بذلك بأمر السماء.

الإبن الأكبر: وما هو الدين الذي كان عليه النجاشي يا أبي؟

الأب: لقد كان النجاشي نصرانياً، يؤمن بما جاء به نبي الله عيسى بن مريم والمسيحي يا ولدي أكثر من اليهودي أو المشرك قرباً للحق والعدل والإيمان، وكما جاء في قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ﴾.

الإبن الأوسط: وما كان دور علي عليه السلام وأبيه أبي طالب يا أبي؟

الأب: كان علي عليه السلام في هذه الفترة ملازماً لرسول الله ﷺ لا يفارقه وهو له كظله، أو كما قال علي عليه السلام: (كنت اتبعه اتباع الفصيل اثر أمه). وما تجرأ المشركون أن يمسوا رسول الله ﷺ بأذى، فهم يهابون علياً على الرغم من صغره، وانهم يعرفونه على قدر كبير من الشجاعة والاقدام. فشجاعته ما كانت بالشجاعة العادية التي يمكن للشجاع أن يقابله شجاع مثله. وإنما كانت

شجاعته متناهية، وإقدامه غير محدود، وهم يكفيهم أنه ابن أبي طالب، وابن أبي طالب عليه السلام قد ورث الوفاء والاقدام والعزم وقوة الشخصية التي كانت سمة آبائه وأجداده.

أما أبو طالب ذلك البطل الشجاع والسيد الكريم الوفي الحكيم، الذي عاهد الله تعالى أولاً، ثم أبيه عبد المطلب، ان يحافظ على محمد صلى الله عليه وآله ويرعاه، ويصونه من كل ما يؤدي إلى أذاه، فقد كان كالأسد الضاري في وجه كل من تسول له نفسه أن يؤذي محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله، وكانت كلماته واشعاره كالسهام دائماً في صدور ونحور اعداء محمد صلى الله عليه وآله.

وبقي رسول الله صلى الله عليه وآله جاداً في دعوته لعبادة الله الواحد الأحد، ونبذ الاشراك وعبادة الأصنام التي لا تنفع ولا تضر، وبقي معه علي عليه السلام مسترخصاً نفسه في سبيل دوام هذه الدعوة، وسلامة الداعي إليها.

وفي يوم كان النبي وحده ولم يكن معه علي ولا كان أبو طالب قريباً منه، فنالت قريش وجهالها منه وآذته ورمته بالحجارة، ورغمها فقد بقي النبي صلى الله عليه وآله والمسلمون صابرين على الأذى جادين في الجهاد والتضحية، مما أدى هذا الصبر وذلك الجهاد إلى أن تيئس قريش من ثني النبي صلى الله عليه وآله عن عزمه، وقد قرروا مقاطعة المسلمين، ونهب محالهم والعبث بممتلكاتهم، وكتبوا بذلك كتاباً علقوه في الكعبة بعد أن ختموه وتعاهدوا على العمل به.

أمر النبي صلى الله عليه وآله المسلمين حينها بالهجرة إلى شعب أبي طالب، وحوصروا هناك قرابة ثلاثة أعوام لاقوا فيها ألواناً من الجوع والعطش والبرد، وتوفي من توفي من المسلمين هناك.

وفي يوم جاء فيه الفرج من الله تعالى، إذ سلط حشرة صغيرة أكلت كتاب قريش كله الا كلمة بسمك اللهم، فخابت قريش وخاب مسعاهم، وانتهى الحصار.

وبقدر ما فرح المسلمون بفض الحصار وفشله فقد كسا قلوبهم كثيراً من الحزن والأسى، بحيث سمي ذلك العام عام الحزن.

الإبن الأكبر: ولماذا سمي عام الحزن يا أبي؟

الأب: سمي عام الحزن يا ولدي وذلك لأن النبي ﷺ انتابه فيه حزناً شديداً، إذ توفيت الزوجة الحبيبة المواسية والمطيعة والتي صدقت محمد ﷺ بعد أن كان قد كذبه الكثير بل لم تكتف بتصديقها وإنما قدمت له كل ما تملك لخدمة ما يدعو الناس إليه، ثم وفاة العم والناصر والمحامي والكفيل الذي وقف بكل عنفوان بوجه قومه ونصر محمد وحماه وهيأ له أسباب النجاح في دعوته، فقالت حينها قريش، مات ناصره، فاشتدوا في اذاه وأذى المسلمين، فأمر النبي ﷺ المسلمين بالهجرة إلى المدينة المنورة.

الإبن الأوسط: وهل هاجر علي عليه السلام معهم ساعة أمرهم النبي ﷺ بالهجرة؟

الأب: كيف يهاجر علي عليه السلام ويترك رسول الله ﷺ في مكة، وهل يعقل أن يقدم علي عليه السلام على فعل ذلك وهو الذي نذر نفسه منذ البداية على فداء محمد ﷺ بروحه ودمه.

لقد بقي رسول الله ﷺ ومعه علي عليه السلام ونفر قليل من المسلمين، وكان علي عليه السلام حينها لا يفارق رسول الله ﷺ ليله أو نهاره، كما كان أبيه يفعل قديماً حينما كان محمد ﷺ صغيراً، يوم كان يخاف عليه من غدر الغادرين من يهود أو نصارى أو مشركين، يوم أنذره الراهب بحيراء بذلك، وحينما كبر علي عليه السلام صار أبو طالب يجعل محمد ﷺ ينام في فراش علي ويضع علياً في فراش محمد ﷺ كي يكون هو الضحية حينما تتمكن اليد الشريرة من الوصول إلى داخل داره.

ومنذ تلك الأيام نذر علي عليه السلام نفسه أن يكون المضحي والمسترخص

للنفس فداء لرسول الله ﷺ، يؤثره على نفسه.

الإبن الأكبر: وكيف تمت هجرة علي عليه السلام يا أبي؟

الأب: لم يهاجر علي عليه السلام من مكة إلى المدينة إلا بعد أن هاجر النبي محمد ﷺ إلى المدينة.

الإبن الأوسط: وكيف تم لهم ذلك يا أبي؟

الأب: سنتحدث عن ذلك في يوم آخر يا أبنائي.

الإبن الأوسط: ولم ذلك يا أبي، أراك اليوم قد اختصرت الحديث؟

الأب: ألم أقل لكم منذ البدىء إني على غير ما يرام يا أبنائي؟ وإني أرى أن استريح قليلاً.

الإبن الأكبر: معذرة يا أبي، ونسأل الله لك العافية.

«اليوم السادس»

(نوم علي على فراش النبي ليلة الهجرة)

كان اليوم جميلاً وسعيداً للأسرة المتحابة، سعيداً للأبناء وهم يرون أباهم معافى بحمد الله، وهذا يعني أنه سيقص عليهم قصة هجرة النبي ﷺ، ثم قصة هجرة ولي الله علي بن أبي طالب، وسلامة الأب وإستمراره بالحديث يعني أن اليوم جميلاً للأبناء بل للأسرة جميعاً.

ذكر النبي ﷺ وآل بيته في محفل من المحافل يعني أن البركة والخير تحف ذلك المحفل، وهذا يعني أن أحسن الحديث وأجمله كان مسموعاً للملائكة الحافظين لهم والمرافقين لهم، وكل ذلك يعني أنهم قالوا خيراً وتصرفوا حسناً ونالوا ثواباً.

وجلس الأب، وحف به الأبناء وسادت فترة صمت لم تدم طويلاً، وبدأ الأب حديثه قائلاً: نزل الوحي على رسول الله ﷺ بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[1].

---

(١) الأنفال: الآية ٣٠.

فعلم النبي ﷺ من هذه الآية الكريمة أن الله جل جلاله يعلمه بأن المشركين قد تآمروا على قتله ﷺ .

الإبن الأكبر: وكيف ذلك يا أبي؟

الأب: حينما وجد المشركون أن الإسلام خطر على دينهم وعليهم، وذلك لتزايد اعداد المؤمنين به والمصدقين لمحمد ﷺ ، على رغم كل ما اتخذوه من وسائل القسوة والقتل، اتفقوا على الخلاص من محمد ﷺ ، والخلاص منه ليس له طريقة أفضل من أن يقتل، حتى لا يبقى لأحد أمل فيه وفي دعوته.

الإبن الأكبر: وكيف اتفقوا على هذا الرأي يا أبي؟

الأب: اجتمع المشركون في دار الندوة للبحث في كيفية الخلاص من محمد ﷺ ومن الدين الذي يدعو الناس إليه، وبعد طول حوار ورفض مجموعة من الآراء، قال أبو جهل: الراي عندي أن نأخذ من كل قبيلة شاباً جلداً حسيباً في قومه نسيباً وسطاً، ثم نعطي كل فتى منهم سيفاً صارماً، ثم يغمدون إليه فيضربونه ضربة رجل واحد فنستريح منه، فإنهم إن فعلوا ذلك تفرق دمه بين القبائل جميعاً، فلم تقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً[١].

الإبن الأكبر: إنه لرأي خبيث يا أبي.

الأب: نعم يا ولدي، هو خبيث بالفعل، ولقد لقنه إياه عدو بني آدم الشيطان الرجيم، ولكي يجعل الشيطان من هذا الراي نافذاً ويعمل به، قال للمجتمعين من قريش، وكان حينها بهيئة رجل نجدي: الراي عندي هو ما قاله هذا الرجل ولا أرى غيره.

---

(١) السيرة الحلبية جـ ٢ ص ٢٨.

تفرق القوم على ذلك الراي، فنزل الأمين جبرائيل على النبي محمد ﷺ يعلمه عن الله جل جلاله، بأن قريش اجتمعت على قتله، وأخبره بوقت هجومهم، وأمره أن يبيت علي عليه السلام على فراشه، ويخرج هو مهاجراً إلى المدينة[1].

وهناك رواية أخرى تقول: ان رقيقة بنت أبي صيفي بن هاشم بن عبد المطلب بن هاشم. هي التي أخبرت النبي ﷺ بأن قريشاً قد اجتمعت تريد شأنك الليلة، فتحول النبي ﷺ عن فراشه، وبات فيه علي أمير المؤمنين[2].

الإبن الأكبر: ترى أي الروايتين أصح يا أبي؟

الأب: ان نزول قوله تعالى: (إذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك...) توحي بأن الله جل جلاله أعلم رسوله الكريم محمد ﷺ بما سيكون، وهذا ما يرضاه العقل، لأن الله تعالى لا يعقل أن يترك رسوله الكريم ﷺ دون علم ومعرفة بما سيحدث.

أما بالنسبة للرواية الثانية فلا يمنع من حصولها أيضاً، وهذا يعني أن لا مانع من حصول الإعلام للنبي من قبل الله تعالى ثم من قبل رقيقة أو غيرها.

الإبن الأوسط: وما حدث بعد ذلك يا أبي؟

الأب: ما إن علم رسول الله ﷺ بما بيتت له قريش حتى قال لمن بقي في مكة من المسلمين وكان من بينهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، فقال ﷺ: ايكم يبيت على فراشي وأنا أضمن له الجنة، فلم يجبه أحد منهم سوى أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال لرسول الله ﷺ: أنا أبيت يا رسول الله ﷺ، واجعل نفسي فداك.

---

(١) البحار ٦ ص ٥٢٦.

(٢) الاصابة جـ ٤ ص ٣٠٣.

فقال النبي ﷺ لعلي عليه السلام: أرضيت أن أطلب فلا أوجد، وتوجد؟ فلعله يبادر إليك الجهال فيقتلونك.

قال علي عليه السلام: بلى يا رسول الله ﷺ، رضيت أن يكون روحي لروحك وفاء، ونفسي لنفسك فداء، بل رضيت أن تكون روحي ونفسي فداء لأخ لك أو قريب، وهل أحب الحياة إلا لخدمتك والتصرف بين أمرك ونهيك. ولمحبة أوليائك ونصرة اصفيائك ومجاهدة أعدائك.

الإبن الأكبر: أي حب كان علي عليه السلام يحب به رسول الله ﷺ يا أبي!؟

الأب: نعم يا ولدي هو حب عظيم، ولكن ما تصرف علي عليه السلام بهذا التصرف بدافع الحب وحده، وإنما كان الدافع بالدرجة الأولى هو الإيمان الحق والصادق والمطلق، وهذا كاف بأن يستجلب الحب.

نعم يا ولدي، هو الإيمان الحق والصادق، تماماً كما كان عليه أبو طالب يوم وقف بوجه أعداء رسول الله ﷺ من قريش، أراد قوم أن يقللوا من شأن أبي طالب فقالوا أنه وقف مع محمد ﷺ ضد قومه لحبه الكبير له، وهم بقولهم هذا يريدون أن يقولوا أن أبا طالب وقف وقفته مع رسول الله ﷺ ليس بدافع الإيمان، وإنما بدافع الحب والوفاء بالوصية التي أوصاه بها عبد المطلب.

الإبن الأكبر: نعم يا أبي، ان وقفة علي عليه السلام بل كل مواقفه كانت بدافع الإيمان المطلق والصادق، وهذا لا يمكن نكرانه أو حتى الشك فيه، وكذلك ما كان من أبيه عليه السلام.

الأب: ونام علي عليه السلام على فراش رسول الله ﷺ إيثاراً منه. واستعداداً لأن يكون هو المقتول، وان يسلم رسول الله ﷺ، وتستمر دعوة الناس إلى الإسلام بقيادة من كلفه الله جل جلاله بالقيام بها.

وعند منتصف الليل، وقبل شروع المتآمرين بفعلهم خرج رسول الله ﷺ من داره وهو محاط بحفظ الله تعالى، وبقي علي في فراش النبي ملتفاً بالبردة اليمانية التي كان النبي ﷺ يلتف بها عند نومه.

ومما روي أن الله جل جلاله أوحى إلى جبرائيل، وميكائيل عليهما السلام : اني قد آخيت بينكما، وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر، فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة؟

فاختار كل منهما الحياة...

فأوحى الله إليهما: الا كنتما مثل علي بن أبي طالب، آخيت بينه وبين محمد فبات على فراشه ليفديه بنفسه ويؤثره بالحياة، اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه، فنزلا... فكان جبرائيل عند رأس علي... وميكائيل عند رجليه...

قال جبرائيل عليه السلام : بخ بخ من مثلك يا إبن أبي طالب باهى الله بك الملائكة[1].

وما إن لاحت تباشير الفجر، وهي اللحظة التي اتفقوا على تنفيذ فعلهم بها، حتى انطلقوا داخل الدار، وما ان وصلوا إلى النائم على الفراش حتى وثب علي عليه السلام بوجوههم وثبة الأسد المغوار الذي لا يهاب، وبمجرد أن عرفوه أنه علي عليه السلام لا محمد ﷺ وهنوا وخابوا، ولم يستطع واحد منهم على أن يقدم علي شيء، فهم جميعاً قد عرفوا علياً عليه السلام ، وهم جميعاً كانوا يرتعدون من نظرات عينيه. ويخافون من قوة ساعده.

فبادرهم أمير المؤمنين عليه السلام قائلاً: ماذا تريدون؟

---

(١)ثمرات الأوراق في هامش المستطرف حـ ٢ ص ٢٣ وتفسير الرازي حـ ٢ ص ١٨٩ وتاريخ اليعقوبي حـ ٢ ص ٢٩ وأسد الغابة حـ ٤ ص ٢٥ ونور الأبصار للشبلنجي ص٧٧.

فحاروا بماذا يجيبوه، واكتفوا بأن دلى كل واحد منهم برأسه على صدره. ثم انسحبوا من أمامه، وفشل المسعى، وفشل من سعى به، وفشل من خطط له.

وسلم النبي ﷺ وابتعد عن مكة ما قدر الله له أن يبتعد...

وسلم من نام على فراشه، وذهب كيد إبليس وجنوده بفضل من الله تعالى ورعايته.

وكان جزاء علي عليه السلام أن أنزلت فيه الآية الكريمة: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ قال الرازي في تفسيره لهذه الآية: جاء في سبب نزولها ثلاث روايات، منها انها نزلت في علي عليه السلام حيث بات على فراش النبي ﷺ ليلة الهجرة[1].

وقيل أيضاً: نزلت هذه الآية على النبي ﷺ بعد أن علم ما يكون من قريش، وقال لعلي: نم على فراشي واتشح بردائي هذا الحضرمي[2].

وأصبح الصباح، ووصلت الأنباء إلى قريش بفشل من اختاروهم لتنفيذ فكرتهم الخبيثة والسيئة، فجن جنونهم، وحارت عقولهم، وراح كل جمع منهم يبحث عن رسول الله ﷺ في جانب من الجوانب، وفي حي من الأحياء، وصاروا كلما مرت ساعات عليهم أحسوا أكثر بمرارة الفشل والخذلان، مما زادهم إصراراً على متابعة البحث عن رسول الله ﷺ ووضعوا جوائز لكل من يجده ويأتي به حياً أو ميتاً.

---

(١) دلائل الصدق حـ ٢ ومسند أحمد حـ ١ ص ٣٤٨ وتاريخ الطبري حـ ٢ ص ٩٩ ـ ١٠٠ وطبقات إبن سعد ص ٢١٢ وسيرة إبن هشام حـ ٢ ص ٢٩١ والسيرة الحلبية حـ٢ ص٢٩.

(٢) السيرة الحلبية حـ ٢ ص ٢٨.

الإبن الأكبر: ترى أي حقدهم عليه لرسول الله ﷺ يا أبي؟

الأب: إعلم يا ولدي، أن بين كل حق وباطل نفور، وبين كل أهل حق وباطل نزاع، وهذا هو حال الدنيا ابتداءً من أول الخليقة وإلى يومنا الحاضر هذا.

الإبن الأوسط: وما فعل أمير المؤمنين عليه السلام حينما أصبح الصبح؟

الأب: كانت عند رسول الله ﷺ أمانات وودائع للناس أودعوها عنده، فأوصى علياً بأن يؤدها إلى أصحابها، وقبل أن يهاجر النبي ﷺ كان قد عرف علياً عليه السلام على أصحابها[1] وما أن أصبح الصباح حتى بدأ علي عليه السلام بتأديتها لأصحابها. فسلم كل منهم أمانته، وكان قد استغرق ذلك منه ثلاث ليال، وهي مدة تأديتها.

الإبن الأكبر: وماذا فعل بعد ذلك يا أبي، هل هاجر إلى المدينة؟

الأب: كان النبي ﷺ قد أمر علياً أن يقيم بمكة بعد تأدية الودائع حتى يأتيه كتاب منه ﷺ يعرفه به بماذا يتصرف، ولذلك مكث علي عليه السلام بعد تأدية الودائع منتظراً أمر رسول الله ﷺ.

الإبن الأكبر: وهل طال إنتظاره يا أبي؟

الأب: لم يدم الأمر طويلاً، ما هي إلا أيام حتى جاء كتاب رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام يأمره فيه بالتوجه مهاجراً إلى الله ورسوله، إلى المدينة المنورة، وأن يصطحب معه الفواطم فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وفاطمة بنت أسد أم علي بن أبي طالب. وفاطمة بنت الزبير بن عبد المطلب، وقيل فاطمة بنت الحمزة بن عبد المطلب.

---

(١) راجع السيرة الحلبية حـ ٢ ص ٥٦ وتاريخ الواقدي حـ ٣ ص ١١٣.

الإبن الأكبر: وهل كانت أم أمير المؤمنين علي عليه السلام على قيد الحياة في الهجرة ياأبي؟

الأب: نعم يا ولدي، كانت عليها السلام ما دامت على قيد الحياة في تلك الفترة.

الإبن الأوسط: حدثنا يا أبي كيف تمت هجرة أمير المؤمنين عليه السلام؟

الأب: ألم يكن من المستحسن أن ننال قسطاً من الراحة خصوصاً وأني مازلت على غير ما يرام.

الإبن الأكبر: كما تشاء يا أبي.

«اليوم السابع»

«هجرة علي عليه السلام إلى المدينة»

وجد الأب ان أبناءه في شوق كبير لسماع حديثه عن علي عليه السلام، فصار مهتماً به كاهتمامهم، وراح يتحين فرص الفراغ ليسمعهم ذلك، ولذلك فهو اليوم يدعوهم إليه قبل الوقت الذي اعتادوا الاجتماع به.

حضر الأبناء وهم لا يعلمون أن أبيهم أراد بدء حديثه، وما أن عرفوا منه ذلك حتى رسمت الإبتسامة على شفاههم.

فقال الأب: حديثنا اليوم عن هجرة أمير المؤمنين إلى المدينة المنورة.

فقال الأبناء: نعم يا والدي.

فقال الأب: ذكرت لكم أن أمير المؤمنين عليه السلام بقي في مكة المكرمة انتظاراً لأمر سيده، وما إن جاءه الأمر حتى حمل الفواطم وأراد الخروج من مكة.

كان خروجه في وضح النهار. وهذا يعني تحدياً كبيراً لقريش، وهو عليه السلام مع معرفته بعدم رضى القرشيين إلا أنه لا يحسب لهم حساباً، فهو علي بن أبي طالب، وهذا يكفي أن يجعل من أي منهم يحسب حساباً جدياً،

فعلي إن قال فعل، وإن صمم نفذ وإن سحب سيفه على أحد لا بد قاتله.

الإبن الأكبر: يا أبي، يراودني سؤال ولا أجرؤ على طرحه.

الأب: سل يا ولدي عن كل شيء يمر في رأسك، ولا تتحرج منه، لأن السكوت لا يوصل الفرد إلى الحقيقة، وقد يكون سبباً في القناعة بأمور هي غير صحيحة.

فقال الإبن الأكبر: أرى يا أبي أن رسول الله ﷺ ما كانت قريش تهابه المهابة التي كانت تصيب بها أبا طالب وعلي عليه السلام، فلماذا؟

الأب: إعلم يا ولدي أن رسول الله ﷺ مرتبط بالسماء كونه نبياً، ولا يتصرف عن هوى، أو عصبية، وإنما يستمد الأوامر من الله تعالى، وحكمة الله تعالى كانت قد قضت أن يجادل رسول الله ﷺ المشركين بالحسنى والكلمة الطيبة ولا يستخدم معهم القسوة والشدة عند دعوتهم للإسلام. هذا من جانب.

ومن جانب آخر، فرسول الله ﷺ يحمل من الحب والرحمة لقومه ما لم يحمله كثير من الأنبياء إن لم نقل كلهم.

الإبن الأكبر: وكيف ذلك يا أبي؟

الأب: في يوم كان أذى المشركين لرسول الله ﷺ كبيراً وكان ذلك في الطائف. إذ تمكن المشركون من ضربه بالحجارة مما أسالوا به دمه الشريف. فاضطر إلى الإلتجاء إلى حائط، وكان الدم يسيل منه، فنزل جبرائيل ومعه بعض الملائكة، يعلموه أن الله أمرهم أن يطيعوا أوامره في كل ما يأمرهم به، وهذا معناه أنه ﷺ حتى وإن طلب منهم أن يفني قريش كلها لفعلوا، وقد عرضوا عليه مثل ذلك، إلا أن النبي ﷺ رحمة بهم قال: اتركوني وقومي، إنهم جهال لا يعلمون.

أعرفت الآن لماذا كانت قريش لا تخاف من رسول الله ﷺ كخوفهم من أبي طالب أو علي عليه السلام.

الإبن الأكبر: نعم يا أبي، لقد توضح الأمر لدي الآن.

الإبن الأوسط: وهل خرج أمير المؤمنين بالفواطم يا أبي؟

الأب: نعم يا ولدي، خرج بالفواطم، وحين خروجه جاء له عمه العباس بن عبد المطلب فقال له: أن محمداً ما خرج إلا خفية، وقد طلبته قريش أشد الطلب، وأنت تخرج جهاراً، في أثاث وهوادج ومال ورجال ونساء، تقطع بهم السباسب والشعاب بين القبائل، ما أرى لك ذلك، وأرى أن تمضي في خفارة من خزاعه، فقال له علي عليه السلام

ان المنية شربة مورودة لا تجزعن وشد للترحيل
ان إبن آمنة النبي محمد رجل صدوق قال عن جبريل
ارخ الزمام ولا تخف فالله يرديهم عن التنكيل
إني بربي موقن وبأحمد وسبيله متلاحق بسبيلي

خرج علي عليه السلام بالفواطم، وتبعه أيمن بن أم أيمن مولى رسول الله، وأبو واقد. فجعل أبو واقد يسوق الرواحل ويعنف بها، فقال له علي عليه السلام: أرفق بالنسوة أبا واقد، فانهن ضعائف.

فقال أبو واقد: إني أخاف أن يدركنا الطلب، فقال أمير المؤمنين عليه السلام:

ليس إلا الله فارفع ضنكا يكفيك رب الناس ما اهمكا[1]

وسار ركب المهاجرين سيراً رفيقاً، فأدركهم الطلب سبع فوارس وثامنهم مولى الحارث إبن أمية وكان يدعى جناحاً، كانت قريش قد دفعتهم ليرجعوا علياً ومن معه، وقبل وصولهم للركب أمر علي عليه السلام كل من أيمن وأبي واقد

---

(١) البحار: ٦ ص ٥٤٢.

بأن ينيخا الإبل ويعقلاها. ففعلا ما أمرهما علي عليه السلام فتقدم وأنزل النسوة، ثم أقبل ناحية الفوارس وكانوا قد قربوا منهم، فأقبلوا على علي عليه السلام وقالوا له: ظننت أنك خارج بالنسوة؟ أرجع لا أبا لك، قال علي عليه السلام: فإن لم أفعل؟ قالوا: لترجعن أو لنرجع بأكثرك شعراً، وأهون بك من هالك.

ودنا الفوارس من المطايا ليثيروها، فحال علي عليه السلام بينهم وبين النساء لكي لا يسيء واحد منهم لأي منهن، ثم شهر علي سيفه، فأهوى جناح سيفه على علي عليه السلام فراغ عن ضربته، ثم راوغه علي عليه السلام وما إن سنحت له فرصة وإذا به يهوي بسيفه على جناح، ضربة قاتلة ماضية.

وحينما رأت فوارس قريش منظر جناح وكيف قطعه السيف وأرداه حتى خارت قواهم واثبطت عزائمهم، وصار همهم كيفية الخلاص والفوز بحياتهم، فقالوا لعلي عليه السلام أغنى عنا نفسك يا إبن أبي طالب.

فقال علي عليه السلام: إني منطلق إلى إبن عمي، فمن سره أن أفري لحمه، وأهرق دمه فليتبعني، أو فليدنو مني.

لقد احسوا بالراحة من جواب علي عليه السلام لهم، إذ عرفوا منه أنهم سالمين ما داموا لن يتبعوا علياً عليه السلام ويدنون منه، وهذه كانت رغبتهم حين قتل صاحبهم.

فتحول الفوارس عن علي عليه السلام، وكانوا بتحولهم يتمنون أن خيولهم تتحول إلى سهام في انطلاقها وابتعادها.

ثم تحول علي عليه السلام إلى صاحبيه أيمن وأبي واقد، وقال لهما اطلقا مطاياكما، ثم سار متوجهاً نحو المدينة، وكم كان شوقه عظيماً لحبيبه وسيده، شوقاً كبيراً لرؤيته ومعرفة اخباره.

وبينما علي عليه السلام متفكراً وإذا به يصل ضجعان، فنزل بها وبقي يومه

وليلته وبيقائه لحق نفر من المؤمنين المهاجرين فيهم أم أيمن، وعند الفجر صلى علي عليه السلام والفواطم والمسلمون ثم ارتحلوا ليكملوا مسيرة الهجرة المباركة، وكان علي عليه السلام والفواطم طيلة مدة المسيرة يقلبون عيونهم في خلق الله تعالى، وعظمته التي غطت على كل شيء وخلقت كل شيء، وكانت قلوبهم وجوارحهم تسبح الله تعالى وتكبره قبل ألسنتهم، وداموا على تلك الحال حتى وصلوا إلى حيث النبي محمد صلى الله عليه وآله كان بإنتظارهم، عند بني عمرو بن عوف.

الإبن الأكبر: أو لم يكن النبي صلى الله عليه وآله قد هاجر من مكة إلى المدينة يا أبي؟

الأب: نعم يا ولدي هاجر النبي صلى الله عليه وآله من مكة إلى المدينة، إلا أنه لم يدخل المدينة بعد وإنما انتظر علياً عليه السلام والفواطم عند بني عمرو بن عوف، رغم محاولة البعض مع رسول الله صلى الله عليه وآله في أن يدخل المدينة.

الإبن الأكبر: وبماذا كان يجيبهم رسول الله صلى الله عليه وآله يا أبي؟

الأب: كان صلى الله عليه وآله يرد عليهم قائلاً: ما أنا بداخلها حتى يقدم إبن عمي وإبنتي فاطمة[1]، ولكي يدخل الله جل جلاله الإطمئنان على قلب رسوله وحبيبه محمد صلى الله عليه وآله. أنزل عليه قوله جل جلاله: «بسم الله الرحمن الرحيم».

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.

إلى قوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ ۖ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ ۖ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ

(١) الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ٣٨.

﴿عِندِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ﴾[1].

وبوصول عليعليه السلام حيث كان النبيصلى الله عليه وآله منتظراً له، نزل على كلثوم بن هدم أخي عمرو بن عوف[2]، وزفت البشرى لرسول اللهصلى الله عليه وآله بوصول إبن عمه وإبنته ومن رافقهم، فقالصلى الله عليه وآله: ادعوا لي علياً، فقيل له: يا رسول اللهصلى الله عليه وآله: ان علياً لا يقدر أن يمشي.

فقال الإبن الأكبر: ولماذا يا أبي؟

الأب: ولماذا ماذا يا بني؟

الإبن الأكبر: ولماذا لا يقدر عليعليه السلام أن يمشي؟

الأب: نعم يا بني، ما عاد بإستطاعته المشي بعد، لأنهعليه السلام كان قد قطع المسافة كلها من مكة إلى ضجعان ومن ضجعان إلى بني عمرو بن عوف سيراً على الأقدام. فورمت رجليه واشتد ألمهما.

فأتاه النبيصلى الله عليه وآله... وتعانق الإخوة الأحبة... وبكى النبيصلى الله عليه وآله رحمة لما بقدمي عليعليه السلام من الورم. وتفل بيديه وأمرهما على قدمي عليعليه السلام. فبرءا.

الإبن الأوسط: وكيف لا يبرءا وقد وضع عليهما البلسم التسافي، والأكثر من ذلك أمر بيده الشريفة عليهما وهو النبي. وهو الحبيب، وهو المصطفى، وهو البشير إلى كل خير. وإلى أحسن خير، وأكمل خير.

الأب: أي والله يا بني، هو الحبيب محمد المصطفىصلى الله عليه وآله.

ومن تلك اللحظة التي أمر بها النبيصلى الله عليه وآله بيده الكريمة على رجلي

---

(١) آل عمران: ١٩٠ ـ ١٩٥.

(٢) تاريخ الطبري حـ ٢ ص ١٠٦ طبع القاهرة ١٩٣٩.

علي عليه السلام لم يشكهما علي عليه السلام بعد ذلك أبداً إلى أن وافاه الأجل[١] حيث المقام الذي أعده الله تعالى له ولآل بيته الأطهار.

الإبن الأكبر: ما كان إسم المنطقة التي بها بنو عمرو بن عوف يا أبي؟

الأب: هي قبا، وهي موضع على نحو ميلين من جنوب المدينة المنورة، وفي قبا هذه بني أول مسجد للإسلام، ويروى أنه هو المسجد الذي جاء ذكره في القرآن الكريم: (المسجد الذي أسس على التقوى)، وفي رواية أخرى: ان المسجد النبوي الذي في المدينة، هو الذي أسس على التقوى، وفي رواية ثالثة: أنه المسجد النبوي ومسجد قبا لكونهما معاً أسساً على التقوى[٢].

الإبن الأكبر: كم يوماً بقي النبي صلى الله عليه وآله عند بني عمرو بن عوف يا أبي؟

الأب: كان صلى الله عليه وآله عند بني عمرو بن عوف خمسة عشر يوماً ينتظر علياً عليه السلام، وبعد أن اجتمع شمل الأحبة بقي يوماً أو يومين.

ثم ركب النبي صلى الله عليه وآله راحلته.. وركب الجميع معه وساروا يريدون يثرب المدينة المنورة.

وما إن أشرفوا على المدينة المنورة حتى رآهم أهل المدينة من الأنصار، ومعهم المهاجرين، فعمت الفرحة، وامتلأت القلوب بالأمل في مستقبل مملوء بالبركة والخير، وصدحت الأصوات بأناشيد الاستقبال والاستبشار بمقدم الرسول القائد.

الإبن الأوسط: وبماذا كانوا ينشدون يا أبي؟

الأب: كانوا ينشدون بأجمل نشيد انتشدته حناجر بني آدم، نشيداً سرّ الله

---

(١) امتاع الاسماع للمقريزي جـ ١ ص ٤٨ والسيرة الحلبية وأسد الغابة وغيرها.

(٢) راجع تاريخ الطبري ومسند أحمد وصحيح البخاري.

تعالى به وملائكته المقربين، بل وفرحت به حتى أرواح الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين.

الإبن الأوسط: يستعجل أباه بقوله: وما كان نشيدهم يا أبي؟

الأب: كانوا ينشدون:

طلع الفجر علينا — من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا — ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا — جئت بالأمر المطاع
جئت شرفت المدينة — مرحباً يا خير داع

وحينما دخل النبيﷺ المدينة المنورة بدأ عهد جديد مختلف تماماً عن العهد الذي كان في مكة، عهد تحرك به المسلمون بحرية كبيرة، عهد تزايد به الدخول إلى الإسلام، عهد وضعت فيه البذرة الأولى لبناء الدولة الإسلامية، عهد أمر به الله تعالى رسوله الكريم بنشر الإسلام بين سكان جزيرة العرب، عهد أباح به الله تعالى الجهاد في سبيله واستعمال السيف في قتال أعدائه.

الإبن الأكبر: وهل تعني يا أبي إن الله تعالى قد أمر المسلمين بالقتال؟

الأب: نعم يا ولدي، لقد أمر الله تعالى المسلمين بالقتال جهاداً في سبيله، واعلاءً لكلمة الحق والتوحيد بين بني آدم، وإن تكون بداية ذلك الجهاد في أرض جزيرة العرب.

الإبن الأكبر: حدثنا يا أبي عن المعارك التي دارت بين المسلمين والمشركين في جزيرة العرب.

الأب: لقد تحدثنا عن بعضها في وقت سابق، يوم تحدثنا عن سيرة النبي المصطفىﷺ، أما في حديثنا عن عليعليه السلام فسنتعرض للمعارك التي لم نكن قد تحدثنا عنها سابقاً.

الإبن الأكبر: إن شاء الله.

«اليوم الثامن»

«جهاد أمير المؤمنين عليه السلام»

كان الأب طيلة نهار هذا اليوم يتحدث مع نفسه كيف كان أمير المؤمنين عليه السلام طيلة عشر سنوات الساعد الأيمن لرسول الله صلى الله عليه وآله، يجاهد معه جنباً إلى جنب ومعه صحابة الرسول، إلا أن الدور الذي قام به علي عليه السلام لم يقم به غيره من الصحابة الكرام.

كانت سنوات مملوءة بالحركة والنشاط، سنوات اقترنت بها أسمى آيات النضال بالكلمة والسيف، كان النبي صلى الله عليه وآله خلالها وإلى جانبه أمير المؤمنين عليه السلام يدعو الناس إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، وإن اقتضى الحال فالسيف هو السبيل لإنهاء المرض الذي أصيبت به العرب في جزيرتها.

سنوات كان الصبر فيها هو المفتاح الذي يفتح به النصر، الذي يؤدي بالمسلمين إلى الدوام والعزة تحت راية التوحيد.

سنوات امتحن بها الله تعالى المسلمين. وكشفهم لأنفسهم، وعرفوا من خلال الامتحان مدى استعداد كل منهم للتضحية والبذل من أجل قيام الحق

وازهاق الباطل الذي ساد مجتمع الجزيرة العربية.

سنوات نال بها النبي ﷺ وأخاه عليه السلام ألوان الجراحات التي جعلها الله تعالى لهم أوسمة تدلل على الوفاء والاخلاص والتضحية. وما زادتهم تلك الجراحات إلا عزماً وتصميماً على مواصلة الجهاد من أجل نشر الدين الذي ارتضاه الله تعالى لعباده أن يكون خاتماً للأديان.

سنوات برز فيها علي عليه السلام كمجاهد صابر شجاع صادق.

سنوات نال بها علي عليه السلام فضلاً كبيراً ما ناله أي صحابي.

سنوات أثبتت للمسلمين وغيرهم في جزيرة العرب أن لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي.

سنوات شهد بها الله تعالى وملائكته صدق علي عليه السلام في إيمانه وجهاده، ووفائه بالعهد.

سنوات عرّف بها رسول الله ﷺ المسلمين أن لعلي عليه السلام وآل البيت النبوي الأطهار فضلاً كبيراً لم يبلغه أحد ولن يبلغه.

سنوات أنزل فيها الله تعالى في كتابه شهادة على فضل علي وآل البيت الأطهار.

سنوات جعلت لعلي فرصة في أن يكون قدوة لمجموعة من الصحابة وجدوا علياً خير مجاهد صادق وفي زاهد، فانتموا إليه وشرفهم النبي ﷺ بأن أطلق عليهم تسمية شيعة علي.

بكل ذلك كان الأب يحدث نفسه خلال هذا اليوم، ولم ينتبه إلا حينما خاطبه إبنه الأكبر قائلاً: هل اخترت ماذا تحدثنا اليوم يا أبي؟

الأب: نعم يا ولدي، حديثنا اليوم سيكون عن جهاد علي عليه السلام في سبيل الله تعالى، وهو إلى جانب رسول الله.

ثم تابع الأب حديثه قائلاً: كانت بداية جهاد علي عليه السلام منذ الأيام الأولى للإسلام. حيث كان النبي صلى الله عليه وآله يخرجه معه، في وقت كانت شوكة قريش قوية لا طاقة للمسلمين أن يقفوا أمامها، خصوصاً وهم قلة والمشركون في مكة جمع غفير يدفعهم تخلفهم وغلظة قلوبهم إلى أن يقابلوا الدعوة إلى الإسلام بشتى طرق القسوة والهمجية، إلا أن علياً عليه السلام كان له دوراً واضحاً تخشاه فيه قريش. بدأ به منذ أن توفي أبوه.

الإبن الأكبر: وهل كان أمير المؤمنين عليه السلام لا دور له حينما كان أبوه حياً؟

الأب: لا يا ولدي. كان له دور في الدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وآله، إلا أن دوره كان واضحاً أكثر بعد وفاة أبيه.

الإبن الأكبر: حدثنا عن دوره قبل وفاة أبيه يا أبي.

الأب: في يوم كانت قريش قد أغرت الأطفال على أذى رسول الله صلى الله عليه وآله، فما كان من رسول الله صلى الله عليه وآله إلا أن أخرج معه علي عليه السلام وكان حينها صبياً، فأخذ علي عليه السلام يقضم إذن كل طفل يقدم على أذى النبي صلى الله عليه وآله. وبذلك فقد اطلقوا عليه تسمية القضم. وله وقفة أخرى قبل وفاة أبيه كانت يوم الدار والتي تحدثنا عنها في اليوم الخامس، أما وقفاته دفاعاً عن النبي صلى الله عليه وآله والإسلام بعد وفاة أبيه فكانت يوم هجرة النبي صلى الله عليه وآله والتي تحدثنا عنها أيضاً في اليوم السادس، ثم إستمرت وقفاته في حروب المسلمين ضد المشركين. حيث كان قتالاً للمشركين، إذ بسيفه قتل رؤوس الكفر والتخلف.

كان له ساعد قوي وسيف بتار ونفس مؤمنة، ما عرف في حياته غير الاقدام. وما تربى إلا على الصدق في الإيمان، والوفاء بالعهد والاخلاص بالتضحية.

الإبن الأكبر: من من أسياد قريش كان علي عليه السلام قاتلاً لهم؟

الأب: كان أمير المؤمنين عليه السلام قد قتل في بدر الوليد بن عتبة وشيبة بن ربيعة ثم أجهز على عتبة بن ربيعة[1].

أما في معركة الخندق والتي تسمى الأحزاب أيضاً، فكان لعلي عليه السلام دوراً لا ينسى إلى يومنا هذا مع مرور أربعة عشر قرناً، حيث قتل رأس من رؤوس الكفر يعمل له ألف حساب في قريش ألا وهو عمرو بن ود العامري[2].

أما موقفه في معركة خيبر فهو كذلك أشهر من نار على علم، إذ قتل به مرحب اليهودي وأخاه، وكسر جيش اليهود وفتح حصونهم[3].

وموقفه في حنين شهد به القريب والبعيد، حيث بقي صامداً مع تسعة أنفار فقط من بني هاشم مدافعين عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن فرّ المسلمون من ساحة القتال، وكان علي عليه السلام قد قتل في هذه الحرب أبا جرول حامل راية المشركين. والذي بقتله انكسر المشركون وولوا الادبار[4].

أما في أحد، والتي كانت في سنة ثلاث من الهجرة النبوية الشريفة، وفي يوم السبت الحادي عشر من شهر شوال، والتي كانت بين المسلمين والمشركين، وقد سميت بأحد نسبة إلى جبل كان يحمل هذا الإسم.

كان المشركون حينها قد جمعوا لهذه الحرب عدداً كبيراً، واعدوا لها عدة كاملة من سيوف ورماح ونبال ودروع.

---

(١) راجع حديثنا عن معركة بدر في كتابنا سيرة المصطفى ص ٣٠١ طبع دار المحبة البيضاء.

(٢) نفس المصدر السابق ص ٣١١.

(٣) نفس المصدر السابق ص ٣٢٠.

(٤) نفس المصدر السابق ص ٣٤١.

وكان المسلمون أقل منهم عدة وعدداً، إلا أنهم قد تسلحوا بالإيمان واستعانوا بالصبر واقتدوا برسول الله ﷺ.

وضع النبي ﷺ خمسين رامياً من رماته على جبل أحد، ليحموا ظهور المسلمين، وأكد عليهم عدم مغادرة الموقع مهما كانت نتيجة الحرب إلا بأمر من رسول الله ﷺ.

فبرز من المشركين طلحة بن أبي طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار. وكان بيده لواء المشركين.

وكانت خلفه هند بنت عتبة بن ربيعة.

الإبن الأكبر: أهو عتبة بن ربيعة الذي أجهز عليه أمير المؤمنين في معركة بدر يا أبي؟

الأب: نعم يا ولدي، هو عتبة بن ربيعة والد هند زوج أبي سفيان، وأم معاوية. وشيبة بن ربيعة عم هند بنت عتبة. والوليد بن عتبة أخو هند وخال معاوية بن أبي سفيان. وثلاثتهم قتلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يوم بدر.

ثم تابع الأب حديثه قائلاً: كانت هند بنت عتبة ومعها جمع من النساء المشركات خلف طلحة بن أبي طلحة. يضربن بالدفوف، وهند تقول مشجعة للمشركين:

نحن بنات طارق... نمشي على النمارق... مشي القطا النوازق... والمسك في المفارق... والدر في المخانق... ان تقبلوا نعانق... ونفرش النمارق... أو تدبروا نفارق... فراق غير وامق[1]..

---

(١) راجع السيرة الحلبية جـ ٢ ص ٢٣٧.

وتقول أيضاً:

ويهابني عبد الدار... ويهاحماة الأدبار... ضرباً بكل بتار..

وحينما برز طلحة بن أبي طلحة. وكان شجاعاً قال بأعلى صوته: يا أصحاب محمد... إنكم تزعمون إن الله يجعلنا بسيوفكم إلى النار، ويجعلكم بسيوفنا إلى الجنة، فمن شاء منكم أن يلحق بجنته فليبرز، فبرز له أمير المؤمنين علي عليه السلام وهو يرتجز ويقول:

يا طلح ان كنتم كما تقولوا لكم خيول ولنا نصولُ
فأثبت لننظر اينا المقتول بصارم ليس له فلول

واقترب أمير المؤمنين عليه السلام من طلحة بن أبي طلحة. فقال طلحة لعلي عليه السلام: من أنت يا غلام؟ قال علي عليه السلام: أنا علي بن أبي طالب. قال طلحة: قد علمت يا قضم، أنه لا يجرؤ عليّ غيرك.

الإبن الأكبر: سماه قضم نسبة إلى قضمه آذان الصبية حينما كانوا يقدمون على أذى رسول الله صلى الله عليه وآله كما ذكرت لنا يا أبي؟

الأب: نعم يا ولدي.

الإبن الأكبر: ولكن لماذا قال: قدعلمت أنه لا يجرؤ عليّ غيرك يا أبي؟

الأب: قال له ذلك لما يعلم من شجاعته وإقدامه، وهو يعرف أيضاً أن الآخرين لا يجرؤون على مبارزته.

ثم تابع الأب القول:

حمل علي عليه السلام على طلحة... وحمل طلحة على علي عليه السلام... وتراوغا... ثم ضرب طلحة علياً عليه السلام، فاتقاه علي عليه السلام بالجحفة... وضرب علي عليه السلام طلحة فقطع رجله. فسقط على الأرض مضرجاً. وبدت عورته. ثم ناشد علياً عليه السلام الرحم. فتركه أمير المؤمنين عليه السلام.

فأمره رسول الله ﷺ أن يجهز عليه. فاجهز علي عليه السلام على طلحة.

ثم اخذ لواء المشركين أخو طلحة، وهو عثمان بن أبي طلحة، فقتله أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً. ثم برز أخوه الآخر، فقتله علي عليه السلام، وهكذا نزل الأخوة الواحد بعد الآخر وكانوا تسعة. فقتلهم علي عليه السلام جميعاً.

ثم حمل اللواء ارطأة بن شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار. فقتله علي عليه السلام أيضاً.

ثم حمل اللواء غلامهم وكان يدعى صواب. وكان اشدهم وطأة... فقتل أيضاً، وسقط اللواء. وبسقوطه دب الرعب والهلع في قلوب المشركين. فانكسروا شر انكسار. وجاش المسلمون بهم قتلاً. وكان لعلي عليه السلام كما هو دأبة في أي حرب، اليد الطولى في قتل المشركين، وكان يرتجز وهو يقاتل فيقول:

أنا علي وابن عم المهتدي أصول بالله العزيز الأمجدِ

وفالق الاصباح رب المسجدِ

وما إن نظر الرماة الذين أبقاهم رسول الله ﷺ على الجبل، إنكسار المشركين. حتى تركوا مواقعهم طمعاً في الحصول على الغنائم التي تركها المشركون في ساحة المعركة عند فرارهم فالتف حينها خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل ومعهم مئتا فارس من المشركين. من وراء المسلمين، وراحوا بهم ضرباً من خلفهم. فاضطرب المسلمون وتفرق شملهم.

وإذا بصوت عال لإبن قمئة يقول: إن محمداً قد قتل. وفي رواية أن إبليس لعنه الله كان هو المنادي بذلك النداء متمثلاً بصوت جعال أو جعيل بن سراقه. وفي رواية أخرى: ان أزب العقبة هو المنادي... وحينما سمع المسلمون بذلك النداء إنهزم الكثيرون منهم، وإلى إنهزامهم أشار الله تعالى في قوله الكريم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ

﴿ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ﴾[1] ولم يبق مع الرسول ﷺ مقاتلاً للمشركين غير القليل القليل... دافعوا عن رسول الله ﷺ بكل ما يملكون من قوة وإيمان. وكان في مقدمتهم أمير المؤمنين عليه السلام.

كان علي عليه السلام كلما حملت طائفة على رسول الله ﷺ استقبلهم بسيفه تقتيلاً حتى انقطع سيفه، فدفع إليه رسول الله ﷺ بسيفه ذا الفقار. فقاتل قتالاً عجيباً. حتى عجبت الملائكة من قتاله وصبره ومواساته. وسمع المسلمون قائلاً في السماء يقول:

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي.

نال علي عليه السلام في هذه الحرب جراحات بليغة عدة. وسقط إلى الأرض أربع مرات.

ومما روي عنه عليه السلام قال: اصابتني يوم أحد ست عشرة ضربة، سقطت إلى الأرض في أربع منهن. فجائني رجل حسن الوجه، حسن اللحية، طيب الريح. وأخذ بضبعي فاقامني ثم قال لي: أقبل عليهم فقاتل في طاعة الله وطاعة رسوله، فإنهما عنك راضيان. ولما اخبرت النبي ﷺ بذلك قال ﷺ: يا علي، أما تعرف الرجل؟ فقلت: لا، ولكن شبهته بدحية الكلبي. فقال ﷺ: أقر الله عينيك. فإنه جبرائيل[2].

كانت حرب أحد أليمة وشديدة على المسلمين بسبب ترك الرماة أماكنهم وعدم أتباع أمر رسول الله ﷺ. ثم هروب الكثيرون من المسلمين وتركهم رسول الله ﷺ مع القلة القليلة الذين صمدوا مدافعين عن رسول الله ﷺ.

---

(١) آل عمران الآية ١٥٥ راجع مسند أحمد حـ ١ ص ٦٨ وتفسير القرطبي حـ ٤ ص ٢٤٥.

(٢) كفاية الطالب ط مصر ص ٣٧ ونور للشبلنجي ص ٨٧ وتهذيب التهذيب لابن هجر حـ ٢ ص ١٩٣ وحـ ٨ ص ٣٩٦.

وقد قتل في هذه الحرب حمزة عم رسول الله ﷺ. قتله وحشي بالحربة، وكانت قد اغرته بذلك هند بنت عتبة وبذلت له الأموال، وكانت قد خيرته بين قتل علي عليه السلام وحمزة، فلم يستطع النيل من علي عليه السلام وذلك لخفته في القتال وعدم بقائه في مكان واحد. فنال من حمزة بن عبد المطلب عليه السلام.

ولم تكتف هند بقتل حمزة، وإنما اخرجت كبده ولاكته بين أسنانها، وما استطاعت أن تبتلعه فلفظته من فيها، كل ذلك كان منها حقداً على آل هاشم ورغبة بالثأر لأبيها وعمها وأخيها الذين قتلهم علي عليه السلام يوم بدر. ثم قال الأب: هذه نماذج مشرفة من شجاعة أمير المؤمنين عليه السلام وجهاده في سبيل الله تعالى.

فقال الإبن الأكبر: حدثنا عن بطولات أمير المؤمنين عليه السلام في معركة أخرى غير هذه يا أبي.

الأب: ستتحدث عن ذلك يوم غد إن شاء الله.

«اليوم التاسع»

«غزوة بني قريضة»

لم يكن الأب في هذا اليوم أقل شوقاً من الأبناء لمواصلة الحديث عن أمير المؤمنين علي عليه السلام ، ولذلك تراه بمجرد إن جلس بين أبنائه قال: قبل الحديث عن معركة خيبر علينا أن نعود إلى الخندق قليلاً.

حدثتكم يوم أمس عن اليهود ودورهم في حث المشركين على معاودة قتال المسلمين. وكيف أبدوا استعدادهم لمناصرتهم.

وما إن إنكسر المشركين يوم الخندق وقتل عمرو بن ود العامري حتى دخل حي بن اخطب الحصن مع بني قريضة، وفاء لكعب بما عاهده عليه.

الإبن الأكبر: ومن هم بنو قريضة يا أبي؟

الأب: بنو قريضة هم من اليهود في المدينة، وكانوا حلفاء الأوس.

ثم تابع الأب حديثه قائلاً:

حينما إنكسر المشركون في الخندق وانتهت الحرب بإنتصار المسلمين إنصرف رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المدينة فدخلها يوم الثالث والعشرين من ذي القعدة، ووضع المسلمون سلاحهم. وصلى النبي صلى الله عليه وآله الظهر ثم دخل بيت

عائشة. وفي رواية أخرى: دخل بيت زينب بنت جحش.

أراد النبي ﷺ الاغتسال من الغبار.

فناداه جبرائيل عليه السلام: عذيرك من محارب، والله ما وضعت الملائكة لأمة حربها، فكيف تضع لأمة حربك. إن الله تبارك وتعالى يأمرك أن لا تصلي العصر إلا عند بني قريضة، فإني متقدمك ومزلزل بهم حصونهم، إنا كنا في اثار القوم نزجرهم زجراً[1] حتى بلغوا حمراء الأسد.

خرج النبي ﷺ من ساعته، فوجد بطريقه حارثة بن النعمان، فقال ﷺ له: ادع لي علياً.

فحضر علي عليه السلام بين يدي رسول الله ﷺ، فقال له النبي ﷺ: نادِ في الناس الا يصلي أحد العصر إلا في بني قريضة.

فخرج علي عليه السلام وهو يحمل الراية العظمى، ونادى في الناس ما أمره رسول الله ﷺ به، وحضر المسلمون، فانفذ رسول الله ﷺ علياً في ثلاثين رجلاً من الخزرج طليعة لهم. واتجهوا إلى حصن بني قريضة، وما إن شارفوا سور بني قريضة وراه بعضهم، صاح صائح منهم: قد جاءكم قاتل عمرو، وما إن سمع اليهود صوت اليهودي حتى إنهارت كل قواهم. وخرت عزائهم وسمع راجز يرتجز ويقول:

قتل علي عمراً صار علي صقراً
قصم علي ضهراً ابرم علي أمراً
هتك علي ستراً[2]

أحاط أمير المؤمنين عليه السلام ومن معه بالحصن، ثم أقبل رسول الله ﷺ

---

(١) البحار: ٦ ص ٦٩٨.

(٢) السيرة الحلبية جـ ٢ ص ٣٥٧.

فانزل العسكر حول حصن بني قريضة، ودام الحصار ثلاثة أيام، وفي رواية: خمساً وعشرين ليلة وقيل: خمسة عشر ليلة، وقيل شهراً[1].

اشتد الحصار على بني قريضة، وألقى الله تعالى في قلوبهم الرعب حتى استمكن منهم إيما استمكان، وايقنوا أن النبي محمدﷺ لا بد منا جزهم.

فقال لهم كبيرهم كعب بن أسيد: يا معشر يهود، نزل بكم من الأمر ما ترون، وإني عارض عليكم خلالاً ثلاثاً، فخذوا أيها شئتم.

قالوا: وما هي؟

قال: نتابع هذا الرجل (يعني رسول اللهﷺ) ونصدقه، فوالله لقد تبين لكم أنه نبي مرسل، وأنه الذي تجدونه في كتابكم، فتامنون على دمائكم وأموالكم ونسائكم. وما منعنا من الدخول معه إلا الحسد للعرب، حيث لم يك من بني إسرائيل، اتذكرون ما قاله لكم إبن خراشة حين قدم عليكم، إنه يخرج بهذه القرية نبي، فاتبعوه وكونوا له أنصاراً، تكونون آمنتم بالكتابين، الأول والآخر.

قالوا: لا نفارق حكم التوراة ولا نستبدل به غيره.

الإبن الأكبر: أرى يا أبي أن هناك تناقضاً بين ما قاله لهم كبيرهم كعب بن أسيد وبين ما هم أجابوا به كعب بن أسيد.

الأب: نعم يا ولدي، التناقض هو ان كعب قال لهم: وانه النبي الذي تجدونه في كتابكم، وجوابهم: لا نفارق حكم التوراة، ومعلوم أن كتاب اليهود هو الثوراة.

الإبن الأكبر: نعم يا أبي. فما تفسير ذلك؟

---

(١) السيرة الحلبية حـ ٢ ص ٣٥٧ والدحلانية هامش الحلبية حـ ٢ ص ١٤٩.

الأب: إن الله جلت عظمته كان يعلم الأنبياء جميعاً بأن من الأنبياء من يظهر بمكة وإن إسمه محمد أو أحمد. وأنه يكون خاتماً للأنبياء والمرسلين، وان دينه هو خاتم للأديان.

وهذا ما كان بالنسبة لموسى وعيسىعليهما السلام، وإنه مذكور في كتبهم، إلا أن اليد الحاقدة والجاحدة لفضل الله تعالى قد حرفت هذه الكتب بما يلائم اهوائهم واطماعهم، وخصوصاً بالنسبة للبشارة التي نصت على نبوة خاتم الأنبياء محمدﷺ، ودثروا وضيعوا الكتاب الأصلي والصحيح من التوراة، وهذا ما حصل بالنسبة للإنجيل كذلك.

الإبن الأوسط: واما الثانية يا أبي فما هي؟

الأب: قال كعب لبني قريضة: وأما الثانية، فهي إن نقتل أبناءنا ونساءنا، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً مصلتين السيوف، لم نترك وراءنا ثقلاً، حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا نسلاً يخشى عليه.

قالوا: نقتل هؤلاء المساكين؟ فما خير العيش بعدهم.

قال كعب: وأما الثالثة، فإن الليلة ليست السبت، وإن عسى أن يكون محمد وأصحابه قد ناموا فيها، فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غره.

فلم يوافقوه على هذا الرأي أيضاً، ودام حالهم على ما هم عليه من الحصار والخوف، وبعد مضي أيام ثلاثة. نزل غزال بن شمول (ستمول) فقال: يا محمد. تعطينا ما تعطي أخواننا من بني النضير. أحقن دماءنا ونخلي لك البلاد وما فيها، ولا نكتمك شيئاً.

فقال رسول اللهﷺ: لا، أو تنزلون على حكمي.

رجع غزال... وبقي يوماً... ثم نزلوا على حكم رسول اللهﷺ.

الإبن الأكبر: وما كان حكم رسول الله فيهم يا أبي؟

الأب: لقد أمر النبيﷺ بالرجال ان يكتفوا، وكانوا سبعمائة رجل.

وأمر بالنساء إن يعزلن.

وعندها قامت الأوس وقالوا لرسول اللهﷺ: يا رسول اللهﷺ، انهم حلفائنا ومواليناً من دون الناس. نصرونا في المواطن كلها (أي نصروا الأوس، وكان ذلك قبل الإسلام). وحينما أكثروا على النبيﷺ قالﷺ لهم: اما ترضون أن يكون الحكم فيهم منكم؟

قالوا: بلى. من هو؟

قالﷺ: سعد بن معاذ.

قالوا: قد رضينا بحكمه.

فأتوا بسعد بن معاذ، فقال سعد: لقد آن لسعد أن تأخذه بالله لومة لائم. ثم قال: يا معشر اليهود، أرضيتم بحكمي فيكم؟

قالوا: بلى يا أبا عمر.

فالتفت إلى رسول اللهﷺ اجلالاً له وقال: ما ترى بأبي أنت وأمي يا رسول اللهﷺ؟

فقال النبيﷺ: أحكم فيهم يا سعد، فقد رضيت بحكمك.

فقال سعد: قد حكمت فيهم يا رسول اللهﷺ ان تقتل رجالهم. وتسبي نساءهم وذراريهم، وتقسم الغنائم بين المهاجرين والأنصار(١).

أمر رسول اللهﷺ ان يجمع ما في حصونهم من الحلقة والسلاح وغير

---

(١) السيرة الحلبية جـ ٢ ص ٣٦١ ـ ٣٦٢ ذكر قريباً من ذلك.

ذلك، ثم غدى إلى المدينة، وذهب إلى سوقها فخندق فيها خنادق، ثم أمر بقتل كل من أنبت، فجاؤوا بهم إرسالاً، تضرب أعناقهم ويلقون في تلك الخنادق.

فقال بعضهم لسيدهم كعب بن أسيد: يا كعب. ما تراه يصنع بنا؟

قال: في كل موطن لا تعقلون، أما ترون ان من ذهب منكم لا يرجع، هو والله القتل، قد دعوتكم إلى غير هذا فابيتم عليّ.

واستمر الأمر على هذا حتى فرغ منهم رسول الله ﷺ، ثم ردّ عليهم التراب في تلك الخنادق.

كان المتولي لتنفيذ حكم رسول الله ﷺ فيهم علي بن أبي طالب عليه السلام والزبير بن العوام، وفرغوا منهم المغرب.

وفي رواية أخرى: ان النبي ﷺ قد أرسل قسماً منهم إلى الاوس فنفذوا فيهم الحكم.

الإبن الأكبر: وما كان من أمر نسائهم يا أبي؟

الأب: لم تقتل من النساء سوى واحدة، وكانت تدعى بيانة، وقيل مزنة،

الإبن الأكبر: ولم قتلت يا أبي؟

الأب: كانت قد طرحت رحى على خلاد بن سويد فقتلته، فقتلت لذلك.

الإبن الأكبر: وما كان من غزوة خيبر يا أبي؟

الأب: سنتحدث عن خيبر في يوم آخر يا ولدي.

الإبن الأوسط: اسمح لي يا أبي أن أسألك سؤالاً.

الأب: سل يا ولدي.

الإبن الأوسط: أنت حدثتنا يا أبي عن معارك المسلمين ضد المشركين، ومازلت تحدثنا عنها، ولم تذكر لنا شيئاً عن زواج أمير المؤمنين عليه السلام من فاطمة الزهراء، فهل كان أمير المؤمنين وفاطمة الزهراء عليها السلام متزوجان أم لا؟

الأب: نعم يا ولدي كانا متزوجان في تلك الفترة.

الإبن الأوسط: ولكن متى حصل زواجهما يا أبي؟

الأب: لقد حصل هذا الزواج المبارك في السنة الثانية من الهجرة النبوية الشريفة، عقد عليهما في صفر، وقيل في محرم، وقيل في رجب، وقيل في رمضان، ودخل علي عليه السلام على فاطمة الزهراء عليها السلام في ذي الحجة من هذه السنة.

الإبن الأكبر: وما كان عمر الزهراء عليها السلام يا أبي؟

الأب: كانت عليها السلام ابنة خمسة عشر عاماً وخمسة أشهر أو ستة أشهر ونصف، وكان عمر أمير المؤمنين عليه السلام إحدى وعشرين سنة[(١)].

وهناك رواية أخرى تقول: عقد أمير المؤمنين عليه السلام عليها في أول جمادي الأول وكان عمرها عليها السلام خمسة عشر سنة، وكان عمر علي عليه السلام إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر[(٢)] ولم يتزوج عليها حتى ماتت[(٣)].

الإبن الأكبر: وهل صحيح ما يدعيه البعض من أن أمير المؤمنين عليه السلام أراد الزواج عليها في حياتها؟

---

(١) الصواعق لابن حجر ص ١٤١.

(٢) السيرة الحلبية جـ ٢ ص ٢١٧.

(٣) الصواعق ١٤١.

الأب: كل المسلمين يعلمون مدى الحب الكبير الذي حصل بين أمير المؤمنين عليه السلام ورسول الله صلى الله عليه وآله، وكلهم يعلمون أيضاً أن الزهراء هي بضعة المصطفى محمد صلى الله عليه وآله وابنته، وهي من تربت في بيت النبوة والرسالة، ومن تخلقت بأخلاق أبيها المصطفى صلى الله عليه وآله، وسارت على هديه.

وكل المسلمين يعلمون أن علياً نهل من المصطفى محمد صلى الله عليه وآله العلم والحلم، وتربى بين يديه وتحت إشرافه وعلمه.

وما داما كذلك فهل يعقل أن يحصل بينهما شيء يؤدي بعلي إلى أن يطلب الزواج من غيرها؟ وهل يعقل أن هناك إمرأة في الإسلام غيرها من تؤدي حقوق الزوجية مثلها.

ما كان علي عليه السلام بعيداً عن الزهراء عليها السلام قبل الزواج، ولا كانت هي كذلك، فعلي تربى في بيت رسول الله صلى الله عليه وآله منذ كان صبياً، والزهراء وليدة هذا البيت، وهذا يعني أن كل منهما يعرف الآخر حق المعرفة، فمن أين جاءت هذه الرغبة لعلي؟

إعلم يا ولدي، أن هناك أكثر من يد تريد تشويه حقيقة علي بن أبي طالب عليه السلام، وان هذه الأيادي هي التي حاولت تشويه إيمان أبي طالب عليه السلام، وهي عينها التي غيرت كثيراً وبدلت كثيراً، وتأولت كثيراً.

ويكفي علي إن الله تعالى قد ذكره في كتابه العزيز بخير في كثير من الآيات الكريمة، وما ذكر أي من الصحابة مثله، بل ذكر بعضهم بصيغة العقاب وصيغة الترهيب مرات.

ويكفي علي عليه السلام إن ذكره نبي الرحمة في أحاديثه الشريفة بخير أيضاً، ودعا الناس إلى اتباعه وعدم مفارقته، وكذلك الحال بالنسبة لآل البيت النبوي الأطهار.

فمن يكن هذا شأنه أيعقل أن يحصل بينه وبين زوجته الطاهرة بضعة الرسول محمدﷺ شيئاً يؤدي به إلى أن يطلب الزواج من غيرها.

لقد ابتلى أمير المؤمنين عليعليه السلام بأناس ابغضوه، وهم في حقيقة أمرهم ابغضوا رسول الله محمدﷺ، وابغضوا هذا الدين الذي شاء الله تعالى أن يختتم به أديان السماء، وما كان اسلامهم إلا رهبة وخوفاً ونفاقاً.

الإبن الأكبر: ما رأيك يا أبي في أن تحدثنا عن هذا الزواج المبارك، وعن الآيات التي نزلت بحق أمير المؤمنين وآل البيت أيضاً.

الإبن الأوسط قاطعاً حديث أخيه بالقول: وعن الأحاديث النبوية التي جاءت فيهم أيضاً يا أبي.

الأب: نعم يا أبنائي سأحدثكم عن كل ذلك، كل في حينه ووقته إن شاء الله.

«اليوم العاشر»

«علي عند كل شدة»

قبل أن يجتمع الأبناء بأبيهم هذا اليوم، كان له حديث مع إبنه الكبير، وقد حصل ذلك بسبب سؤال سأله الكبير إذ قال:

إني وجدت يا أبي ان الحديث عن علي يستوجب الحديث عن النبي محمدﷺ وعن الزهراءعليها السلام أيضاً، لأن حياتهم وسيرتهم ارتبطت مع بعضهم البعض، فما قولك يا أبي؟

الأب: إعلم يا ولدي إن هناك شخصاً آخر ارتبطت حياته بالنبيﷺ وبعليعليه السلام غير فاطمة.

فقال الإبن لأبيه: ومن هو يا أبي؟

الأب: إنه أبو طالبعليه السلام، ثم تابع الأب حديثه بالقول:

إعلم يا ولدي أن المتحدث عن سيرة أبي طالب يتوجب عليه أن يتحدث عن سيرة رسول اللهﷺ لما بين سيرتيهما من الترابط الذي لا يمكن اغفاله، وكذلك الحال بالنسبة لعليعليه السلام لكون أبي طالب أباً لعليعليه السلام.

والحديث عن المصطفىﷺ يتوجب الحديث عن ربيبه ووصيه وساعده

في معاركه كلها والخليفة من بعده علي بن أبي طالب عليه السلام، وكذلك الحال بالنسبة لفاطمة الزهراء عليها السلام لكونها إبنة رسول الله صلى الله عليه وآله والتي وقفت إلى جانب أبيها منذ طفولتها حتى قال فيها رسول الله صلى الله عليه وآله أنها أم أبيها.

ثم الحديث عن علي وفاطمة عليهما السلام يستوجب ذكر الإمامين الشهيدين سيدا شباب أهل الجنة الحسن والحسين عليهما السلام.

والحديث عن الحسين عليه السلام يستوجب الحديث عن أخته عقيلة بني هاشم وولده السّجاد علي بن الحسين عليه السلام.

والحديث عن علي بن الحسين عليه السلام يستوجب الحديث عن وريث الإمامة من بعده ولده باقر علم الأولين والآخرين محمد الباقر عليه السلام.

والحديث عن الباقر عليه السلام يستوجب الحديث عن الصادق عليه السلام.

والحديث عن الصادق عليه السلام يستوجب الحديث عن الكاظم عليه السلام.

والحديث عن الكاظم عليه السلام يستوجب الحديث عن الرضا عليه السلام.

والحديث عن الرضا عليه السلام يستوجب الحديث عن الجواد عليه السلام.

والحديث عن الجواد عليه السلام يستوجب الحديث عن الهادي عليه السلام.

والحديث عن الهادي عليه السلام يستوجب الحديث عن العسكري عليه السلام.

والحديث عن العسكري عليه السلام يستوجب الحديث عن الحجة المنتظر عليه السلام.

هم سلسلة من المجاهدين الذين اختارهم الله تبارك وتعالى لإقامة دينه الذي ارتضاه. بهم بدأ الدين وبهم ينتهي، وهذه حكمته جل جلاله، هم خلفاء الله تعالى في الأرض وحججه على عباده، والامناء في بلاده.

ولهذا كانت وصايا رسول الله صلى الله عليه وآله بهم وباتباع نهجهم وعدم مخالفتهم،

تماماً كما هو الحال بالنسبة لوجوب اتباع كلام الله تعالى في كتابه الكريم وعدم مخالفته.

الإبن الأكبر: اتعنى بذلك وصية رسول الله ﷺ التي قال فيها:

إني تركت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي آل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً.

الأب: نعم يا ولدي بهذه الوصية وغيرها، أمرنا رسول الله ﷺ بعدم مفارقة كتاب الله وآل بيته الأطهار، لأن مفارقتهم تعني مفارقة رسول الله ﷺ، ومفارقة رسول الله ﷺ تعني مفارقة الله تعالى.

وما إن أكمل الأب حديثه هذا حتى كان الأبناء ملتفين حوله، فقال إبنه الأوسط: وهل بدأت الحديث يا أبي ونحن لم نكتمل؟

قال الأب: لا يا ولدي، لم أبدأ الحديث بعد، وها انذا ابدأه الآن، فاستمعوا: في سنة سبع للهجرة النبوية الشريفة خرج النبي ﷺ ومعه المسلمين قاصداً خيبر، فقال الإبن الأوسط: وما خيبر يا أبي؟

الأب: خيبر يا ولدي، مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع، على ثمانية برد من المدينة إلى جهة الشام، وسكانها من اليهود، وحصونها منيعة.

وكما ذكرت في سنة سبع من الهجرة قصد النبي ﷺ مدينة خيبر، وفي رواية أخرى في سنة ست من الهجرة النبوية[١].

كان مع رسول الله ﷺ ألف وأربعمائة راجل ومائتا فارس، وقد أخرج النبي ﷺ معه من نسائه أم سلمه.

وصل النبي ﷺ ومن معه قريباً من خيبر ليلاً فأقاموا هناك، ثم ركبوا

---

(١) روي مالك وبه جزم إبن حزم وذكره صاحب السيرة الدحلانية هامش الحلبية جـ٢ ص٢٣٣.

إليها بكرة مصبحوها بالقتال[1].

حاصر النبيﷺ خيبر بضعة عشر ليلة موزعة على حصونها إلى أن فتحهاﷺ في صفر[2]. وفي رواية إبن أسحق: نزل النبيﷺ بواد يقال له الرجيع بينهم وبين غطفان، لئلا تمدهم غطفان، لأنهم حلفاؤهم، وكانﷺ قد نزل قريباً من حصون النطاة.

الإبن الأكبر: انك قلت يا أبي أن النبيﷺ فتح خيبر في صفر، فكيف تم الفتح؟

الأب: لقد دام القتال على حصون خيبر ثلاثة أيام، كان النبيﷺ قد دفع اللواء في اليوم الأول إلى رجل من المهاجرين. فرجع ولم يفعل شيئاً.

ثم دفع النبيﷺ اللواء إلى رجل آخر من المهاجرين فرجع ولم يفعل شيئاً أيضاً[3].

الإبن الأكبر: ولكن يا أبي أين أمير المؤمنينعليه السلام؟ ألم يكن موجوداً في هذه الحرب؟

الأب: لا تتعجل الأمور يا ولدي، ثم تابع حديثه بالقول:

بعد أن رجع الصحابي المهاجري في اليوم الثاني ولم يفعل شيئاً كما هو حال الصحابي الذي تقدم في اليوم الأول، قال النبيﷺ وأمام جموع المسلمين: لأعطين الراية غداً لرجل يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله[4]

(١) رواية البخاري عن أنس بن مالك.
(٢) السيرة الدحلانية هامش الحلبية حـ ٢ ص ٢٣٣.
(٣) راجع الكفاية ص ١٥١ حيث قال الكنجي عن هذه الرواية (أي التي رويت في كتابه عن سعد بن أبي وقاص حينما سأله الحرث بن مالك عن فضائل عليعليه السلام: هذا حديث حسن واطرافه صحيحة.
(٤) إلى هنا رواه ابن سعد في طبقاته حـ ٣ ص ١٥٦ والمقريزي في الامتاع ٣١٤ واليعقوبي حـ ٢ ص ٤٢ وأبو الفداء في تاريخه حـ ١ ص ١٤٠ والكنجي في الكفاية ص ١٥١.

لا يولي الدبر، يفتح الله عز وجل على يديه[1].

الإبن الأكبر: وهل صرح رسول الله ﷺ بإسمه يا أبي؟

الأب: لا يا ولدي، لم يصرح بإسم من سيعطيه الراية غداً، واكتفى بقوله ﷺ: أنه رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، وانه لا يولي الدبر، يفتح الله على يديه.

الإبن الأكبر: وهل عرف الناس من هو يا أبي؟

الأب: لا يا ولدي لم يعرفوا، ولذلك تقول كتب التاريخ ان كل واحد منهم تمنى أن يكون هو المعني.

الإبن الأكبر: وهل هناك من لا يولي الدبر غير علي عليه السلام، وهل ذكر التاريخ إن الله تعالى فتح على غير يد علي في أي معركة من معارك المسلمين، وهل مثل علي عليه السلام من الناس من أحب الله ورسوله بصدق ونقاء ووفاء، وهل أحب الله ورسوله ﷺ أحداً كحبهما لعلي عليه السلام، أن قول النبي ﷺ واضح إنه أراد به أمير المؤمنين علي عليه السلام.

الأب: إعلم يا ولدي أن كل الذي قلته صحيح وهم يعلمون علم اليقين ان ذلك لا ينطبق إلا على علي عليه السلام، الا أنهم معذورون حينما يتمنى كل واحد منهم أن يكون هو المعني.

الإبن الأكبر: وكيف ذلك يا أبي؟

الأب: لأن علياً عليه السلام لم يكن حاضراً معهم في هذه الحرب، وذلك لأنه كان يشكو في عينيه رمداً شديداً.

---

(١) روى ذلك صاحب السيرة الدحلانية هامش الحلبية حـ ٢ ص ٢٣٧ وصحيح البخاري حـ ٤ ص ٥ وص ١٢ وحـ ٥ ص ٧٦ ـ ٧٧ والصواعق لابن حجر ص ١٢١.

احتار الأبناء عند سماعهم ذلك، وراحت أفكارهم تبحث بين أسماء الصحابة، من منهم سينال هذا الشرف العظيم ألا وهو حب الله ورسوله، وأنه لا يولي الدبر، وإن الله جل جلاله يفتح خيبر على يديه.

ولم تطل حيرة الأبناء إذ سرعان ما تابع الأب حديثه قائلاً:

وعند الصباح، غدا المسلمون إلى رسول الله ﷺ، ومعظمهم إن لم نقل كلهم. كان يرجو أن يعطى الراية، ويفوز بشهادة رسول الله ﷺ في حب الله ورسوله وحبهما له، فهذا عمر بن الخطاب كان يقول عن ذلك: ما أحببت الإمارة إلا ذلك اليوم، ومثل عمر كان الكثير من الصحابة من تمنى ذلك.

وإذا بالنبي ﷺ يقول للملأ: أين علي بن أبي طالب.

فقيل له: يشتكي عينيه.

قال ﷺ: أرسلوا إليه.

أتي بعلي ﷺ وهو معصب عينيه... بصق رسول الله ﷺ في عينيه... ودعا له... فبرىء حتى كان لم يكن به وجع... فأعطاه الراية[1].

الإبن الأكبر: وهل كان أمير المؤمنين موجوداً حين دعاه النبي ﷺ أم أحضروه من المدينة؟

الأب: كان أمير المؤمنين عليه السلام قد تخلف عنهم في المدينة... إلا أنه لم يستطع أن يبقى بعيداً عن النبي ﷺ ليسمع أخباره، فلحق بالقوم، وحين دعاه النبي ﷺ ذهب إليه سلمه بن الأكوع، وأخذ بيده يقوده إلى أن أحضره

---

(١) الصواعق المحرقة لإبن حجر ص ١٢١ وذكر صاحب السيرة الدحلانية مثل ذلك باختلاف بسيط وذلك في هامش السيرة الحلبية جـ ٢ ص ٢٤١.

أمام النبي ﷺ، وكما ذكرت لكم كان قد عصب عينيه، ثم جرى ما ذكرت لكم، وعقد رسول الله ﷺ له لواءه الأبيض، وقال ﷺ لعلي عليه السلام: أمش ولا تلتفت...

سار علي عليه السلام شيئاً، ثم وقف ولم يلتفت، وقال: يا رسول الله ﷺ اقاتلهم؟

قال النبي ﷺ: قاتلهم حتى يشهدوا إن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دمائهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله[1].

وتقدم الكرار الذي ما عرف الفر يوماً، وبيده الراية، وما إن وصل إلى حصن خيبر حتى ركزها تحت الحصن، فخرج إليه الحرث، وهو أخو مرحب اليهودي، وكان شجاعاً، فانكشف عنه المسلمون... فوثب علي عليه السلام إليه، فتضاربا بالسيف... فقتله علي عليه السلام. وبمقتله خرج مرحب مسرعاً وهو يرتجز ويقول:

قد علمت خيبر اني مرحبُ شاكي السلاح بطل مجربُ
إذا الحروب اقبلت تلتهبُ[2]

وكعادة أمير المؤمنين عليه السلام أن يكون المبارز الأول للشجعان، برز له وهو يرتجز ويقول:

أنا الذي سمتني أمي حيدرة كليت غابات كرية منظرة
اكيلكم بالسيف كيل السندرة[3]

---

(١) هناك عدة روايات في ذلك. وذكرها ابن حنبل في كتابه المناقب راجع ص ١٩٧ وص ٨١ وص ٨٣ وص ٩٨ وفي مسند أحمد حـ ٥ ص ٣٥٣ وكلها لا اختلاف فيها إلا يسيراً.

(٢) الفضائل المخطوط لابن حنبل.

(٣) عمدة الطالب في انساب آل أبي طالب ومثله باختلاف بسيط في مناقب الخوارزمي ص ١٠٤ والسيرة الدحلانية هامش الحلبية حـ ٢ ص ٢٤٢ ـ ٢٤٣.

وكعادة الفرسان من مشركين ويهود حينما يبرز لهم علي عليه السلام ترتعد مفاصلهم، ويوقنون بقرب النهاية، وهذا كاف في أن يضعف النفس ويخور العزيمة.

فحمل كل منهما على الآخر، وضرب مرحب علياً عليه السلام بالسيف فطرح الترس من يده. وهنا صاح علي عليه السلام صيحة ارتجت لها الأرض واقشعرت لها الأبدان وبلغت القلوب الحناجر. ثم قال علي عليه السلام: والذي نفسي بيده لاذوقن ماذاق حمزة، أو ليفتحن الله لي.

ثم اندفع صوب باب الحصن، وصاح الله أكبر، ولم يدر الناس من حوله ما حصل وكأنهم فقدوا احساس أي شيء، أو أنهم رحلوا بأرواحهم إلى حيث المجهول، وإذا بعلي بن أبي طالب عليه السلام بيده باب الحصن يتترس بها، واندفع نحو مرحب، فضربه ضربة قوية، وقعت على الترس فقدته. وشقت المغفر والحجر الذي كان يضعه على رأسه، وفلقت هامته. حتى أخذ السيف الأضراس[1].

وقتل مرحب اليهودي، وبمقتله خرج أخوه ياسر ليثأر لأخيه من علي عليه السلام، وهو يرتجز ويقول:

قد علمت خيبر إني ياسر شاكي السلاح بطل مغادر

ولم يكن ياسر بأقل شجاعة من أخيه. ولا بأقل منه اقداماً. وكان من مشاهير فرسان اليهود وشجعانهم، ومن الذين يرجون السلامة من خلالهم.

فبرز له أمير المؤمنين علي عليه السلام فقتله كما قتل أخويه. وبقتله إندفع أمير المؤمنين بمن معه، داخل المدينة فاتحاً، فأسر من أسر. وقتل من قتل، وتم النصر بعون الله تعالى، وشجاعة واقدام أمير المؤمنين عليه السلام، وكان عليه السلام

(١) السيرة الدحلانية هامش الحلبية جـ ٢ ص ٢٤٣.

يرتجز وهو يقاتل يهود خيبر فيقول:

هذا لكم من الغلام الهاشمي   من ضرب صدق في ذوي الكمائمِ
ضرب نفوذ شعر الجماجم   بصارم أبيض أي صارم
احي بها كتائب القماقم   عند مجال الخيل بالا قادم

الإبن الأكبر: حقيقي يا أبي أن أمير المؤمنين عليه السلام يدخل السرور والاطمئنان في نفوس المسلمين كلما يدخلها شيء من الاكتئاب.

الأب: نعم يا ولدي. فهو عليه السلام لكل كريهة معالج. ولكل عقدة حلال، ولكل خير فاتح.

الإبن الأكبر: حدثنا يا أبي عن الآيات القرآنية التي جاء فيها مدح أمير المؤمنين عليه السلام وآل بيته الأطهار.

الأب: نعم يا ولدي، سأحدثكم بذلك، ولكن ليس اليوم، وإنما في يوم آخر إن شاء الله.

«اليوم الحادي عشر»

«ما جاء في كتاب الله في علي عليه السلام»

جلس الأب وأبناؤه في أمكانهم التي اعتادوا الجلوس فيها. وكانت عيون الأبناء تنظر في أبيهم. وكلهم رغبة في أن يبدأ الحديث. ولم يدم الحال طويلاً، إذ قال الأب:

اعلموا يا أبنائي إن كتاب الله العزيز. فيه تبيان كل شيء، وهو كما حدثنا عنه أمير المؤمنين عليه السلام فقال:

(اعلموا إن هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغش. والهادي الذي لا يضل، والمحدث الذي لا يكذب.

وما جالس هذا القرآن أحد الا قام عنه بزيادة أو نقصان، زيادة في هدى، أو نقصان في عمى.

واعلموا أنه ليس على أحد بعد القرآن من فاقه، ولا لأحد قبل القرآن من غنى، فاستشفوه من ادوائكم. واستعينوا به على لأوائكم. فإن فيه شفاء من اكبر داء: وهو الكفر والنفاق والغي والضلال، فأسألوا الله به، وتوجهوا إليه بحبه. ولا تسألوا به خلقه، أنه ما توجه العباد إلى الله بمثله.

واعلموا أنه شافع مشفع. وقائل مصدق، وأنه من شفع له القرآن يوم القيامة شفع فيه، ومن محل به القرآن يوم القيامة صدق عليه، فإنه ينادي مناد يوم القيامة:

الا ان كل حارث مبتلي في حرثه وعاقبة عمله، غير حرثة القرآن، فكونوا من حرثه واتباعه، واستدلوه على ربكم. واستنصحوه على أنفسكم، واتهموا عليه آراءكم، واستغيثوا فيه اهواءكم.

ثم تابع الأب حديثه قائلاً:

ان من نعم الله وفضله أن جعل لعلي عليه السلام نصيب في كتابه الكريم في وقت ما حصل أي صحابي على جزء من هذا النصيب، وهذا مما لا شك فيه فضل وتفضيل لعلي عليه السلام. فضل أن امتدحه الله جل جلاله في غير مكان من كتابه الكريم، وفضيله ما نال مثلها غيره من الصحابة. وقد روي عن الصحابي عبد الله بن عباس قال: ما نزل في أحد من الصحابة في كتاب الله ما نزل في علي. نزل في علي ثلاثمائة آية[1].

وقال ابن عباس أيضاً: ليس آية في كتاب الله، يا أيها الذين آمنوا، الا وعلي أوليها وأميرها وشريفها[2].

الابن الأكبر: ما شاء الله يا أبي. انه لفضل عظيم ان يشهد الله تعالى على فضل علي عليه السلام.

الأب: نعم يا ولدي، نال علي عليه السلام من الفضل ما لم يكن بمقدور أي

---

(١) السيرة الدحلانية هامش الحلبية حـ ٢ ص ١٣.

(٢) نفس المصدر السابق والجزء والصفحة وكتاب الفضائل المخطوط لابن حنبل ص ٩٠ ونور الأبصار للشبلنجي ص ٧٨ وقريباً منه في تفسير الميزان للطباطبائي حـ ١ ص ٢٤٩ نقلاً عن الدر المنثور. وأخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء وذكره إبن حجر في الصواعق ص ١٢٧ والقندوزي في ينابيعه ص ٢١٢.

صحابي أن يبلغه.

الإبن الأكبر: أذكر لنا يا أبي ما جاء في كتاب الله تعالى في أمير المؤمنين عليه السلام.

الأب: سأذكر لكم أولاً الآيات التي نزلت في علي عليه السلام وآل البيت عليهم السلام مع ذكر سبب نزول هذه الآيات وقصتها، وإن وجدنا متسعاً في الأيام القادمة سنتحدث عن الآيات الأخرى مع ذكر من أيد نزولها فيهم عليهم السلام من المفسرين والعلماء وكتاب التاريخ.

الإبن الأكبر: كما تشاء يا أبي.

الأب: قبل كل شيء لنعرف من هم آل البيت النبوي؟

قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ الأحزاب٣٣.

ان قصة هذه الآية كما رواها جابر بن عبد الله الأنصاري عن فاطمة الزهراء عليها السلام قالت: دخل عليّ أبي رسول الله صلى الله عليه وآله في بعض الأيام فقال: السلام عليك يا فاطمة.

قلت: وعليك السلام يا رسول الله صلى الله عليه وآله، قال صلى الله عليه وآله: إني أجد في بدني ضعفاً، فقلت له: اعيذك بالله يا أبتاه من الضعف.

فقال صلى الله عليه وآله: يا فاطمة، آتيني بالكساء اليماني فغطيني به، فاتيته بالكساء اليماني فغطيته به، وصرت انظر إليه. وإذا وجهه يتلألأ كالبدر في ليلة تمامة وكمالة، فما كانت الا ساعة، وإذا بولدي الحسن قد اقبل، وقال: السلام عليك يا أماه، فقلت: عليك السلام يا قرة عيني وثمرة فؤادي، فقال: ياأماه، إني أشم عندك رائحة طيبة كأنها رائحة جدي رسول الله صلى الله عليه وآله، فقلت: نعم، ان جدك تحت الكساء. فأقبل الحسن نحو الكساء وقال: السلام عليك يا

جداه يا رسول الله، أتأذن لي أن أدخل معك تحت الكساء. فقالﷺ: وعليك السلام يا ولدي. ويا صاحب حوضي، قد أذنت لك. فدخل معه تحت الكساء، فما كانت الا ساعة، وإذا بولدي الحسين قد أقبل وقال: السلام عليك يا أماه، فقلت: وعليك السلام يا ولدي. ويا قرة عيني وثمرة فؤادي، فقال لي: يا أماه، إني أشم عندك رائحة طيبة، كأنها رائحة جدي رسول اللهﷺ، فقلت: نعم، ان جدك وأخاك تحت الكساء، فدنى الحسين نحو الكساء، وقال: السلام عليك يا جداه، السلام عليك يامن اختاره الله، أتأذن لي أن أكون معكما تحت الكساء، فقالﷺ: وعليك السلام يا ولدي، وياشافع أمتي، قد أذنت لك. فدخل معهما تحت الكساء.

فأقبل عند ذلك أبو الحسن علي بن أبي طالبعليه السلام، وقال: السلام عليك يا بنت رسول الله. فقلت: وعليك السلام يا أبا الحسن، ويا أمير المؤمنين، فقال: يا فاطمة، إني أشم عندك رائحة طيبة كأنها رائحة أخي وابن عمي رسول الله، فقلت: نعم، ها هو مع ولديك تحت الكساء، فأقبل علي نحو الكساء وقال: السلام عليك يا رسول الله. أتأذن لي أن أكون معكم تحت الكساء. قالﷺ له: وعليك السلام يا أخي. وياوصيي وخليفتي، وصاحب لوائي. قد أذنت لك، فدخل عليعليه السلام تحت الكساء، ثم أتيت نحو الكساء، وقلت: السلام عليك يا أبتاه، يا رسول الله، أتأذن لي أن أكون معكم تحت الكساء. قالﷺ: وعليك السلام يا ابنتي، ويابضعتي، قد أذنت لك. فدخلت تحت الكساء.

فلما اكتملنا جميعاً تحت الكساء، أخذ أبي رسول اللهﷺ بطرفي الكساء. وأومأ بيده اليمنى إلى السماء، وقال: أللهم إن هؤلاء أهل بيتي، وخاصتي، وحامتي، لحمهم لحمي، ودمهم دمي، يؤلمني ما يؤلمهم. ويحزنني ما يحزنهم، أنا حرب لمن حاربهم، وسلم لمن سالمهم، وعدو لمن عاداهم، ومحب لمن أحبهم، أنهم مني، وأنا منهم، فاجعل صلواتك،

وبركاتك ورحمتك، وغفرانك، ورضوانك، عليّ وعليهم، وأذهب عنهم الرجز وطهرهم تطهيرا.

فقال الله عز وجل: يا ملائكتي، ويا سكان سماواتي، إني ما خلقت سماء مبنية، ولا أرضاً مدحية، ولا قمراً منيراً، ولا شمساً مضيئة، ولا فلكاً يدور ولا بحراً يجري ولا فلكاً يسري، إلا في محبة هؤلاء الخمسة الذين هم تحت الكساء.

فقال الأمين جبرائيل: يا رب، ومن تحت الكساء.

فقال عز وجل: هم أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، هم فاطمة وأبوها وبعلها وبنوها.

فقال جبرائيل: يا رب، أتأذن لي أن أهبط إلى الأرض لأكون معهم سادساً.

فقال الله تعالى: نعم، قد أذنت لك.

فهبط الأمين وقال السلام عليك يا رسول الله، العلي الأعلى يقرئك السلام. ويخصك بالتحية والإكرام. ويقول لك: وعزتي وجلالي، إني ما خلقت سماء مبنية، ولا أرضاً مدحية، ولا قمراً منيراً، ولا شمساً مضيئة، ولا فلكاً يدور، ولا بحراً يجري، ولا فلكاً يسري، إلا لأجلكم ومحبتكم. وقد أذن لي أن أدخل معكم فهل تأذن لي يا رسول الله.

فقال رسول الله ﷺ: وعليك السلام يا أمين وحي الله، أنه نعم، قد أذنت لك. فدخل جبرائيل معنا تحت الكساء، فقال لأبي: إن الله قد أوحى اليكم يقول: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً). ثم تابع الأب حديثه قائلاً:

لقد وردت روايات عدة في حديث الكساء، وكلها تؤكد أن النبي ﷺ

أدخل معه علياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام معه تحت الكساء. وقال صلى الله عليه وآله وسلم: اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، فانزل الله تعالى فيهم: إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً(١) وهذا ما أجمعت عليه كتب الحديث والتفسير.

ومما روي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يمر ببيت فاطمة عليها السلام ستة أشهر إذا خرج إلى الفجر فيقول: الصلاة يا أهل البيت، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً(٢). وفيهم قال الإمام محمد بن طلحة الشافعي المتوفي ٦٥٢ هـ شعراً هو:

يا رب بالخمسة أهل العبا ذوي الهدى والعمل الصالح

ومن هم سفن نجاة ومن وإليهم ذو متجر رابح

ومن لهم مقعد صدق إذا قام الورى في الموقف الفاضح(٣)

الإبن الأكبر: في أي يوم من أيام الشهر نزلت هذه الآية يا أبي وفي أي شهر؟

الأب: مما يروى أن آية التطهير وآية المباهلة والآية التي قال فيها الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾، كانت جميعاً في يوم واحد، وهو اليوم الرابع والعشرين من شهر ذي الحجة، والله أعلم.

---

(١) تفسير الطبري حـ ١٤ ص ١٨٢ والطبري حـ ٢٢ ص ٦ وابن كثير حـ ٣ من ٤٨٤ وشواهد التنزيل حـ ٢ ص ١٠ ـ ٩٢ ومسند أحمد ٤/ ١٠٧ وفضائل الصحابة لابن حنبل ٢/ ٣١٢ والمستدرك على الصحيحين ٢/ ٤٥١ ومسند إبن راهوية ١/ ١٠٩ وتاريخ بغداد ١/ ٢٧٨ ومناقب إبن المغازلي ٢٥٤ وتاريخ دمشق ٢/ ٤٣٧ وغيرها.

(٢) راجع الفضائل المخطوط لابن حنبل والصواعق لابن حجر ص ١٤٤.

(٣) ذكر الشيخ الأميني رحمه الله هذه الأبيات في كتابه الغدير حـ ٥ ص ٤١٧.

الإبن الأكبر: حدثنا عن هذه الآيات يا أبي؟

الأب: لقد تحدثنا عن آية التطهير، والآن سأحدثكم عن آية المباهلة وهي التي كانت في اليوم الرابع والعشرين من شهر ذي الحجة على أشهر الأقوال.

قال تعالى: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ آل عمران٦١.

وقصة هذه الآية الكريمة كما روي، ان النبي ﷺ كتب إلى أهل نجران قبل أن تنزل عليه سورة النحل. كتاباً هو:

بسم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، من محمد رسول الله. إلى أسقف نجران وأهل نجران. أن أسلمتم فإني أحمد اليكم الله إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب.

أما بعد، فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد، فإن أبيتم فالجزية، وإن أبيتم فقد أوذنتم بحرب، والسلام.

فلما قرأ اسقف نجران الكتاب فضع به وذعر ذعراً شديداً. فبعث إلى وجهاء نجران يستطلع رأيهم، فاتفق الجميع على أن يبعثوا شرحبيل بن وداعة، وعبد الله بن شرحبيل، وجبار بن فيض، فيأتونهم بخبر رسول الله ﷺ.

فانطلق الوفد حتى أتوا رسول الله ﷺ...[1]

---

(١) هذه الرواية ذكرها البيهقي في دلائل الصدق من طرف سلمه بن عبد يشوع عن أبيه عن جده.

وهناك رواية عن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: لمّا قدم وفد نجران على النبي صلى الله عليه وآله قدم فيهم ثلاثة من النصارى من كبارهم، العاقب ومحسن والأسقف.

فلما صلى النبي صلى الله عليه وآله جلسوا بين يديه، فقال الأسقف: يا أبا القاسم، فذاك موسى من أبوه؟

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: عمران.

الأسقف: فيوسف من أبوه؟ قال النبي صلى الله عليه وآله: يعقوب.

الأسقف: فداك أبي وأمي، فأنت من أبوك؟ قال النبي صلى الله عليه وآله: عبد الله بن عبد المطلب.

الأسقف: فعيسى من أبوه؟ فسكت النبي صلى الله عليه وآله، فنزل جبرائيل عليه السلام فقال: ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون.

فوقف الأسقف إعظاماً لعيسى أن يقال له من تراب، ثم قال: ما نجد هذا في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور، ولا نجد هذا إلا عندك.

فأوحى الله عز وجل إلى نبيه صلى الله عليه وآله: (فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين).

فقالوا: انصفتنا يا أبا القاسم، فمتى موعدك؟

قال صلى الله عليه وآله: بالغداة إن شاء الله.

قال الإمام علي عليه السلام: فلما صلى النبي صلى الله عليه وآله الصبح، أخذ بيدي فجعلني بين يديه، وأخذ فاطمة فجعلها خلف ظهره، وأخذ الحسن والحسين عن يمينه وعن شماله، ثم برك لهم باركاً، فلما رأوه قد فعل ذلك ندموا.

وتآمروا فيما بينهم، وقالوا: والله أنه لنبي، ولئن بأهلنا يستجيب الله له علينا فيهلكنا، ولا ينجينا شيء منه الا ان نستقيله.

قال علي عليه السلام: فأقبلوا حتى جلسوا بين يديه، ثم قالوا: يا أبا القاسم. أقلنا.

قال النبي ﷺ : نعم، قد أقلتكم، أما والذي بعثني بالحق، لو باهلتكم ما ترى على ظهر الأرض نصرانياً إلا أهلكه.

الإبن الأكبر: أن الآية الكريمة تقول تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم...

ورسول الله ﷺ قد احضر معه أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، فهل يعني أن فاطمة عليها السلام هي النساء وان الحسنين هما الأبناء؟

الأب: نعم يا ولدي كان رسول الله ﷺ يعني أن فاطمة هي النساء ولم يحضر من نسائه أي واحدة، وان الحسن والحسين عليهما السلام هما الأبناء، وأن علياً عليه السلام هو بمثابة النفس لرسول الله ﷺ.

الإبن الأكبر: الله أكبر، أي فضائل هذه التي امتاز بها آل البيت يا أبي.

الأب: نعم يا ولدي، وهذا ما أكده العلماء المفسرين والمحدثين وكتاب التاريخ.

الإبن الأكبر: وكيف ذلك يا أبي؟

الأب: لقد أجمع المفسرون على أن المراد بأبنائنا في هذه الآية هما الحسن والحسين عليهما السلام، وقد استندوا بذلك إلى كثير من الأحاديث النبوية التي تؤكد أن الحسنين هما ابنا رسول الله ﷺ.

الإبن الأكبر: مثل أي حديث يا أبي؟

الأب: قال رسول الله ﷺ: لم يبعث الله نبياً قط الا جعل ذريته من صلبه غيري فإن الله جعل ذريتي من صلب علي بن أبي طالب[1].

---

(١) السيرة الدحلانية هامش الحلبية حـ ٢ ص ١١ والصواعق لإبن حجر ص ١٢٤.

وقال رسول الله ﷺ : هذان إبناي وأبنا ابنتي، أللهم إني أحبهما وأحب من يحبهما[1] كما وان هناك غير هذه الأحاديث تؤيد كون الحسنين عليهما السلام ابنا رسول الله ﷺ ، واتفق المفسرون على أن فاطمة الزهراء عليها السلام هي المراد بنسائنا التي وردت في الآية الكريمة، لأنه لم يحضر من النساء غيرها، وهو دليل على تفضيلها عليهن، والذي يدعم ذلك.

قال النبي ﷺ : أحب أهلي إليّ فاطمة[2] وغير هذا الحديث هناك الكثير.

أما (وانفسنا) فقد استدل العلماء أنها تعني علياً خاصة، لكونه كان حاضراً في المباهلة. ولو كان غير معني لما وجب حضوره ولا استدعى تواجده كما كان حال الكثيرين من الذين هم قرابة للنبي ﷺ ، كما وأنه من غير المعقول أن يدعو الإنسان نفسه، وإنما يصح أن يدعو غيره، والذي يؤكد ذلك قول النبي ﷺ لبني وليعة:

لتنتهن يا بني وليعة أولاً بعثن عليكم رجلاً عديل نفسي يقتل مقاتلتكم ويسبي ذراريكم، فقال عمر: فما تمنيت الإمارة الا يومئذ، وجعلت انصب له صدري رجاء أن يقول هو هذا، فأخذ بيد علي وقال: هو هذا[3].

الإبن الأكبر: والآية الثالثة التي قال الله تعالى فيها ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ ما عنها يا أبي؟

الأب: سنتحدث عنها وعن غيرها في يوم آخر يا ولدي.

(١) الصواعق لابن حجر ص ١٣٧ وص ١٩١.

(٢) الصواعق لابن حجر ص ١٩١.

(٣) شرح النهج لابن أبي الحديد حـ ١ ص ٢٩٤.

«اليوم الثاني عشر»

«التصدق بالخاتم»

كان الأب جالساً على فراشه وحيداً مفكراً بما كان للإسلام من دور في تنظيم وتحسين الناحية الاقتصادية للفرد المسلم.

وبينما هو كذلك إذ جلس بجانبه إبنه الكبير، وبادره سائلاً: بماذا يفكر والدي العزيز؟

إبتسم الأب بوجه ابنه وقال: كنت أفكر يا ولدي، بديننا الإسلامي الذي ما ترك باباً من أبواب الحياة الا ووضع له دستوراً متكاملاً أن أتبعه المسلمون أخذوا بأنفسهم نحو الرقي والتقدم لا محال.

الإبن الأكبر: مثل ماذا يا أبي؟

الأب: مثل الناحية الاقتصادية يا ولدي، لم يترك الإسلام كيفية رقيها ومعالجة ما قد يحدث للأفراد من حاجة فيها.

الإبن الأكبر: وكيف عالج الإسلام ما قد يحدث من حاجة؟

الأب: إعلم يا ولدي إن الله جلت قدرته قدر الأرزاق على الناس، فمن كان حظه من الرزق أكبر من غيره فرض عليه حقوقاً وأوجبها عليه، كالخمس

والزكاة ثم الصدقات، وما كان الهدف منها الا ليجعل من التكافل الاجتماعي مبدأ يعتمده المسلمون لعون ذوي الحاجة من المسلمين، ومشاركتهم في رفع ما يعاني منه صاحب الحاجة وذلك لتمتين الترابط والمحبة بين أفراد المسلمين.

ولو نظرنا لسيرة أمير المؤمنين عليه السلام، لوجدنا من الذين أحسوا بما يعاني الفقراء المسلمين بل وشاركهم في أسلوب حياتهم، وأعان بعضهم على قدر ما أمكنه ذلك في عونهم، على رغم من عدم توفر ما يسد حاجته هو أو عياله. والتاريخ الإسلامي حافل بأمثلة عديدة وقصص فريدة على ذلك. وخير شاهد له عليه، ما جاء في كتاب الله العزيز من الآيات التي تؤكد دوره في العطاء، والتي منها: قوله جل جلاله:

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ وقوله تعالى:

﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾.

وقوله تعالى:

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾، وغير ذلك من الآيات.

وهنا حضر الأبناء وأخذ كل منهم مكانه.

الإبن الأكبر: وما حديث هذه الآية التي قال الله تعالى فيها: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾؟

الأب: أخرج الثعلبي في تفسيره بإسناد عن أبي ذر الغفاري قال:

أما إني صليت مع رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً من الأيام الظهر، فسأل سائل في

المسجد فلم يعطيه أحد شيئاً.

فرفع السائل يديه الى السماء وقال: اللهم اشهد اني سألت في مسجد نبيك محمد ﷺ فلم يعطني أحد شيئا.

وكان علي عليه السلام في الصلاة راكعاً، فأومأ إليه بخنصره اليمنى وفيه خاتم، فأقبل السائل فأخذ الخاتم من خنصره، وذلك بمرأى من النبي ﷺ وهو في المسجد.

فرفع النبي ﷺ طرفة إلى السماء وقال:

أللهم إن أخي موسى سألك فقال: رب أشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي، وأجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي، أشدد به أزري وأشركه في أمري.

فأنزلت عليه قرآناً: سنشد عضدك بأخيك. ونجعل لكما سلطاناً فلا يصلون إليكما.

أللهم، إني محمد نبيك وصفيك، أللهم إشرح لي صدري ويسر لي أمري وأجعل لي وزيراً من أهلي علياً أشدد به ظهري.

قال أبو ذر: فما استتم دعاءه حتى نزل جبرائيل عليه السلام من عند الله عز وجل وقال: يا محمد إقرأ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ (٥٥) وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾.

وفي رواية جابر بن عبد الله الأنصاري قال:

كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ اذ ورد علينا أعرابي أشعث عليه أثواب رثة، والفقر ظاهر بين عينيه ومعه عياله، فلما دخل المسجد على النبي ﷺ وقف بين يديه وأنشد يقول:

أتيتك والعذراء تبكي برنة ... وقد ذهلت أم الصبي عن الطفلِ

وأخـــت وبـنــتـــان وأم كــبـيـــرة　　وقد كدت من فقري اخالط في عقلي
وقـد مـسـنـي فـقـر وذل وفـاقـة　　وليس لنا شيء يُمر ولا يُحلي
ولـسـنـا نـرى إلا إلـيـك فـرارنـا　　وأين مفر الخلق إلا إلى الرسل

فلما سمع رسول الله ﷺ ذلك بكى، ثم قال لأصحابه: معاشر المسلمين. إن الله تعالى قد ساق إليكم ثواباً. وقاد إليكم أجراً، والجزاء من الله في غرف في الجنة تضاهي غرف إبراهيم الخليل عليه السلام فمن منكم يواسي هذا الفقير؟ فلم يجبه أحد. وكان في ناحية المسجد علي بن أبي طالب عليه السلام يصلي ركعات كانت له تطوعاً. فأومأ إلى الأعرابي بيده. فدنا منه، فدفع إليه الخاتم من يده وهو في صلاته، فأخذه الأعرابي وانصرف.

ثم إن النبي ﷺ أتاه جبرائيل عليه السلام ونادى: السلام عليك يا رسول الله ﷺ، ربك يقرؤك السلام ويقول لك، إقرأ: إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون، ومن يقول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون.

وقال السيوطي: أخرج الخطيب في المتفق عن إبن عباس قال:

تصدق علي بخاتمه وهو راكع، فقال النبي ﷺ: من اعطاك هذا الخاتم؟ قال: ذلك الراكع، فأنزل الله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾[1].

علماً أن المفسرين أجمعوا، وكذلك القوشجي وهو من أئمة الأشاعرة في مبحث الإمامة من شرح التجريد، على أن هذه الآية نزلت في علي حين تصدق راكعاً بالصلاة، كما وأخرج نزولها في علي عليه السلام النسائي عن عبد الله بن سلام، وصاحب الجمع بين الصحاح في تفسيره لسورة المائدة.

---

(١) الدر المنثور للسيوطي حـ ٢ ص ٢٩٣، وراجع احكام القرآن للرازي حـ ٢ ص ٥٤٣.

وكانت لحسان بن ثابت في هذه المناسبة أبيات قال فيها:

أبا حسن تفيدك نفسي ومهجتي وكل بطيىء في الهدى ومسارع
أيذهب مدحي والمحبر ضائع وما المدح في جنب الإله بضائع
فأنت الذي أعطيت إذ كنت راكعاً فدتك نفوس القوم يا خير راكع
فأنزل فيك الله خير ولاية وبينها في محكمات الشرائع(١)

الإبن الأكبر: أن في هذه الآية الكريمة جاء تأكيد من الله تعالى للمسلمين بأن الولاية لله تعالى ولرسوله ﷺ ولأمير المؤمنين عليه السلام.

الأب نعم يا ولدي: إن الولاية لله تعالى ولرسوله محمد ﷺ ولأمير المؤمنين عليه السلام، وتأكيد هذا جاء أيضاً في بيعة الغدير في حجة الوداع التي أعلن فيها رسول الله ﷺ أمام الملأ من المسلمين: من كنت مولاه فهذا علي مولاه أللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله وأدر الحق معه حيثما دار.

الإبن الأكبر: حدثنا يا أبي عن قوله تعالى: ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً. إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً.

الأب: نعم يا ولدي، إن حادثة هذه الآية تبين لنا مدى المواساة التي كان فيها آل البيت عليهم السلام للمحتاجين من الناس.

لقد روي عن الإمام الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام عن أبيه الباقر عليه السلام في قوله عز وجل: يوفون بالنذر. قال عليه السلام:

مرض الحسن والحسين عليهما السلام وهما صبيان صغيران، فعادهما النبي ﷺ ومعه اثنين من أصحابه، فقال أحدهما: يا أبا الحسن. لو نذرت في ابنيك

---

(١) راجع تفسير الطبري ٦/ ١٦٥ ومجاهد والواحدي في أسباب النزول ١٤٨ وتفسير الرازي ٣/ ٤١٧ وتفسير الخازن ٣/ ٤٦١.

نذراً أن عافاهما الله. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أصوم ثلاثة أيام شكراً لله عز وجل.

وكذلك قالت فاطمة الزهراء عليها السلام، وقال الحسن والحسين عليهما السلام: ونحن أيضاً نصوم ثلاثة أيام.

وكذلك قالت جاريتهم فضة.

فألبسهما الله عافية، فأصبحوا صياماً.

وصلى علي عليه السلام مع النبي صلى الله عليه وآله المغرب، ثم أتى منزله، فوضع الخوان وفيه خمسة أقراص. لكل واحد منهم قرصاً، لا يوجد طعام غيرها، فأول لقمة كسرها علي عليه السلام وإذا بمسكين وقف بالباب فقال: السلام عليكم أهل بيت محمد صلى الله عليه وآله، أنا مسكين من مساكين المسلمين، اطعموني مما تأكلون أطعمكم الله على موائد الجنة. فوضع علي عليه السلام اللقمة من يده طالباً من فاطمة عليها السلام أن تعطي المسكين.

عمدت فاطمة إلى ما كان على الخوان فدفعته إلى المسكين، ولم يذوقوا غير الماء، وباتوا جياعاً، وأصبحوا صياماً.

وفي اليوم الثاني، جاء علي عليه السلام بعد أن صلى المغرب في المسجد مع رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما وضع الخوان بين يديه وجلسوا خمستهم للإفطار، وإذا بيتيم من يتامى المسلمين قد وقف على الباب وقال: السلام عليكم يا أهل بيت محمد صلى الله عليه وآله، أنا يتيم من يتامى المسلمين، أطعموني مما تأكلون، أطعمكم الله على موائد الجنة، فوضع علي عليه السلام اللقمة من يده، وطلب من فاطمة عليها السلام أن تعطي اليتيم، فعمدت بنت رسول الله صلى الله عليه وآله إلى ما كان في الخوان من الخبز فدفعته إلى اليتيم، وباتوا جائعين لم يذوقوا غير الماء، وأصبحوا صائمين.

وفي اليوم الثالث، تكرر الموقف نفسه، إلا أن السائل كان أسيراً، وقد وقف على الباب وقال: السلام عليكم أهل بيت محمد ﷺ، تاسروننا ولا تطعموننا؟ فوضع علي عليه السلام اللقمة من يده، وطلب من فاطمة عليها السلام أن تقدم للأسير طعاماً، فدفعت له كل ما في الخوان من الخبز، وافطروا بالماء فقط، وناموا وهم جائعين.

وفي الصباح، جلسوا جميعاً مفطرين بعد أن صاموا ثلاثة أيام إيفاء للنذر وكان الحسن والحسين عليهما السلام يرتعشان من شدة الجوع والتعب، فأقبل أمير المؤمنين عليه السلام على رسول الله ﷺ ومعه الحسن والحسين عليهما السلام، فلما أبصرهم النبي ﷺ قال لعلي عليه السلام: يا علي شد ما يسوئني ما أرى بكم. انطلق إلى ابنتي فاطمة.

فانطلقوا جميعاً، ولما رآها النبي ﷺ وهي تصلي في محرابها، وقد غارت عيناها من شدة الجوع، ضمها رسول الله ﷺ إليه وقال: واغوثاه بالله، أنتم منذ ثلاث فيما أرى؟

فهبط جبرائيل عليه السلام وقال للنبي ﷺ: يا محمد ﷺ، خذ ما هيأ الله لك في أهل بيتك، قال النبي ﷺ: وما آخذ يا جبرائيل؟ قال: بسم الله الرحمن الرحيم.

هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً، انا خلقنا الإنسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً، إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفورا، إنا اعتدنا للكافرين سلاسل واغلالا وسعيراً، ان الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً، عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً، ويوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً، ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً، إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً، انا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريراً، فوقهم الله شر ذلك اليوم

ولقهم نضرة وسروراً، وجزايهم بما صبروا جنة وحريرا، متكئين فيها على الآرائك لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً، ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا، ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا. قوارير من فضة قدروها تقديرا. ويسقون فيها كاساً كان مزاجها زنجبيلاً، عينا فيها تسمى سلسبيلا، ويطوف عليهم ولدان مخلدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً، وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكاً كبيراً، عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق وحلوا اساور من فضة وسقهم ربهم شراباً طهوراً، ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكوراً. صدق الله العلي العظيم.

الإبن الأكبر: هنيئاً لكم سادتي آل بيت النبي على ما أدخر لكم بارئكم من النعيم جزاء لكم على ما صبرتم واحتسبتم وجاهدتم.

الأب: هكذا كانت مواساة آل البيت النبوي للفقراء من الناس، وبهم يجب أن يقتدي المسلمون. وهم ان فعلوا ذلك لم يبق في الإسلام إسماً للفقر، ولعاش الناس جميعاً مكتفين منعمين لا هم لهم الا ان يؤدوا ما أوجب الله عليهم من عبادة، واجلال وإكبار لله تعالى بما هو أهل له سبحانه وتعالى.

الإبن الأوسط: وما حديث الآية الكريمة:

ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون.

قال الأب: إن هذه الآية الكريمة تظهر أيضاً مدى التضحية والإيثار الذي كان آل البيت عليهم السلام فيه لمن كان محتاجاً وفقيراً ومعدماً.

فقد روي عن أبي هريرة قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وشكى له الجوع، فبعث النبي صلى الله عليه وآله إلى بيوت أزواجه فقلن: ما عندنا الا الماء، فقال النبي صلى الله عليه وآله: من لهذا الرجل الليلة؟ فقال علي عليه السلام: أنا له يا رسول الله صلى الله عليه وآله، وأتى علي فاطمة عليها السلام فقال لها: ما عندك يا بنت رسول الله صلى الله عليه وآله؟

فقالت: ما عندنا الا قوت الصبية نؤثر ضيفنا، فقال علي ﷺ: يا بنت رسول الله ﷺ، نومي الصبية واطفئي المصباح.

فلما عدّا على رسول الله ﷺ أخبره الخبر، فلم يبرح حتى أنزل الله تعالي الآية: ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون.

الإبن الأكبر: وهل جاء في كتاب الله تعالى ذكر بكون آل البيت هم خزنة علم رسول الله ﷺ؟

الأب: نعم يا ولدي، هناك آية في كتاب الله تعالى تشير إلى أن آل البيت هم المرجع في كل شيء، وخصوصاً فيما يحصن المسلم من غضب الله تعالى عند تعدد السبل واختلاف الناس، كما هو في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾.

الإبن الأكبر: حدثنا يا أبي عن هذه الآية الكريمة.

الأب: سأحدثكم عنها يوم غد إن شاء الله.

«اليوم الثالث عشر»

«فضل آل البيت في القرآن والسنّة»

قبل أن يجتمع الأب بأبنائه، راح به تفكيره بعيداً، بل بعيداً جداً، حيث الرحاب الزكية، والأنفس الطاهرة، مسترجعاً كل ما عرفه من افضالهم وفضائلهم، وكلما استعرض فضيلة منها وجد اختها لا تقل عنها بركة، وكلما حاول ترتيبها من حيث الفضيلة وجد نفسه تائها حيراناً، فكل فضائلهم كبيرة فاضلة محبوبة عند الله ورسوله ﷺ وعند شيعتهم.

أيجعل من التطهير في المرتبة الأولى. أم يجعل من إقتران ولايتهم بالله وبرسوله في هذه المرتبة، ترى إن خير نفسه بين هاتين المرتبتين فما تكون مرتبة جعلهم سفن النجاة، أم ماذا تكون مرتبة كونهم نجوم لأهل الأرض، أم ماذا تكون مرتبة كونهم والقرآن ثقلين أحدهما أكبر من الآخر، أم ماذا تكون مرتبة وصف الله لهم بكونهم الصراط المستقيم...

كلها فضائل نالوها وشرفهم الله بها وما نال بعضاً منها أي صحابي، بل ولم ينل أجزاء البعض منها أي صحابي.

لم ينل آل البيت كل هذه الفضائل لكونهم من آل البيت، أو من قرابة

الرسولﷺ ، وإنما نالوها بعد أن ابتلاهم الله تعالى بشتى أنواع الابتلاء، فصبروا وازدادوا إيماناً واحتسبوا كل ذلك في الله تعالى ومن أجل الله.

بالتأكيد، لم يعرف المسلمون حقيقة آل البيت حق المعرفة، ولو كانوا عرفوهم كما ينبغي لما تجرأوا عليهم، ولما آذوهم ولما قتلوهم.

نعم، ان معرفة آل البيت هي معرفة لرسول اللهﷺ ، ومعرفة رسول الله هي معرفة لله جل جلاله.

حينما نقرأ سورة الفاتحة نقول: اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين انعمت عليهم، غير المغضوب عليهم ولا الضالين.

وواضح من السورة الكريمة ان الذين انعم الله عليهم هم رسول اللهﷺ وآل بيته الأطهار، فهم وحدهم من نالوا من الله تعالى أفضل النعيم وأحسن النعيم وخير النعيم، ونحن حينما نسأل الله تعالى أن يهدينا سبيلهم فهذا يعني ان يرشدنا على أن نسلك عين السبيل الذي ساروا به ونالوا من الله تعالى ذلك الجزاء الوفير.

فهذا الثعلبي قد أخرج في تفسيره عن مسلم بن حبان قال: سمعت أبا بريدة يقول: اهدنا الصراط المستقيم يعني صراط محمد وآل محمد[١].

وبينما كان الأب مفكراً وإذا بأبنائه قد حضروا، وجلسوا حوله، وإذا بكبيرهم يقول له: أتحب أن تبدأ الحديث يا أبي.

فقال الأب: نعم يا أبنائي، سأبدأ الحديث ولكن، سيكون حديثي في فضل آل البيت الأطهار، ثم اتحول إلى اللحظة المريرة التي مرت على أمير المؤمنينعليه السلام.

---

(١) راجع الكشف والبيان للثعلبي في تفسير سورة الفاتحة.

وحينما سمع الأبناء من أبيهم يذكر أن هناك لحظة مريرة مرت على أمير المؤمنين عليه السلام قال كبيرهم بلهجة الاستغراب والحيرة، وأي لحظة هذه يا أبي؟

الأب: نعم يا ولدي هي مريرة جداً كانت قد مرت على أمير المؤمنين عليه السلام وإنني لأحسب أن الإمام عليه السلام لو مرت عليه لحظة الموت وشدتها على ابن آدم لكانت أهون عليه وأقل تأثيراً.

فقال الإبن الأكبر: وما هي هذه اللحظة يا أبي؟

الأب: هي لحظة الفراق مع رسول الله صلى الله عليه وآله حينما وافاه الأجل وعادت نفسه راضية مرضية، حيث المقام المحمود الذي وعده ربه، إن الله لا يخلف الميعاد.

ثم تابع الأب حديثه كما قال لأبنائه أنه سيبدأ الحديث عن فضائل آل البيت فقال: اعلموا يا ابنائي أن فضائل آل بيت النبي عليهم السلام لا تعد، فهي كثيرة، ومباركة، ويكفيهم فضلاً أن ذكرنا كيف جعلهم الله تعالى صراطه المستقيم، كما في قوله جل جلاله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ فهو اعلان من الله جل جلاله ان سبيل آل محمد هو الصراط المستقيم الذي افترض على المسلمين اتباعه وعدم تركه أو مخالفته، لأن في تركه واتباع غيره يعني الخسران واتباع سبيل أئمة الضلال.

فمن قول لأمير المؤمنين عليه السلام في تفسير الآية قال: نحن الصراط المستقيم، ونحن السبيل إلى الله.

وروي ان الإمام الحسين بن علي عليه السلام قال: نحن أبواب الله، ونحن صراطه المستقيم ونحن عيبة علمه، ونحن تراجم وحيه، ونحن أركان التوحيد، ونحن موضع سره[1].

---

(١) تفسير الميزان للطباطبائي جـ ١ ص ٤١.

فمن كانوا بهذه الدرجة من الفضل والمكانة فإن الابتعاد عنهم يعني الابتعاد عن الدين القويم، وان مخالفتهم تعني مخالفة الكتاب والسنّة.

فمن قول للإمام الباقر عليه السلام والصادق عليه السلام قالا في تفسير قوله تعالى: وان هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه...

الصراط المستقيم هنا هو الإمام، ولا تتبعوا السبل: أي لا تتبعوا أئمة الضلال، فتفرق بكم عن سبيله، ونحن سبيله.

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام قال في تفسير قوله تعالى: وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون.

الصراط ولايتنا أهل البيت[1]. وهذا يعني أن من لا يؤمن بولاية آل البيت هو ممن لا يؤمنون بالآخرة.

وكما اخرج الخوارزمي، الصراط صراطان، صراط في الدنيا، وصراط في الآخرة، فأما صراط الدنيا فهو علي بن أبي طالب، وأما صراط الآخرة فهو جسر جهنم، ومن عرف صراط الدنيا جاز صراط الآخرة[2].

الإبن الأكبر: هل بإمكانك أن تصف لنا حب الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام.

الأب: سأذكر لك حديثاً نعرف من خلاله مدى حب الله تعالى ورسوله الكريم محمد صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام، ثم مدى حب الله ورسوله لشيعة علي عليه السلام من خلال حديث آخر.

يروى ان إمرأة من الأنصار اهدت طيرين مشويين بين رغيفين إلى رسول

(١) أخرجه الحموي في الفرايد بإسناده عن اصبغ بن نباته.

(٢) المناقب للخوارزمي.

الله ﷺ . فأحب ان يشاركه أحد المسلمين بالأكل، فما كان منه ﷺ الا أن قال: أللهم أئتني بأحب خلقك إليك وإلى رسولك، وما هو إلا بعض الوقت وإذا بعلي بن أبي طالب عليه السلام قد حضر، فأكل مع رسول الله ﷺ حتى كفيا[1]

فهذا الحديث وحديث الراية في يوم خيبر حينما قال رسول الله ﷺ سأعطي الراية غداً لرجل يحب الله ورسوله ويحبانه . . . يدلل على مدى حب الله ورسوله لعلي عليه السلام ، أما حبهم للشيعة فقد روي عن رسول الله ﷺ قال:

الا من مات على حب آل محمد مات شهيداً.

الا من مات على حب آل محمد مات مغفوراً له.

الا من مات على حب آل محمد مات تائباً.

الا من مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير.

الا من مات على حب آل محمد فتح الله له في قبره بابان إلى الجنة.

الا من مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة[2].

الإبن الأكبر: زدنا من الحديث في فضائل آل البيت يا أبي.

الأب: روى الشيخ الصدوق في الأمالي عن سلمان بن مهران الأعمش المعروف عند الجميع بصدق الحديث قال سألني المنصور الدوانيقي فقال: سألتك يا سليمان بالله، كم حديثاً ترويه من فضائل علي؟ قال سليمان:

---

(١) ينابيع المودة للقنروزي ص ٨٩.

(٢) رواه الزمخشري في الكشاف حـ ٢ ص ٣٣٩ وقريباً فيه رواه الحموي في الفرائد حـ ٢ ص ٤٩ وعبيد الله الحنفي في ارجح المطالب ص ٣٢٠ وفضائل الخمسة للفيروز آبادي حـ ٢ ص ٧٨ ـ ٧٩.

فقلت: يسيراً يا أمير المؤمنين، قال: كم؟ قلت: عشرة آلاف حديث وما زاد، فقال المنصور: يا سليمان، والله لا حدثتك بحديث في فضائل علي عليه السلام ينسي كل حديث سمعته.

قال سليمان: قلت: حدثنا يا أمير المؤمنين، قال المنصور نعم، ثم قال: كنت هارباً من بني أمية، وكنت أتردد البلدان، فأقترب إليّ الناس بفضائل علي عليه السلام فكانوا يطعمونني ويزودونني، حتى وردت الشام، وإني لفي كساء خلق ما عليّ غيره، فسمعت الإقامة وأنا جائع، فدخلت المسجد لأصلي، وفي نفسي أن أكلم الناس في عشاء يعشوني، فلما سلم الإمام دخل المسجد صبيان، فالتفت الإمام إليهما وقال: مرحباً بكما، ومرحباً بمن اسمكما على اسمهما، وكان إلى جنبي شاب فقلت: يا شاب، ما الصبيان من الشيخ؟ قال: هو جدهما وليس بالمدينة أحد يحب علياً غير هذا الشيخ. ولذلك سمي احدهما الحسن والآخر الحسين.

فقمت فرحاً، فقلت للشيخ: هل لك بحديث أقر به عينك؟ فقال: ان أقررت عيني، أقررت عينك، قال المنصور: فقلت: حدثني والدي عن أبيه عن جده قال:

كنا قعوداً عند رسول الله صلى الله عليه وآله، إذ جاءت فاطمة عليها السلام تبكي. فقال لها النبي صلى الله عليه وآله: ما يبكيك يا فاطمة؟ قالت عليها السلام: يا ابه. خرج الحسن والحسين فما أدري أين باتا. فقال النبي صلى الله عليه وآله: يا فاطمة. لا تبكي. فالله الذي خلقهما هو الطف بهما منك. ورفع النبي يده إلى السماء فقال: أللهم ان كانا اخذا براً أو بحراً فاحفظهما وسلمهما. فنزل جبرائيل من السماء فقال: يا محمد. إن الله يقرئك السلام ويقول: لا تحزن ولا تغتم لهما، فإنهما فاضلان في الدنيا، فاضلان في الآخرة، وأبوهما افضل منهما، هما نائمان في حظيرة بني النجار، وقد وكل بهما ملكاً.

قال (راوي الحديث): فقام رسول الله ﷺ فرحاً ومعه أصحابه، حتى أتوا حظيرة بني النجار. فإذا هم بالحسن معانقاً الحسين، وإذا الملك الموكل بهما قد افترش احد جناحيه تحتهما. وغطاهما بالآخر، فمكث النبي ﷺ يقبلهما حتى انتبها، فلما استيقظا حمل النبي ﷺ الحسن عليه السلام، وحمل جبرائيل الحسين عليه السلام، وخرج من الحظيرة وهو يقول: والله لأشرفكما كما شرفكما الله عز وجل.

فقال أبو بكر: ناولني أحد الصبيين أخفف عنك. فقال ﷺ: يا أبا بكر، نعم الجملال ونعم الراكبان. وأبوهما أفضل منهما. فخرج النبي ﷺ حتى أتى المسجد، فقال ﷺ: يا بلال عليّ بالناس، فنادى مناد رسول الله ﷺ في المدينة. فاجتمع الناس عند رسول الله ﷺ في المسجد، فقام ﷺ على قدميه فقال: يا معشر الناس:

الا ادلكم على خير الناس جداً وجده. فقالوا بلى يا رسول الله، قال ﷺ: الحسن والحسين، فأن جدهما محمد. وجدتهما خديجة بنت خويلد.

يا معشر الناس: الا ادلكم على خير الناس أماً وأباً. فقالوا بلى يا رسول الله ﷺ.

قال ﷺ: الحسن والحسين. فإن أباهما يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، وأمهما فاطمة بنت رسول الله.

يا معشر الناس: الا ادلكم على خير الناس عماً وعمه. فقالوا: بلى يا رسول الله ﷺ، قال ﷺ: الحسن والحسين، فإن عمهما جعفر بن أبي طالب الطيار في الجنة مع الملائكة. وعمتهما أم هاني بنت أبي طالب.

يا معشر الناس، الا ادلكم على خير الناس خالاً وخاله، قالوا: بلى يا رسول الله ﷺ.

قال ﷺ: الحسن والحسين، فإن خالهماالقاسم بن رسول الله،

وخالتهما زينب بنت رسول الله. ثم قالﷺ بيده: هكذا يحشرنا الله. ثم قالﷺ: أللهم انك تعلم أن الحسن في الجنة والحسين في الجنة وجدهما في الجنة وجدتهما في الجنة وأباهما في الجنة وأمهما في الجنة وعمهما في الجنة وعمتهما في الجنة وخالهما في الجنة وخالتهما في الجنة، أللهم انك تعلم أن من يحبهما في الجنة ومن يبغضهما في النار.

قال المنصور: فلما قلت ذلك للشيخ قال: من أنت يا فتى؟ قلت من أهل الكوفة. قال: أعربي أم مولى؟ قلت: بل عربي. قال: انت تحدث بهذا الحديث، وأنت في هذا الكساء؟!

فكساني خلعته، وحملني على بغلته فبعتها بمائة دينار. فقال الشيخ: يا شاب: اقررت عيني، فوالله لاقرن عينك. ولأرشدنك إلى شاب يقر عينك اليوم.

قال المنصور فقلت: أرشدني يا شيخ. قال: لي اخوان. احدهما إمام. والآخر مؤذن. أما الإمام فإنه يحب علياً منذ خرج من بطن أمه، وأما المؤذن فإنه يبغض علياً منذ خرج من بطن أمه.

قال المنصور: قلت أرشدني، فأخذ بيدي حتى أتى إلى باب الإمام فإذا برجل قد خرج وقال: أما البغلة والكسوة فاعرفهما، والله ما كان فلان يحملك ويكسوك الا انك تحب الله عز وجل ورسولهﷺ، فحدثني في فضائل عليعليه السلام:

قال المنصور: فقلت: اخبرني أبي عن أبيه عن جده قال:

كنا قعوداً عند النبيﷺ، إذ جاءت فاطمةعليها السلام تبكي بكاءً شديداً. فقالﷺ لها: ما يبكيك يا فاطمة؟ قالت: يا ابني، عيرتني نساء قريش. قلن: ان أباك زوجك معدم لا مال له، فقال النبيﷺ: لا تبكي، فوالله ما زوجتك حتى زوجك الله من فوق عرشه، واشهد بذلك جبرائيل وميكائيل. وإن الله عز وجل اطلع إلى أهل الدنيا: فاختار من الخلائق أباك فبعثه نبياً، ثم

اطلع الثانية: فاختار من الخلائق علياً فزوجك إياه واتخذه وصياً[1] فعلي اشجع الناس قلباً، وأحلم الناس حلماً، واسمح الناس كفاً، واقدم الناس قدماً. واعلم الناس علماً، والحسن والحسين أبناه هما سيدا شباب أهل الجنة. واسمهما في التوراة شبراً وشبيراً لكرامتهما على الله عز وجل.

يا فاطمة: لا تبكي. فوالله، إذا كان يوم القيامة، يكسى أبوك حلتين. وعلي حلتين، ولواء الحمد بيدي فأناوله علياً لكرامته على الله عز وجل. يا فاطمة لا تبكي. فإني إذا دعيت إلى رب العالمين يجيء علي معي، وإذا اشفعني الله عز وجل شفع علياً معي، يا فاطمة إذا كان يوم القيامة، ينادي مناد في أهوال ذلك اليوم: يا محمد: نعم الجد جدك إبراهيم خليل الرحمن، ونعم الأخ أخوك علي بن أبي طالب، يا فاطمة، علي يعينني على مفاتيح الجنة، وشيعة علي هم الفائزون يوم القيامة غداً في الجنة.

قال المنصور: فلما قلت ذلك قال: يا بني من أنت؟ قلت من أهل الكوفة، قال: اعربي أم مولى؟ قلت: بل عربي.

قال المنصور: فكساني في ثلاثين ثوباً، واعطاني عشرة آلاف درهم، ثم قال: يا شاب قد اقررت عيني[2].

الإبن الأكبر: هل المنصور هذا هو الخليفة العباسي يا أبي؟

الأب: نعم يا ولدي، هو الخليفة العباسي الذي يدعى أبو جعفر المنصور.

الإبن الأكبر: إذا كان يعرف فضل آل البيت بهذا الشكل فلماذا يا أبي

---

(١) اخرج الحاكم في المستدرك مثل هذا الحديث حـ ٣ ص ١٢٩.

(٢) رواه السيد عبد الله شبر في كتابه جلاء العيون حـ ٢ ص ١٩ ـ ٢٢ والقندوزي الحنفي ص٣٢٧ ـ ٣٢٩.

كان قد قتل وحبس كثيراً من العلويين وهذه الهاشمية تشهد له بذلك.

الأب: إعلم يا ولدي، إن الخلافة العباسية ما كانت الا على اكتاف العلويين، وذلك لكون معظم الناس كانوا يكنون حباً لآل البيت، ولهذا فقد اتخذ العباسيون هذا الحب سبباً للوصول إلى غايتهم فراحوا يدعون الناس لآل البيت، وما ان استلموا زمام الحكم حتى راحوا مسرفين في قتل آل البيت لكي يخلو لهم الأمر والحكم.

وكان من بين من قتلوا في زمن الخليفة العباسي المنصور: الإمام الصادق جعفر ابن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم الصلاة والسلام، حيث توفي مسموماً، ناهيك عن الذين قتلوا في الهاشميات وهم عشرة أنفار من بني الحسن بن علي عليه السلام، ولو احصينا العدد من العلويين الذين قتلهم المنصور قتلاً أو سماً أو بنيت عليهم الاسطوانة فهم تسعة عشر علوياً[١].

الإبن الأكبر: ولكن لماذا يا أبي؟

الأب: لقد اعمت الدنيا عيونهم بما حملت من ملاذ وسلطان وقصور. فصاروا لا يراعون في القتل حرمة ولا ذمة. فاسرفوا فيه ما شاءت لهم عاقبة أمرهم.

الإبن الأكبر: لي ملاحظة يا أبي على حديث المنصور وهو يقول ان فاطمة الزهراء عليها السلام جاءت لأبيها رسول الله صلى الله عليه وآله تبكي. وحينما سألها عن سبب بكائها قالت: (عيرتني نساء قريش وقلن: ان أباك زوجك معدم لا مال له)، وأرى يا أبي أن هذا لا يكون من الزهراء عليها السلام، فما قولك أنت؟

الأب: نعم يا ولدي، لا اظن ذلك إلا موضوعاً. والله أعلم، لأن العقل يقول: ان من الاستحالة أن يكون ذلك من الزهراء عليها السلام. لأنها ما تربت الا

(١)ذكر أسمائهم صاحب مقاتل الطالبيين راجع ص ١٧٩ ـ ٣٩٩.

في حضن الرسالة. وما عرفت غير خلق رسول الله ﷺ. وما كان في يوم من الأيام للدنيا وزينتها شأن عند رسول الله ﷺ. فكيف تهتم ابنته ومن تخلقت بأخلاقه وآمنت بالمثل التي آمن بها. بمثل هذه الأمور.

قد تكون عليها السلام نقلت لأبيها قولهن دون أن تكون قد تأثرت به أو أثر على سلوكها في قليل أو كثير. وقد يكون هذا غير حاصل أساساً. وإن ما قاله لها رسول الله ﷺ في أمر أمير المؤمنين عليه السلام ليعرفها مكانته وفضله ليس إلا. كما في الحديث الشريف الذي خاطب به النبي ﷺ ابنته قائلاً: زوجتك خير امتي، اعلمهم علماً، وافضلهم حلماً، وأولهم اسلاماً[1]. أو كما في الحديث الذي روي عن المنصور إذ قال لها رسول الله ﷺ: ما زوجتك حتى زوجك الله من فوق عرشه. واشهد بذلك جبرئيل وميكائيل... الخ الحديث.

وخلاصة القول يا ولدي. فالذي يهمنا هو ما ذكره، رسول الله ﷺ من فضل لأمير المؤمنين عليه السلام ولفاطمة الزهراء عليها السلام.

الإبن الأوسط: كم أتمنى يا أبي ان لا ينتهي حديثك عن فضل آل البيت.

الأب: ولمه يا ولدي؟

الإبن الأوسط: لكي لا نصل إلى تلك اللحظة المريرة التي مرت على أمير المؤمنين عليه السلام.

الأب: هذه هي حكمة الرحمن يا ولدي. ان لا دائم الا وجهه الكريم. ولا باقي الا هو سبحانه.

الإبن الأكبر: وهل تحدثنا الآن عن ذلك يا أبي؟ الأب: لا يا ولدي غداً إن شاء الله.

---

(١) اخرجه الخطيب في المتفق والسيوطي في جمع الجوامع ٦ ص ٣٩٨.

«اليوم الرابع عشر»

«وصي رسول الله ﷺ»

كان قول الإبن الأوسط لأبيه قد شغله كثيراً، فهو لا يريد أن ينتهي الحديث عن فضائل آل البيت لكي لا يبدأ الأب بالحديث عن اللحظة التي قال عنها الأب أنها كانت مريرة على أمير المؤمنين عليه السلام.

وكأن قول الإبن قد ايقض في قلب الأب كوا من الحزن العميق التي أولدته تلك اللحظة التي فارق رسول الله ﷺ بها الحياة. نعم. . . هي أحزان ورثها المسلم عن أبيه عن أمه. . وهم قد ورثوها عن آبائهم عن أجدادهم إنتهاء بالجد الأكبر الذي عاش تلك اللحظات القاسية. وخُزنت في صدره ألماً لا يفارقه. . . ألماً بفقد الحبيب الذي أنار لهم الطريق وهداهم. ألما لفقد العزيز الذي نقلهم من الظلمات إلى النور.

نعم. . لقد توارث أحزان تلك اللحظات كل مسلم أدخر في اعماقه وضميره حباً لذلك البشير. الذي فارق الحياة وهو يحمل في داخله ألماً لما سيحدث من بعده من الاختلاف والفرقة، ألماً لما سيحدث لآل بيته من الأذى والاضطهاد والقتل، ألماً لما ستعانيه حرائره وأطفاله من اللوعة والخوف والسبي.

نعم... يعلم كل ذلك رسول الله ﷺ، لقد أخبره به جبرئيل عليه السلام، ورضي به مادام من أجل رفعة الإسلام وإستمراريته، ومادامت ذكرى احداثه ستفجر في ضمائر المسلمين حب التضحية من أجل دوام هذا الدين.

راح الأب يفكر في ذلك بألم وحرقة، فاستعرض كل ما عرف من أحداث قاسية كان آل البيت قد واجهوها في حياتهم، ابتداء مما عاناه رسول الله ﷺ من الأذى في سبيل الدعوة إلى الإسلام، وما عاناه من الأذى الذي سببه له المنافقون ممن حسبوا على المسلمين، بل وحتى ساعة الوفاة لم تخل من الأذى. كان كل هم النبي ﷺ أن يضع المسلمين على الطريق الواضح والمحجة البيضاء. فقال لهم آتوني بقرطاس ودواة كي أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعدي...

وأي شيء أفضل من أن يكتب النبي لهم هذا الكتاب الذي فيه الهداية والنور. غير أن البعض لم يرضهم ذلك، فقال: أن رسول الله ﷺ قد غلبه الوجع... حسبنا كتاب الله...

ومع مقولته هذه الا أن البعض وجد ان في الكتاب اماناً للمسلمين من الضلال والتشتت وحاول أن يحضر الدواة والقرطاس. ومنهم من رفض ذلك بشدة، وتنازع القوم في حضرة النبي ﷺ ونسوا أن الله تعالى قد قال: لا ترفعوا صوتكم فوق صوت النبي، وطال تنازعهم. وارتفعت الأصوات. مما حدى بالنبي ﷺ أن يقول لهم: قوموا عني... لا ينبغي عندي التنازع..

وخرجوا من الغرفة. وحز في نفوس الخيرين ألم شديد لعدم كتابة الكتاب. فهذا عبد الله بن العباس يقول: الرزية كل الرزية ما حال بيننا وبين كتاب رسول الله ﷺ[1].

---

(١) راجع الملل والنحل للشهرستاني ص ٢١ وصحيح البخاري حـ ٣ ص ٦٨ وطبقات ابن سعد وتاريخ الطبري والبداية والنهاية وصحيح مسلم.

ترى الا يستحق ذلك أن يدخل في النفس ألماً مريراً. . . ترى ماذا يخسر هذا الذي حال بين رسول الله ﷺ وكتابة الكتاب؟؟

وبقي علي عليه السلام قرب رسول الله ﷺ، وهو الذي ما فارقه في حياته كلها. فهل يشغله شاغل الآن عنه وهو ﷺ بهذه الحال، وهذه الشدة.

فقال النبي ﷺ لعلي عليه السلام: يا ابن عم. أنت وصيي وتنجز وعدي، وتقوم بأمر أهلي من بعدي.

فقال علي عليه السلام: نعم. فداك أبي وأمي.

فقال ﷺ: أدن مني، فدنا علي عليه السلام من رسول الله ﷺ، فضمه النبي ﷺ إلى صدره، وقبله، ونزع خاتمه ﷺ وقال: ضعه في يدك.. ودعا بسيفه ودرعه ولأمة حربه وبغلته وعصابته التي يشدّ بها وسطه إذا برز للحرب. فدفع ذلك كله إليه. وقال ﷺ: أمض به إلى منزلك[1].

ومما روي عن حذيفة بن اليمان قال: دخل ابن عباس على رسول الله ﷺ فقال: قد دنا أجلك يا رسول الله ﷺ؟ فقال ﷺ: نعم. قال ابن عباس: فيما تأمرنا به؟ قال ﷺ: يا ابن عباس. خالف من خالف علياً ولا تكن له ظهيراً ولا ولياً، ثم قال ﷺ: يا ابن عباس إذا أردت أن تلقى الله وهو عنك راض فاسلك طريقاً يسلكه علي بن أبي طالب ومل معه حيث مال. وأرض به أماماً، وعاد من عاداه، ووال من والاه. يا بن عباس، احذر أن يدخلك شك في علي[2].

وهنا دخل الأبناء على أبيهم. وأخذ كل منهم مكانه. فقال كبيرهم لأبيه: ابتدأ الحديث يا أبي؟ فقال الأب: نعم يا ولدي. وهنا صمت الأب لحظة،

---

(١) كتاب وفاة النبي ﷺ للشيخ حسين بن محمد الدرازي البحراني ص ٤٠ طبع ١٩٥٥.

(٢) نفس المصدر السابق والصفحة.

واعمل فكره، فإستقر رأيه أن يحدث أبناءه عن وفاة رسول الله ﷺ بشيء من الإيجاز ليخفف عنهم حرقة التألم والحزن الذي يولده الحديث عن وفاة رسول الله ﷺ لكل مسلم، فقال الأب: روي أن سلمان الفارسي دخل على رسول الله ﷺ وهو في غمرات الموت، وقال له: يا رسول الله ﷺ، هل أوصيت؟ فقال رسول الله ﷺ: يا سلمان. أتدري من الأوصياء؟ قال سلمان: الله ورسوله أعلم.

قال رسول الله ﷺ:

كان وصي آدم شيث، وكان أفضل من تركه بعده من ولده.

وكان وصي نوح سام وكان أفضل من تركه بعده.

وكان وصي موس يوشع، وكان أفضل من تركه بعده.

وكان وصي سليمان آصف وكان أفضل من تركه بعده.

وإني أوصيت إلى علي بن أبي طالب، وهو أفضل من أتركه بعدي[1].

الإبن الأكبر: بماذا كان رسول الله ﷺ عليلاً يا أبي؟

الأب: لم تذكر كتب التاريخ يا ولدي نوع المرض الذي أصيب به، غير أنهم ذكروا أنه ﷺ مرض، وأنه ﷺ كان به وجع في رأسه، وهناك من يقول أن رسول الله ﷺ كان يعاني من سم والله أعلم يا ولدي ماذا كان يعاني منه رسول الله ﷺ.

الإبن الأكبر: ألم يصعد النبي ﷺ المنبر في مرضه يا أبي؟

الأب: نعم يا ولدي. يروى أن رسول الله ﷺ مكث موعوكاً ثلاثة

---

(١) رواه القندوزي الحنفي في ينابيع المودة ص ٢٥٣ ومثله رواه الترمذي في الكوكب الدري ص ١٣٣.

أيام، ثم خرج إلى المسجد معصوب الرأس، معتمداً على علي عليه السلام بيمينه وعلى الفضل بن العباس بيساره، وصعد المنبر، فحمد الله تعالى واثنى عليه. وذكر نفسه فنعاها، ثم قال صلى الله عليه وآله :

أيها الناس، لقد حان لي خفوت من بين اظهركم، فمن كان له عندي عدة فليأتني أعطيه إياها، أو كان له دين فليخبرني به، معاشر المسلمين. أنه ليس بين الله وبين أحد قرابة يعطيه بها خيراً، أو يصرف عنه بها شراً الا العمل الصالح. ولو عصيت لهويت.

ثم نزل صلى الله عليه وآله عن المنبر، وصلى بالناس صلاة خفيفة، ودخل بيت أم سلمة، ثم انتقل بعد يوم أو يومين إلى بيت عائشة، وإستمر به المرض أياماً.

الإبن الأكبر: وهل كانت هذه الخطبة آخر خطبة له صلى الله عليه وآله في المسجد؟

الأب: لا يا ولدي، كانت آخر خطبة له في يوم كان فيه شديد التوعك، وقد اغمي عليه، وعندما آفاق صلى الله عليه وآله دعا الفضل بن العباس، وخرج صلى الله عليه وآله يتهادى بين علي عليه السلام والفضل... ورجلاه تخطان الأرض من شدة ما يعاني، فدخل المسجد، وتقدم إلى المحراب، وصلى بالناس من قعود، ثم حُمل إلى المنبر، وخطب بالناس قائلاً بعد حمد الله والثناء عليه، وإيصاء المسلمين بالتزام كتاب الله تعالى وسنّة نبيه الكريم محمد صلى الله عليه وآله، وأوصى بأهل بيته خيراً. ثم قال صلى الله عليه وآله :

لا تأتوني غداً بالدنيا تزفونها زفافاً، ويأتي أهل بيتي غبراً مقهورين مظلومين تسيل دمائهم عليكم..

إلى أن قال صلى الله عليه وآله : ان كل سنة وحديث خالف القرآن فهو زور وباطل... القرآن أمام هدى.

الإبن الأكبر: وهل كان النبي صلى الله عليه وآله يعلم بما سيحل بأهل بيته يا أبي حتى يوصيهم هكذا؟

الأب: نعم يا ولدي، كان يعلم بكل ما سيحدث لآل البيت النبوي الأطهار، لقد اعلمه إياه جبرئيل عليه السلام عن الله عز وجل، وما وصاياه صلى الله عليه وآله هذه الا لإلقاء الحجة على الناس، كي لا يعتذر معتذر يوم القيامة ويقول لست أدري، أو لم يخبرنا بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله، أو حتى يقولوا أن ذلك لم يصل إلينا من أحد من آل البيت، ولم يروه عنهم تابع بإحسان، ولذلك يا ولدي داوم الكتاب على ذكر الأحداث ونقلها جيل عن جيل، لتستمر الحجة على كل من تسول له نفسه في أذى آل البيت سواء بالقول أو الفعل، حتى يحكم الله تعالى وهو خير الحاكمين.

الإبن الأكبر: وما كانت وصية رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام يا أبي؟

الأب: روي أن النبي صلى الله عليه وآله أوصى لعلي عليه السلام قبل وفاته فقال:

يا علي، تغسلني ولا يغسلني غيرك فيعمى بصره، فقال علي عليه السلام: يا رسول الله صلى الله عليه وآله: وكيف أقوى عليك وحدي؟ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يعنيك على ذلك جبرئيل وإسماعيل صاحب السماء الدنيا. فقال علي عليه السلام: فمن يناولني الماء؟ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الفضل بن العباس، من غير ان ينظر إلى شيء مني. فإنه لا يحل له ولا لغيره من الرجال، فإذا فرغت فضعني على لوح. وافرغ عليّ من بئري بئر غرس، أربعين دلواً مفتحة الأفواه، ثم ضع يدك على صدري، واحضر معك فاطمة والحسن والحسين، من غير أن ينظروا إلى شيء من عورتي، ثم تفهم بعد ذلك ما كان وما هو كائن إن شاء الله.

ثم قال صلى الله عليه وآله: اقبلت يا علي؟ قال علي عليه السلام: نعم، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ألهم أشهد[1].

---

(١) من الذين ذكروا بعض وصية الرسول صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام كل من ابن سعد في طبقاته ٢/ ٦١ والكنز جـ٤ ص٤٤ وسنن البيهقي والاستيعاب لابن عبد البر والمستدرك للحاكم ٣/ ١١١.

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: كان في وصية رسول الله صلى الله عليه وآله: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد محمد بن عبد الله وأوصى به وأسنده علي بن أبي طالب. وقبضه وصيته وضمانه على ما فيها، على ما ضمن يوشع بن نون لموسى بن عمران، وعلى ما ضمن وادى وصي عيسى بن مريم، وعلى ما ضمن الأوصياء قبلهم، على أن محمداً أفضل النبيين وعلياً أفضل الوصيين، وأوصى محمد وسلم إلى علي، وأقر علي وقبض الوصية، على ما أوصى به الأنبياء...

الإبن الأكبر: وبماذا أوصاه صلى الله عليه وآله أيضاً يا أبي؟

الأب: أما وصيته صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام فيما يخص دفنه: فقد أوصاه أن يدفن صلى الله عليه وآله في بيته الذي قبض فيه، ويكفن بثلاثة أثواب، وأن لا يدخل قبره غير علي بن أبي طالب عليه السلام، ثم قال صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: إني أوصيت فاطمة إبنتي بأشياء، وأمرتها أن تلقيها إليك، فأنفذها، فهي الصادقة الصدوقة.

ثم وضع النبي صلى الله عليه وآله يد فاطمة عليها السلام في يد علي عليه السلام وقال له: يا أبا الحسن. هذه وديعة الله. ووديعة رسوله عندك. فاحفظ الله واحفظني فيها، وأنك لفاعله، يا علي: هذه والله سيدة نساء أهل الجنة من الأولين والآخرين.

وفي اليوم الثامن والعشرين من شهر صفر في السنة العاشرة من الهجرة النبوية الشريفة، هبط الأمين جبرئيل عليه السلام وملك الموت، ومعهما ملك يقال له إسماعيل، وكان قد سبقهم جبرئيل عليه السلام، فقال: يا أحمد، إن الله عز وجل أرسلني اكراماً لك، وتفضيلاً لك خاصة، يسألك عما هو أعلم به منك. فقال جل جلاله: كيف تجدك يا أحمد؟

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: اجدني يا جبرئيل مغموماً... وأجدني يا جبرئيل مكروباً... وهنا سالت دموع الأب على خديه، ثم ارتفع نحيبه عالياً، فبكى الأبناء. وبكت الزوجة... وارتفع النحيب... وكأنهم حاضري ذلك

الموقف. . . وكأنهم حاضري تلك المأساة. . . أحسوا بذلك الألم الذي كان رسول الله ﷺ يعانيه، ولمسوه من جواب رسول الله ﷺ وهو يقول لجبرئيل عليه السلام: اجدني يا جبرئيل مغموماً. . . واجدني يا جبرئيل مكروباً. . . ثم تابع الأب حديثه قائلاً: فأستأذن ملك الموت.

وهنا صاحت الأم دون شعور صيحة عالية. . . وإذا بالبكاء يعلوا أرجاء البيت، وإذا بالدموع تسيل من عيون تلك الأسرة غزيرة. . . وكلما حاول الأب متابعة حديثه والإستمرار فيه لم يسعفه النحيب فرصة لذلك، فإستمروا ببكائهم فترة ليست بالقصيرة. .

وهدأ البكاء. وما هدأت النفوس من اللوعة، وهدأت الأصوات ولم يهدأ الضمير من الأسى، ومرّ وقت آخر ليس بالقصير، حتى سكنت النفوس، وسكن الضمير. . فقال الأب: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، إنا لله وإنا إليه راجعون.

وساد الصمت دقائق. . . ولا أدري أكانت الأسرة حينها في الوعي أو اللاوعي. فقد شلت الحركات، وتعطل التفكير. ولو سألت أي فرد من الأسرة عن تلك الدقائق لما استطاع أن يذكر لك أين كان ولا بماذا كان يسرح في فكره. . حتى أعاد الأب أسرته إلى ما كانوا عليه بقوله:

قال جبرئيل عليه السلام: يا أحمد. هذا ملك الموت يستأذن عليك، لم يستأذن أحد قبلك. ولا يستأذن أحد بعدك.

فقال رسول الله ﷺ: إئذن له. . فأذن جبرئيل عليه السلام لملك الموت. . فأقبل حتى وقف بين يدي رسول الله ﷺ، فقال:

يا محمد، إن الله أرسلني إليك، وأمرني أن أطيعك فيما تأمرني، أن أمرتني بقبض نفسك قبضتها، وإن كرهت تركتها. . .

فقال النبي ﷺ: اتفعل ذلك يا ملك الموت؟ قال: نعم، بذلك أمرت ان اطيعك فيما تأمرني..

فقال جبرئيل عليه السلام: يا أحمد، إن الله تبارك وتعالى قد اشتاق إلى لقائك.

فقال النبي ﷺ: يا ملك الموت، امض لما أمرت به.

فقال جبرئيل عليه السلام: هذا آخر وطئي الأرض، إنما كنت حاجتي من الدنيا.

ورحل المصطفى محمد ﷺ إلى حيث الرفيق الأعلى، لينال ما وعده الله تعالى جزاء لما عاناه من أجل خير البشرية جمعاء.

وافترق الحبيب عن أحبابه.. علي والزهراء والحسن والحسين وزينب عليهم السلام. كما وفارق الأخيار من الصحابة الأفاضل، الذين أحبوه أكثر من حبهم لأنفسهم. وأحبوا آله أكثر من حبهم لآلهم، وأحبوا ما جاء به من تعاليم أكثر من حبهم لهذه الدنيا الزائلة الفانية.

وما ان توفي رسول الله ﷺ حتى انشغل الناس كل بما كان قد أهمه، وانشغل علي عليه السلام بتنفيذ الوصية، ولم يبق معه سوى القلة القليلة من الأخيار الذين كانت وفاة رسول الله ﷺ كل همهم.

فتولى أمير المؤمنين عليه السلام تغسيله والعباس ومعه الفضل يناولانه الماء، فلما فرغ علي عليه السلام من غسل رسول الله ﷺ كشف الغطاء عن وجهه ثم قال:

بأبي أنت وأمي، طبت حياً، وطبت ميتاً، انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت أحد سواك من النبوة والأنباء وأخبار السماء، خصصت حتى صرت مسلياً، وعممت حتى صار الناس فيك سواء، ولولا أنك أمرت بالصبر،

ونهيت عن الجزع، لا نفذنا عليك ماء الشؤون. ولكان الداء مماطلاً، والكمد مخالفاً وقلاً فيك. ولكنه ما لا يملك رده ولا يستطاع دفعه. بأبي أنت وأمي، أذكرنا عند ربك. واجعلنا من همك...

ثم انكب على النبي ﷺ فقبل وجهه الكريم، ومدّ الإزار عليه.

الإبن الأكبر: وهل دفن النبي ﷺ بعد أن قال ذلك أمير المؤمنين عليه السلام يا أبي؟

الأب: لا يا ولدي، فقد روي عن الإمام الباقر عليه السلام قال: لما غسله ﷺ أمير المؤمنين عليه السلام وكفنه وسجاه، أدخل عليه عشرة عشرة، فداروا حوله ﷺ، ثم وقف أمير المؤمنين عليه السلام في وسطهم فقال: إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما فيقول القوم، حتى صلى أهل المدينة وأهل العوالي.

ودفن رسول الله ﷺ في بيته الذي توفي فيه، ثم وقف أمير المؤمنين عليه السلام على قبر رسول الله ﷺ وأنشد يقول:

امن بعد تكفين النبي محمد بأثوابه آسي على ميت ثوى
لقد غاب في جنح الظلام لفقده عن الناس طراً خير من وطأ الثرى
رزئنا رسول الله فينا فلن ترى بذاك عديلاً ما حيينا من الورى
وكان لنا كالحصن من دون أهله له معقل حصن حصين من العدى
وكنا بمرءاه نرى النور والهدى نهاراً وقد زادت على ظلمة الدجى
.. الخ القصيدة

وكان عليه السلام يبكي لفقد رسول الله ﷺ متوجعاً ويقول: يا رسول الله ﷺ، ما أحسن الصبر الا عنك... واقبح البكاء الا عليك...

ثم ينشد ويقول:

ما غاض دمعي عند نازلة الا جعلتك للبكا سببا

وإذا ذكرتـك ميتـاً سفـحـت   عيني الدموع ففاض وانسكبا[1]

الابن الأكبر: وماذا حصل بعد دفن رسول الله يا أبي؟

الأب: ستتحدث عنه في الأيام المقبلة يا ولدي إن شاء الله

(١) راجع دستور معالم الحكم. ومأثور مكارم الشيم تأليف القضاعي ص ١٩٨ ـ ١٩٩.

«اليوم الخامس عشر»

«بين وفاة النبي ﷺ والخلافة»

كان هم الأب كبيراً هذه المرة، فهو لا يدري كيف يبدأ الحديث عن هذه الفترة وكيف ينهيه، أيقول ما قاله التاريخ وما سجله بوضوح، أم يضع غشاوة على كثير من الأحداث فيه كما وضعها البعض، أم يعطي اعذاراً للبعض كما فعل غيره من الناس... أم ماذا يقول يا ترى... وبماذا سيتحدث...

وأخيراً... فقد استقر به الرأي أن يتحدث عن هذه الفترة بكثير من الحذر. ويتجاوز جاهداً الأحداث التي تتولد منها وقفات واستفسارات وأحكام...

وهنا دخل الأبناء على أبيهم. وجلسوا حيث كان جالساً، فقال الأب مخاطباً إبنه الأكبر قائلاً: سألتني يوم أمس عما حدث بعد دفن رسول الله؟ ووعدتك أن أحدثك عن ذلك اليوم، فهل تود أن أجيبك عن سؤالك اليوم أم أن لك رأي آخر.

الإبن الأكبر: لا رأي آخر لدي يا أبي. ويهمني كثيراً أن أتعرف على ما حصل بعد وفاة رسول الله ﷺ يا أبي.

الأب: اعلم يا ولدي، أن حياة الإمام علي عليه السلام تنصب بثلاثة مراحل هي:

حياة مع رسول الله صلى الله عليه وآله: وهذا ما تحدثنا عنه قدر الإمكان. ثم حياته في الفترة التي تنحصر بين وفاة النبي صلى الله عليه وآله وخلافته، ثم حياته عليه السلام وهو خليفة للمسلمين.

ولكي أجيبك عن سؤالك سأتحدث لكم على الفترة الثانية، وهي التي بدأت بعد دفن رسول الله صلى الله عليه وآله، وبانت معالمها وبداياتها ساعة وفاته صلى الله عليه وآله، إذ ترك الناس علياً عليه السلام وبني عبد المطلب وبعض خواص أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام المقربين له. قرب رسول الله صلى الله عليه وآله وهو في ساعة الوفاة، وذهبوا إلى سقيفة بني ساعدة حيث كان الأنصار متجمهرين فيها، وحدث نزاع بين المهاجرين والأنصار فيمن يستخلف رسول الله صلى الله عليه وآله، كل منهم يريد الخليفة منهم.

الإبن الأكبر: وأين صارت أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله في علي يا أبي، فهي كافية لهم في معرفة الخليفة لرسول الله صلى الله عليه وآله.

الأب: نعم يا ولدي هي كافية، الا أن القوم يريد كل منهم أن يكون الأمر إليه. لرأي ما في نفسه. وقناعة كان قد استقر عليها رأيه.

الإبن الأكبر: وهل نسيت كل أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله؟

الأب: لا يا ولدي لم تنس. وكلهم يعلمها علم اليقين. الا أنهم كما قلت لك ان لكل منهم رأي الآن، ويرى أن رأيه يجب أن يكون ومهما كلف الأمر.

الإبن الأكبر: وما كان رأيهم يا أبي؟

الأب: كانت الأنصار ترى أن الأمر يجب أن يكون لهم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، والمهاجرون كذلك يريدونها لهم.

الإبن الأكبر: وهل يحكم المسلمون برأي من هذا ورأي من ذاك، أم هو أمر بيد الله تعالى ورسوله الكريم، أو لم تكن وصية رسول الله ﷺ لهم وبأمر من الله تعالى في بيعة الغدير أن من كان رسول الله ﷺ مولاه فعلي مولاه، ألم يقل لهم رسول الله ﷺ إني تركت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي آل بيتي، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً، ألم يقل لهم رسول الله ﷺ: خير من اترك بعدي علي بين أبي طالب، ألم يقل الله تعالى في كتابه العزيز: أن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله.

ألم يقل الله تعالى في كتابه العزيز: إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون.

فأين صار كل ذلك، وأين صار حديث رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام: أنت مني بمنزل هارون من موس الا انه لا نبي بعدي.

أنسيت كلها يا أبي بمجرد أن توفي رسول الله ﷺ، فإن كان محمد قد مات فإن الله تعالى حي لا يموت، ألم يعرفوا كل ذلك يا أبي.

الأب: هدىء من روعك يا ولدي، واعلم أن الله تعالى ليس بغافل عن عباده، وهو يعلم ما سيكون عليه أمر المسلمين، ونحن الآن لا نريد أن نناقش الأمر بكل ما فيه من حيثيات وأمور، وإنما نريد أن نتحدث عن هذه الفترة من حياة أمير المؤمنين بما تحمل من أحداث فقط.

أنقل لكم حديثاً دار بين الخليفة عمر وبين ابن عباس، فقال عمر لإبن عباس: أتدري ما منع الناس منكم؟ قال ابن عباس: لا، قال عمر: لكني أدري، كرهت قريش ان تجتمع فيكم النبوة والخلافة فتجحفوا جحفاً (تكبراً)، فنظرت قريش لنفسها فاختارت[1].

---

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٢٢٣ والكامل لابن الأثير ٣ ص ٦٣ ـ ٦٥ وشرح ابن أبي الحديد ١٢/ ٥٣ ـ ٥٤.

الإبن الأكبر: الذي أعرفه يا أبي من خلال مطالعاتي أن ابن خلدون قد عرف الخلافة فقال: ان الخلافة حمل الكل على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الآخروية والدينوية الراجعة إليها، إذ احوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة، فهي في الحقيقة خلافة صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا[1].

فلو سأل كل عاقل نفسه يا أبي مَنْ من الصحابة يكون اهلاً لاحتلال هذا المنصب وفقاً لهذا التعريف؟ فسيكون الجواب حتماً هو علي بن أبي طالب عليه السلام لما يحتل من المكانة الرفيعة في العلم والفقة والحديث والتفسير، وهذا تأكيده في الحديث النبوي الشريف حينما خاطب صلى الله عليه وآله الزهراء عليها السلام قائلاً: زوجتك خير أمتي، أعلمهم علماً وأولهم سلماً... إضافة إلى حديثه الشريف الذي قال فيه: انا مدينة العلم وعلي بابها.

الأب: اعلم يا ولدي، ان الخلافة تعني امامة الأمة، وان الإمامة كالنبوة لا تكون الا باختيار من الله جل جلاله، لأمن الناس، لكونهم قاصرين عن معرفة الأصلح لهذا المنصب، ولكننا الآن كما قلت لك نذكر مادار من احداث في هذه الفترة، دون أن نناقشها باسهاب، ودون أن نحكم على صحتها وخطئها.

الإبن الأكبر: ولكن يا أبي يجب أن لا يمر الإنسان مرور الكرام على احداث لها تأثير كبير على الدين ومسيرته.

الأب: تَعَلَمْ يا ولدي ان الإنسان حينما يدرس حالة من الحالات، يجب عليه أولاً أن يتعرف على أحداثها، ثم بعد ذلك يناقش كل حدث ليتعرف على جيده من رديئة، وفي بعض الأحيان أن لم يكن كثيرها، ان يدخر حكمه هذا

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص ١٦٦.

في صدره دون ان يعلنه، لأن في اعلانه قد يحدث شرخاً أو صدءاً بينه وبين من يرغب في عدم حدوث نفور معهم.

الإبن الأكبر: حتى وان تعلق ذلك بالدين والمعتقد يا أبي؟

الأب: هناك أخطاء كثيرة كان لها تأثيراً على مسار العقيدة الإسلامية، فمن المسلمين من حكم على خطئها وهناك من حكم على صحتها، أو وجد لها اعذاراً. وليس من حق أحد يعتقد بخطئها أن يجبر الآخرين باعتناق ما يراه. وكذلك العكس. الا ان تكون هناك رغبة عند الطرفين في مناقشة الأمر للوصول إلى الحق. والا فالعناد سيكون هو السائد، والطعن سيكون هو النهاية، ولذا لا يجب يا ولدي أن يتكلم الإنسان بما يؤمن دون مناسبة تستدعي الحديث والمناقشة والتحليل.

الإبن الأوسط: نعم يا أبي، وكيف اتفق المهاجرين والأنصار على اختيار خليفة لهم؟

الأب: هناك وصف للخليفة عمر يصف به يوم السقيفة قال فيه:

فارتفعت الأصوات، وكثر اللغط، فلما اشفقت الاختلاف قلت لأبي بكر: ابسط يدك ابايعك. فبسط يده فبايعته، وبايعه المهاجرين وبايعه الأنصار...

ثم قال عمر: خشينا أن فارقنا القوم ولم تكن بيعه، ان يحدثوا بعدنا بيعه، فاما ان نتابعهم على ما لا نرضى، أو نخالفهم فيكون فساد[1].

الإبن الأكبر: لو كان عمر قد ذكر المهاجرين بفضل أمير المؤمنين عليه السلام وكفاءته ووصايا رسول الله صلى الله عليه وآله به وخصوصاً في بيعة الغدير التي كان الكل حاضراً لها. فهل تعتقد سيصرون على أن يكون منهم خليفة؟

---

(١) صحيح البخاري كتاب المحاربين باب ١٦ حديث ٦٤٤٢.

الأب: نعم يا ولدي، كان عامة المهاجرين وجل الأنصار لا يشكون في أن علياً عليه السلام هو صاحب الأمر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله[1] وسبق أن ذكرت لكم، ان لكل من الذين اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة رأي كان قد الزم نفسه على تطبيقه، وقد فعلوا ذلك حينها.

فمن قول لعمر حدث به عبد الله بن عباس في أمر احقية علي عليه السلام بالخلافة قال فيه: (لقد كان في رسول الله صلى الله عليه وآله من أمره ذرو من قول (طرف من قول)، ولقد أراد أن يصرح بإسمه، فمنعت من ذلك اشفاقاً وحيطة على الإسلام، ورب هذه البنية، لا تجتمع قريش عليه أبداً)[2].

وفي قول آخر لعمر في علي عليه السلام وأمر الخلافة قال فيه:

استصغرناه، وخشينا الا تجتمع عليه العرب وقريش لما قد وترها[3].

ثم تابع الأب حديثه قائلاً: ونصب أبو بكر خليفة للمسلمين ومع ذلك فقد قال هو عن نفسه: وليتكم ولست بخيركم[4].

الإبن الأكبر: ألا تراه يا أبي أنه اعترف بكونه لست أفضل منهم؟

الأب: لا نقول هو اعتراف، وإنما هي حقيقة قالها الخليفة أبو بكر، فهم يعلمون علم اليقين أن علياً عليه السلام لا يمكن أن يوزن به أحد، فهو الأعلم والأحكم والأفقة.

الإبن الأكبر: وهل رضي المسلمون به خليفة يا أبي؟

---

(١) راجع الزبير بن بكار في الموفقيات ٥٨ الحديث ٣٨٠ وتاريخ الطبري ٣/ ١٩٨ والكامل في التاريخ ٢/ ٣٢٥ والاستيعاب ٣/ ٥٥٠ وتاريخ اليعقوبي ٢/ ١٢٤.

(٢) راجع شرح ابن أبي الحديد حـ ١٢ ص ٢١ عن ابن طيفور في كتابه تاريخ بغداد.

(٣) محاضرات الأدباء للراغب الأصبهاني حـ ٢/ ٤٢٨.

(٤) التمهيد للباقلاني ١٩٥ ونظام الخلافة بين أهل السنة والشيعة ص ٥٦.

الأب: لا نقول ان المسلمين رضوا به جميعاً، الا أنهم لم يجرؤوا على أن يعترضوا عليه، عدا مجموعة من بني هاشم وبني عبد المطلب، وبعض أصحاب أمير المؤمنين الذين كانت لهم مواقف تؤيد احقية علي عليه السلام في الخلافة ولذلك فلم يبايعوا الخليفة وإنما انجازوا إلى جانب علي عليه السلام وكان منهم بنو هاشم ومعهم جماعة من المهاجرين فيهم طلحة والزبير وعمار وأبو ذر الغفاري وسلمان الفارسي والمقداد وحذيفة بن اليمان وأبي بن كعب والبراء بن عازب وأبو الهيثم ابن التيهان وعبادة بن الصامت، كما إنحاز معهم من وجوه بني أمية خالد بن سعيد ابن العاص وكان اقدم بني أمية اسلاماً، وقد اسلم قبل عثمان بن عفان وهاجر إلى الحبشة وقدم منها مع جعفر بن أبي طالب يوم خيبر[1] انحازوا جميعاً في بيت علي بن أبي طالب عليه السلام، وأبوا ان يبايعوا الخليفة المنصوب.

وكان للزبير مقولة في هذا الجانب وهي: لا أغمد سيفاً حتى يبايع لعلي...

الإبن الأكبر: ولكن قيل يا أبي أن خلافة أبي بكر كانت باجماع المهاجرين والأنصار؟

الأب: ما حصل ذلك في بداية الأمر يا ولدي، وهؤلاء الذي رفضوا مبايعة الخليفة هم من خيرة المهاجرين والأنصار، فأين الاجماع ان كان هناك من يعترض؟

الإبن الأكبر: وما كان من أمر هؤلاء المعترضين على خلافة أبي بكر يا أبي؟

---

(١) راجع تاريخ أبي الغداء حـ ٢ ص ٦٣ وتاريخ اليعقوبي حـ ٢ ص ١٢٤ وتاريخ الطبري حـ ٣ ص ٢٠٥ والكامل في التاريخ حـ ٢ ص ٣٢٥ و٣٣١ وتاريخ الخلفاء للسيوطي ٥١ والبداية والنهاية حـ ٦ ص ٣٦٥.

الأب: حاول عمر معالجة الموقف كي لا تسع فيخرج الأمر من أيديهم. فأخذ معه جماعة وذهب إلى بيت علي وفاطمة عليهما السلام، فناداهم من وراء الباب، فأبوا أن يخرجوا له. فدعا بالحطب وقال: والذي نفس عمر بيده لتخرجن أو لاحرقنها على من فيها[١] فقيل: يا أبا حفص، أن فيها فاطمة. قال: وإن[٢].

ثم جرى الذي جرى...

وقد ثبت عن الخليفة أبي بكر أنه قال حين موته: وددت أني لم اكشف عن بيت فاطمة، وتركته ولو اغلق على حرب[٣].

الإبن الأكبر: ماذا يدلل قول أبي بكر هذا يا أبي؟

الأب: يدل قوله يا ولدي أنه بعد حادثة الدار قد فهم عظم الأمر الذي أقدموا عليه، والأذى الذي سببوه لعلي وللزهراء عليها السلام وخاصة وهو يعلم أن لرسول الله صلى الله عليه وآله أحاديث عدة في الزهراء عليها السلام، وفي كل من يسبب لها الأذى:

الإبن الأوسط: وماذا كان من أمر أمير المؤمنين في خلافة أبي بكر يا أبي؟

الأب: بعد أن مضى على خلافة أبي بكر ما يقارب من ستة أشهر وجد أمير المؤمنين علي عليه السلام ان الخليفة يحاول جاهداً في أن يسير على هدى الإسلام وقواعده، وان من المصحلة أن يعينه على ذلك. خصوصاً وان أبي

---

(١) تاريخ الطبري حـ ٣ ص ١٩٨ والعقد الفريد حـ ٤ ص ٨٧ وتاريخ أبي الغداء حـ ٢ ص ٦٤ ومسند فاطمة للسيوطي الحديث ٣.

(٢) الإمامة والسياسة ح١ ص ١٩.

(٣) الإمامة والسياسة جـ ١ ص ٢٤ وتاريخ الطبري جـ ٣ ص ٤٣٠.

بكر كان يكثر من استشارة أمير المؤمنين عليه السلام في الأمور التي تعترضه، بحيث صار معروفاً قوله: افتنا يا أبا الحسن، فكان أبو الحسن يفتي في كل ما يعترضهم من مشكلات وعقد.

الإبن الأكبر: حدثنا يا أبي كيف اعتكف أمير المؤمنين عليه السلام على جمع القرآن في خلافة أبي بكر؟

الأب: كانت كتابة القرآن الكريم قد بدأت في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله حيث كان يأمر بعض الصحابة بكتابة كل ما يتنزل من القرآن الكريم أولاً بأول، وكان صلى الله عليه وآله يعين لهم موضع ما يتنزل من القرآن، فيقول صلى الله عليه وآله: ضعوه في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، في الموقف كذا.[1] وعرف من كانوا يقومون بذلك باسم كتاب الوحي، وأبرزهم علي بن أبي طالب عليه السلام وعبد الله ابن مسعود.

ثم كثر كتاب الوحي في العهد المدني فبرز فيهم أبي بن كعب وزيد بن ثابت ومعاذ بن جبل وغيرهم، وقد ترتبت آيات كل سورة ترتيباً توفيقياً لا خلاف فيه[2].

وبعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله اخذ أمير المؤمنين عليه السلام على نفسه عهداً أن يجمع القرآن الكريم، والمشهور أنه عليه السلام جمعه على ترتيب سور القرآن بحسب ترتيب نزولها:

إقرأ: المدثر. ن. المزمل، تبت، التكوير... المكي فالمدني وكان عليه السلام قد كتب في حواشيه أشياء في الناسخ والمنسوخ... وأسباب النزول. وقد ذكره ابن سيرين فقال: طلبت ذلك الكتاب، وكتبت فيه إلى

---

(١) الاتقان في علوم القرآن جـ ١ ص ١٦٤ ـ ١٧٦.

(٢) نفس المصدر السابق والجزء ص ١٤٢ و١٧٢ و١٧٥ و١٧٨.

المدينة، فلم أقدر عليه[1].

ومما ذكره ابن النديم قال: المصحف عند أهل جعفر، وقد رأيت أنا (والحديث لابن النديم). في زماننا هذا عند أبي يعلي حمزة الحسيني مصحفاً قد سقط منه أوراق بخط علي بن أبي طالب يتوارثه بنو الحسن على مرّ الزمان[2].

وفي خلافة عثمان بن عفان، حيث كانت كل قبيلة تقرأ القرآن بلغتها (لهجتها)، فكان ذلك مدعاة للاختلاف، فعزم عثمان على توحيد المصاحف وفق القراءات الثابتة عن النبيﷺ وبعد مشورة الوجهاء من الصحابة اسند المهمة إلى زيد بن ثابت. ومعه أربعة رجال. وقيل إثنا عشر من قريش والأنصار. فجمع القرآن بالصورة التي هو عليها الآن، ولكي لا تكون فرقة ولا اختلاف، ثم توزيع النسخ الجديدة على القبائل والأقاليم الإسلامية[3].

وتوفي أبو بكر في يوم الثلاثاء، في الثاني والعشرين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة النبوية الشريفة[4]، وكان قد أوصى بالخلافة من بعده لعمر بن الخطاب، فقال له بعض الصحابة حينها: استخلفت على الناس عمر وقد رأيت ما يلقى الناس منه وأنت معه. فكيف به إذا خلا بهم؟ وأنت لاق ربك فسألك عن رعيتك...[5].

الإبن الأكبر: ولماذا قال بعض الصحابة لأبي بكر ذلك يا أبي؟

الأب: قالوا له ذلك لأنهم يعرفون عمر معرفة من كانوا قريباً منه ومراقبين له.

---

(١) الفهرست لإبن النديم ٤٢ والاتقان في علوم القرآن ١/ ١٦٦.

(٢) الفهرست ٤٢.

(٣)الاتقان في علوم القرآن حـ ١ ص ١٧٠ ـ ١٧١ والبيان ٢٧٧.

(٤) مروج الذهب للمسعودي حـ ٢ ص ١٩١.

(٥) الكامل في التاريخ حـ ٢ ص ٤٢٥.

الإبن الأوسط: وما تعني يا أبي؟

الأب: كانوا يعرفونه بخشونة الطبع وعدم اللين وسرعة الغضب. وهذا ما امتاز به حكمه، إذ كان لا يهاب أحداً أن غضب عليه، وكان كثيراً ما يستعمل الدرة في الضرب[1]

الإبن الأكبر: وما كان دور علي عليه السلام في هذه الفترة يا أبي؟

الأب: كان علي عليه السلام كما هو العهد به آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر. مرشداً للناس حلالاً للمعضلات، وهذا ما شهد به الخليفة عمر مرات ومرات.

فمن أقواله في أمير المؤمنين في تلك الفترة قال:

لا ابقاني الله لمعضله ليس لها أبو الحسن[2]، وقوله لعلي عليه السلام: لا ابقاني الله لشدة لست لها، ولا في بلد لست فيه[3]، وقوله يشهد لعلي عليه السلام بالفضل: اقضاهم علي[4]، واقضانا علي[5]. وقوله: لا ابقاني الله بأرض لست فيها يا أبا الحسن وقوله: أعوذ بالله أن أعيش في قوم لست فيهم يا أبا الحسن[6]. وقوله لعلي عليه السلام: لولاك لافتضحنا[7] وقوله: لا يفتين احد في

(١) راجع سيرة عمر في كتب السير.

(٢) الاستيعاب وذخائر العقبى.

(٣) كنز العمال حـ ٣ ص ١٧٩ واخرجه الجرداني في مصباح الظلام حـ ٢ ص ٥٦.

(٤) الاستيعاب ٢/ ٤٧٤ ومصابيح السنة للبغوي ٢/ ٢٠٣.

(٥) الصواعق ١٢٦ والرياض النضرة.

(٦) ابن الجوزي في سيرة عمر ص ١٠٦ وإرشاد الساري للقسطلاني ٣/ ١٩٥ وعمدة القاري للعيني ٣/ ٦٠٦ ومستدرك الحاكم ١/ ٤٥٧.

(٧) نهج البلاغة محمد عبده حـ ٤ ص ٦٢٠ تحت رقم ٢٧٠ ومن الذين ذكروا ذلك باختلاف بسيط صاحب فتوح البلدان ١/ ٥٥ والبخاري في الصحيح ١٩/ ٧٢٧ والسيوطي في العرف الوردي المطبوع في الحاوي للفتاوي ٢/ ٧٨.

المسجد وعلي حاضر. ولا بارك الله في معضله لا تحكم فيها يا أبا الحسن. وكنا ننظر إلى علي في أيام النبيﷺ كما ننظر إلى النجم (ذكر ذلك جوج جرداق في كتابه علي وحقوق الإنسان المجلد الأول ص ٥٩ وص ٩٩).

الإبن الأكبر: وهل كانت لهذه الأقوال أحداث معينة، أم انها لإظهار فضل أمير المؤمنينعليه السلام للناس؟

الأب: لا يا ولدي، لقد كانت لكل كلمة قصة وحدثاً مرت عليه في خلافته، وسأروي حدثاً منها فقط للعلم.

يروى أن في خلافة عمر بن الخطاب كان عليعليه السلام جالساً ناحية. إذ أقبل غلام يهودي عليه ثياب حسان، وهو من ولد هارون. فقال مخاطباً الخليفة يا أمير المؤمنين، أنت أعلم هذه الأمة بكتابهم وأمر نبيهم؟ فقال له عمر: ما ذاك؟ قال: إني مرتاد بنفسي، شاك في ديني. فقال له عمر: دونك هذا الشاب، قال: ومن هذا الشاب؟ قال عمر: هذا علي بن أبي طالب، ابن عم رسول اللهﷺ، وهو أبو الحسن والحسين ابني رسول اللهﷺ، وهذا زوج فاطمة بنت رسول اللهﷺ.

فأقبل اليهودي على عليعليه السلام فقال: أكذلك أنت؟ قالعليه السلام: نعم، قال: فإني أريد أن اسئلك عن ثلاث وثلاث وواحدة.

فابتسم عليعليه السلام ثم قال: يا هاروني. ما منعك ان تقول سبعاً؟ قال: أسألك عن ثلاث فإن علمتهن سالت عما بعدهن، وان لم تعلم علمت أن ليس فيكم علم.

قال عليعليه السلام: فإني أسألك بالإله الذي تعبد، لئن أنا اجبتك في كل ما تريد. لتدعن دينك ولتدخلن في ديني.

قال: ما جئت إلا لذلك.

قال عليه السلام : فاسأل، قال اليهودي: اخبرني عن أول قطرة دم قطرت على وجه الأرض. أي قطرة هي؟

وأي عين فاضت على وجه الأرض، أي عين هي؟

وأول شيء اهتز على وجه الأرض، أي شيء هو؟

فأجابه أمير المؤمنين عليه السلام . . .

فقال اليهودي: فاخبرني عن ثلاث أخر، اخبرني عن محمد. كم بعده من أمام عادل؟ وفي أي جنة يكون؟

ومن يسكن معه في جنته؟

فقال أمير المؤمنين عليه السلام : يا هاروني، ان لمحمد صلى الله عليه وآله من الخلفاء اثني عشر إماماً عدلاً لا يضرهم من خذلهم، ولا يستوحشون بخلاف من خالفهم، وأنهم ارسب في الدين من الجبال الرواسي في الأرض.

وسكن محمد صلى الله عليه وآله في جنته، مع أولئك الاثنى عشر إماماً العدول.

قال اليهودي: صدقت والله الذي لا إله إلا هو، إني لاجدها في كتب أبي هارون. كتبه بيده، واملاه موسى عليه السلام .

فاخبرني عن الواحدة، اخبرني عن وصي محمد، كم يعيش بعده؟ وهل يموت أو يقتل.

قال عليه السلام : يا هاروني: يعيش بعده ثلاثين سنة، لا يزيد يوماً ولا ينقص يوماً. يضرب ضربة ها هنا (مشيراً إلى قرنه) فتخضب هذه (مشيراً إلى رأسه ولحيته).

فصاح الهاروني، وقطع تسبيحه وهو يقول: اشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. واشهد أن محمداً عبده ورسوله، وانك وصيه، ينبغي أن تعرف

ولا نفاق، وان تعظم ولا تستضعف[1].

ثم تابع الأب حديثه: وتوفي عمر بن الخطاب بعد ان طعنه أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبه، وكانت وفاته يوم الأربعاء، في السادس والعشرين من ذي الحجة، سنة ثلاث وعشرين من الهجرة النبوية الشريفة، وكانت خلافته قد دامت عشرين سنة وستة أشهر.

فأوصى عمر قبل وفاته على أن تكون الخلافة من بعده شورى في ستة من الصحابة: علي بن أبي طالب عليه السلام وعثمان بن عفان، وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير.

ثم جعل عمر شروطاً لهذه الشوري، وهي: إذا اتفق اكثر الستة على واحد وعارض الباقون، تضرب اعناقهم، أما إذا اتفق اثنان على واحد، واثنان على الآخر، رجحت الكفة التي فيها عبد الرحمن بن عوف.

وهذا يعني ان الميزان هو عبد الرحمن بن عوف، ترجح الكفة التي هو فيها، وكأنه هو الأعلم بما ينفع الأمة وليس علي بن أبي طالب عليه السلام الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله: ان خير من اترك بعدي علي بن أبي طالب، وكأن في غير علي عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إني تركت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي آل بيتي، وفي غيره قال صلى الله عليه وآله: من كنت مولاه فهذا علي مولاه.

كل ذلك قد نسي، وصار عبد الرحمن بن عوف هو الميزان في اختيار الخليفة الذي يكون اصلح للأمة.

الإبن الأكبر: وما كان موقف أمير المؤمنين عليه السلام من هذه الشروط يا أبي؟

(١) فرائد السمطين حـ ١ باب ٦٦ بإسناد عن أبي الطفيل عامر بن وائله الليثي، ويقال: الكناني. وأخرجه العاصمي في زين الفتى في شرح سورة هل أتى باختلاف بسيط، ورواه ابن بابويه عن الإمام الصادق عليه السلام.

الأب: حينما سمع أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام هذه الشروط قال لجماعة من بني هاشم: عدلت عنا، فقالوا له: وما علمك؟ قالعليه السلام لهم: قرن بي عثمان وقال كونوا مع الأكثر، فإنه أن رضي رجلان رجلاً، ورجلان رجلاً، فكونوا مع الذي فيهم عبد الرحمن بن عوف.

فسعد لا يخالف ابن عمه، وعبد الرحمن صهر عثمان، ولا يختلفون، فلو كان الآخران معي، لم ينفعاني[1].

ثم تابع الأب حديثه قائلاً: ثم كان الأمر كما قاله أمير المؤمنينعليه السلام، واختير عثمان ابن عفان من قبل عبد الرحمن بن عوف، حيث هو في الكفة التي اختارت عثمان، وانتهى الأمر بأن صار عثمان خليفة للمسلمين.

الإبن الأكبر: وهل كانت لأمير المؤمنينعليه السلام مواقف ومناظرات مع أهل الكتاب غير التي ذكرتها يا أبي؟

الأب: نعم يا ولدي، فهوعليه السلام اعلم الصحابة، وإليه الملاذ عند التعرض لأي معضلة.

الإبن الأوسط: حدثنا عن بعضها يا أبي؟

الأب: نعم يا ولدي، ولكن في غد إن شاء الله تعالى.

(١) تاريخ الطبري جـ ٤ ص ٢٢٩ ـ ٢٣٠ والكامل لابن الأثير جـ ٣ ص ٦٧.

«اليوم السادس عشر»

«علي عليه السلام وأهل الكتاب»

جلس الأب في غرفته قبل حضور أبنائه مستعرضاً الأحداث التي سجلها التاريخ والتي فيها شهادة بعلم أمير المؤمنين عليه السلام ، والتي كانت قد حدثت بينه عليه السلام وبين أهل الكتاب كي يقصها على أبنائه، فخطر بباله أن يحدثهم عن المسائل التي سأل بها ملك اليوم علياً عليه السلام ، وبينما الأب كذلك إذ حضر الأبناء، وأخذ كل منهم مجلسه، فقال الإبن الأكبر: بماذا تحدثنا اليوم يا أبي؟

فقال الأب: سأحدثكم عن المسائل التي سألها ملك الروم لأمير المؤمنين عليه السلام ، وإن وجدنا متسعاً سنتحدث عن غيرها إن شاء الله.

ثم تابع الأب حديثه بعد صمت قليل: روي عن ابن المسيب قال: ان ملك الروم كتب إلى الخليفة عمر بن الخطاب يسأله عن مسائل، فعرضها عمر على أصحابه، فلم يجد عندهم جواباً، فعرضها على علي عليه السلام فأجاب عنها في أسرع وقت وبأحسن جواب.

ثم قال ابن المسيب: كتب ملك الروم إلى عمر: من قيصر ملك بني

الاصفر إلى خليفة المسلمين. أما بعد فإني سائلك عن مسائل فاخبرني عنها:

ما الشيء الذي لم يخلقه الله؟

وما الذي لم يعلمه الله؟

وما الذي ليس عند الله؟

وما الشيء الذي كله فم؟

وما الشيء الذي كله رجل؟

وما الشيء الذي كله عين؟

وما الشيء الذي كله جناح؟

والرجل الذي لا عشيرة له؟

والأربعة الذين لم تحمل بهم رحم؟

والشيء الذي يتنفس وليس فيه روح؟

وعن صوت الناقوس ماذا يقول؟

وعن ضاعن ضعن مرة واحدة؟

وعن شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، ما مثلها في الدنيا؟ وعن مكان لم تطلع فيه الشمس إلا مرة واحدة؟

وعن شجرة نبتت من غير ماء؟

وعن أهل الجنة، فإنهم يأكلون ويشربون ولا يتغوطون ولا يبولون، ما مثلهم في الدنيا؟

وعن موائد الجنة فإن عليها القصاع، في كل قصعة الوان لا يخلط بعضها

ببعض، ما مثلها في الدنيا؟

وعن جارية تخرج من تفاحة في الجنة، ولا ينقص منها شيء؟

وعن جارية تكون في الدنيا لرجلين وهي في الآخرة لرجل واحد؟

وعن مفاتيح الجنة، ما هي؟

فقرأ علي عليه السلام الكتاب، وكتب في الحال خلفه: أما بعد، فقد وقفت على كتابك أيها الملك، وانا اجيبك بعون الله وقوته، وبركته وبركة بنينا محمد صلى الله عليه وسلم.

أما الشيء الذي لم يخلقه الله تعالى: فالقرآن، لأنه كلامه وصفته. وكذا كتب الله المنزلة والحق سبحانه قديم، وكذا صفاته.

وأما الذي لم يعلمه الله: فقولكم له ولد وصاحبة وشريك، ما اتخذ الله من ولد، وما كان معه من إله، لم يلد ولم يولد.

وأما الذي ليس عند الله: فالظلم. وما ربك بظلام للعبيد.

وأما الذي كله فم: فالنار، تأكل ما يلقى فيها.

وأما الذي كله رجل: فالماء.

وأما الذي كله عين: فالشمس.

وأما الذي كله جناح: فالريح.

وأما الذي لا عشيرة له: فآدم عليه السلام.

وأما الذي لم يحمل به رحم: فعصى موسى، وكبش إبراهيم، وآدم، وحواء.

وأما الذي يتنفس من غير روح: فالصبح، لقوله تعالى: والصبح إذا تنفس.

وأما الناقوس فإنه يقول: طقاً طقا، حقاً حقا، مهلاً مهلا، عدلاً عدلا، صدقاً، صدقا. ان الدنيا، قد غرقنا، واستهوتنا، تمضي الدنيا، قرناً قرنا، ما من يوم. يمضي عنا، الا أوهى، مناركنا، ان الموتى قد اخبرنا، أنا نرحل فاستوطنا.

وأما الضاعن: فطور سيناء، لما عصت بنو إسرائيل. وكان بينه وبين الأرض المقدسة أيام. فقلع الله منه قطعة، وجعل لها جناحين من نور. فنتقه عليهم، فذلك قوله: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ﴾. وقال لبني إسرائيل: ان لم تؤمنوا والا أوقعته عليكم. فلما تابوا رده إلى مكانه.

وأما المكان الذي لم تطلع عليه الشمس الآمرة واحدة: فأرض البحر. لما فلقه الله لموسى عليه السلام وقام الماء امثال الجبال. ويبست الأرض بطلوع الشمس عليها، ثم عاد ماء البحر إلى مكانه.

وأما الشجرة التي يسير الراكب في ظلها مائة عام: فشجرة طوبى، وهي سدرة المنتهى في السماء السابعة، إليها ينتهي اعمال بني آدم، وهي من أشجار الجنة، ليس في الجنة قعر ولا بيت الا وفيه غصن من أغصانها، ومثلها في الدنيا: الشمس، اصلها واحد، وضوئها في كل مكان.

وأما الشجرة التي نبتت من غير ماء: فشجرة يونس عليه السلام وكان ذلك معجزة له، لقوله تعالى: ﴿وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ﴾.

وأما غذاء أهل الجنة: فمثلهم في الدنيا، الجنين في بطن أمه، فإنه يتغذى من سرتها. ولا يبول ولا يتغوط.

واما الألوان في القصعة الواحدة: فمثلة في الدنيا: البيضة فيها ألوان أبيض وأصفر ولا يختلطان.

وأما الجارية التي تخرج من التفاحة: فمثلها في الدنيا الدودة التي تخرج من التفاحة ولا تتغير.

وأما الجارية التي تكون بين اثنين: فالنخلة التي تكون في الدنيا لمؤمن مثلي، وكافر مثلك، وهي لي في الآخرة ودونك، لأنها في الجنة، وأنت لا تدخلها.

وأما مفاتيح الجنة: فلا إله إلا الله محمد رسول الله.

قال ابن المسيب: فلما قرأ قيصر الكتاب قال: ما خرج هذا الكلام إلا من بيت النبوة، ثم سأل عن المجيب، فقيل له: هذا جواب ابن عم محمدﷺ، فكتب إليه:

سلام عليك، أما بعد، فقد وقفت على جوابك، وعلمت انك من أهل النبوة ومعدن الرسالة، وأنت موصوف بالشجاعة والعلم، وأوثر أن تكشف لي عن مذهبكم، والروح التي ذكرها الله في كتابكم في قوله (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي) ثم تابع الأب حديثه قائلاً:

فكتب إليه أمير المؤمنينعليه السلام: أما بعد، فالروح نكتة لطيفة، ولمعة شريفة، من صنع باديها. وقدرة منشأها، أخرجها من خزائن ملكه، واسكنها في ملكه، فهي عنده لك سبب، وله عندك وديعة. فإذا أخذت مالك عنده، أخذ ماله عندك. والسلام.

الإبن الأكبر: أتدري يا أبي أنني لا أعجب من علم عليعليه السلام ولا استغرب منه ذلك.

فقال الأب: وكيف يا ولدي؟

الإبن الأكبر: اتذكر جيداً أنك رويت لي حديثاً لرسول اللهﷺ قال فيه: أنا مدينة العلم وعلي بابها، وحديث رسول اللهﷺ هذا يعني أن رسول

الله ﷺ مستودع كل علم مادام هو مدينة العلم، وان علياً عليه السلام بيده المفتاح الذي يوصله لكل ذلك العلم، مادام هو باب مدينة علم الرسول ﷺ. لأن دخول المدينة لا يكون الا من بابها.

الأب: بارك الله فيك يا ولدي. هو تفسير جمل ومعقول. وأزيدك معلومة: ان علم رسول الله ﷺ من علم الله تعالى. وعلم علي عليه السلام من علم رسول الله ﷺ. وهذا يعني أيضاً أن علم علي بن أبي طالب عليه السلام من علم الله تعالى، ومادام الأمر كذلك فلا عجب من أن يصدر من علي عليه السلام من العلوم مالا يمكن لأحد بعد رسول الله ﷺ أن يصدر منه أو يستطيعه.

الإبن الأوسط: اتذكر يا أبي انك حينما حدثتنا عن يوم الدار قلت ان النبي ﷺ قال لعلي عليه السلام حينما بايعه: أدن مني، فدنى علي عليه السلام من رسول الله ﷺ، فقال له النبي ﷺ: افتح فاك. ففتحه علي عليه السلام. فمج فيه رسول الله ﷺ، وتفل بين كتفيه وثدييه.

وحينها قال أبو لهب: لبئس ما حبوت به ابن عمك، أجابك فملأت فاه ووجهه بزاقاً.

فقال له النبي ﷺ: بل ملئته علماً وحلماً وفهماً.

وهذا يا أبي تأكيد لقولك أن علم علي عليه السلام من علم رسول الله ﷺ.

الأب: نعم يا ولدي فطالما كان أمير المؤمنين عليه السلام يدعو الناس إلى أن يسألوه قبل أن يفقدوه، فقد روي عن أبي الطفيل عامر بن واثلة قال: شهدت علياً عليه السلام يخطب ويقول: سلوني عن كتاب الله. فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم ابليل نزلت أم بنهار، أم في سهل أم في جبل، ولو شئت أو قرت سبعين بعيراً من تفسير فاتحة الكتاب[1].

---

(١) الفتوحات الإسلامية لأحمد زيني دحلان جـ ٢ ص ٣٣٧.

ثم تابع الأب حديثه قائلاً: ونحن نؤمن يا ولدي ان القرآن الكريم فيه تبيان كل شيء. وما دام كذلك فهذا يعني أن فيه كل ما يحتاجه الإنسان في الحياة الدنيا، وكما هو معلوم ان حاجة الإنسان في الدنيا تحتاج كثير من أمورها إلى العلم. ولذلك فالقرآن يكفهم هذه الحاجة وأمير المؤمنين علي عليه السلام العالم بعد النبي صلى الله عليه وآله بالقرآن الكريم. فهو بالضرورة العالم بكل العلوم، ولم يبلغ أي صحابي منزلته وعلمه، وإلى هذا أشار عبد الله بن عباس حينما قال: وما علمي وعلم أصحاب محمد صلى الله عليه وآله من علم علي عليه السلام الا كقطرة في سبعة ابحر. وله قول آخر يقول فيه: لقد اعطي علي عليه السلام تسعة أعشار العلم. وايم الله لقد شارك الناس في العشر العاشر.

ثم تابع الأب حديثه قائلاً: لقد كان أمير المؤمنين عليه السلام كثيراً ما يوصى المسلمين بطلب العلم. فقد روي عن سليم بن قيس الهلالي قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يحدثني ويقول: ان النبي صلى الله عليه وآله قال:

منهومان لا يستبعان: منهوم في الدنيا لا يشبع منها. ومنهوم في العلم لا يشبع منه. فمن اقتصر من الدنيا على ما احل الله له سلم. ومن تناولها من غير حلها هلك. الا ان يتوب ويراجع.

ومن أخذ العلم وعمل به نجا. ومن أراد به الدنيا هلك. وهو حظه.

والعلماء عالمان: عالم عمل بعلمه فهو ناج، وعالم تارك لعلمه فهو هالك.

ان أهل النار ليتاذون من نتن ريح العالم التارك لعلمه. وان اشد أهل النار ندامة وحسرة: رجل دعا عبداً إلى الله فاستجاب له فاطاع الله فدخل الجنة، وعصى الله الداعي فأدخل النار بتركه علمه، واتباعه هواه وعصيان الله.

إنما هما اثنان: اتباع الهوى، وطول الأمل.

فأما اتباع الهوى: فيصد عن الحق.

وأما طول الأمل. فينسي الآخرة.

ان الدنيا قد ترحلت مدبرة، وان الآخرة قد ترحلت مقبلة، ولكل منهما بنون. فكونوا من ابناء الآخرة، ان استطعم، ولا تكونوا من ابناء الدنيا.

فإنما اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل...[1].

ولأمير المؤمنين عليه السلام حديثاً حدث به كميل بن زياد النخعي قال له فيه: يا كميل، ان هذه القلوب أوعية، فخيرها أوعاها.

فاحفظ عني ما اقول لك:

الناس ثلاثة: عالم رباني.

ومتعلم على سبيل نجاة.

وهمج رعاع. اتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح. لم يستفيئوا بنور العلم، ولم يلجأوا إلى ركن وثيق.

يا كميل: العلم خير من المال، العلم يحرسك. وانت تحرس المال، المال تنقصه النفقة، والعلم يزكو على الانفاق، وصنيع المال يزول بزواله.

يا كميل: معرفة العلم دين يدان به، به يكسب الإنسان الطاعة في حياته، وجميل الاحدوثة بعد وفاته، والعلم حاكم، والمال محكوم عليه.

يا كميل: هلك خزان الأموال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة، وامثالهم في القلوب موجودة، وها هنا لعلماً جماً (واشار عليه السلام بيده إلى صدره). لو اصبت له حمله.

---

(١) كتاب سليم بن قيس الهلالي ص ١٦١ ـ ١٦٢.

ولأمير المؤمنين عليه السلام شعراً يذكر به العلم ويرغب الناس به فيقول:

العلم زين فكن للعلم مكتسباً ... وكن له طالباً ما عشت مقتبساً
واركن إليه وثق بالله واغن به ... وكن حليماً رزين العقل محترساً
لا تسأ من فاما كنت منهمكاً ... في العلم يوماً واما كنت منغمساً
وكن فتى ناسكاً فحض التقى ورعاً ... للدين مغتنماً للعلم مفترساً
فمن تخلق بالآداب ظل بها ... رئيس قوم إذا ما فارق الرؤسا
واعلم هديت بأن العلم خير صفا ... اضحى لطالبه من فضله سلساً

ثم تابع الأب حديثه قائلاً: لقد كان أمير المؤمنين علي عليه السلام متواضعاً على رغم مكانته وفضله وعلمه. عكس الناس في يومنا الحاضر هذا. تراهم سريعاً ما يتعالون على الناس بمجرد ما يحصلون على درجة من العلم. وهذا ما نبّه إليه أمير المؤمنين عليه السلام وحذر العلماء منه كثيراً، لأن العالم حينما يزهو بنفسه لعلمه الذي يحمله يؤدي به هذا الزهو إلى الكبر والتعالى على الناس. وبذلك يفقد الثواب الذي أعده الله تعالى للعالم.

وقد وصف أمير المؤمنين عليه السلام العلم بأحسن وصف وصورة بأجمل صورة حين قال في وصفه: رأسه التواضع. وعينه البراءة من الحسد. وأذنه الفهم، ولسانه الصدق، وحفظه الفحص، وقلبه حسن النية، وعقله معرفة الأسباب بالأمور، ويده الرحمة، وهمته السلامة، ورجله زيارة العلماء، وحكمته الورع، ومستقره النجاة. وقائده العافية. ومركبه الوفاء، وسلاحه لين الكلام، وسيفه الرضا. وقوسه المداراة. وجيشه محاورة العلماء، وماله الأدب، وذخيرته اجتناب الذنوب، وزاده المعرفة، ومأواه الوداعة، ودليله الهدى، ورفيقه صحبة الأخيار.

الإبن الأكبر: ان في علم أمير المؤمنين عليه السلام قصصاً زاخرة بالفضائل، وفي أقواله حكماً زاخرة بالمنافع، ولكن ياأبي لم تحدثنا بعد عن المناظرات التي كانت بينه وبين أصحاب الكتاب سوى جوابه لقيصر ملك الروم.

الأب: سأحدثكم حديثاً كان بين أمير المؤمنين علي عليه السلام وبين احبار من اليهود، وكان ذلك قد حدث في خلافة عمر بن الخطاب أيضاً.

الإبن الأوسط: نعم يا أبي حدثنا بذلك.

الأب: ليس اليوم يا ولدي، وإنما في غد إن شاء الله.

«اليوم السابع عشر»

«أمير المؤمنين عليه السلام واحبار من اليهود»

دخل الأبناء على أبيهم. وكان بيده المصحف الشريف يقلب بأوراقه، فأخذ كل منهم مكانه حول أبيهم، ثم بادر الإبن الأكبر سائلاً أباه: أرى بيدك المصحف يا أبي. ألا ترغب بحديثنا الآن؟

قال الأب: لا يا ولدي سأحدثكم الآن، بعد أن أجد سورة الكهف، ونقرأها، لأن حديثنا اليوم له علاقة بها.

وما أن أنهى الأب حديثه حتى كان قد وجد سورة الكهف في ص ٢٩٣ من القرآن الكريم السورة ١٨ منه. فقال لأبنائه: سأقرأ السورة وأرجو أن تستمعوا إليها، ففيها قصة أصحاب الكهف التي سيدور حديثنا عنها هذا اليوم كما ذكرت لكم.

وبدأ الأب بالقراءة وأبناؤه يستمعون إليه، حتى أنهى السورة وقال (صدق الله العلي العظيم)، وقبل القرآن الكريم ووضعه في مكانه، ثم قال: لقد استمعنا جميعاً لسورة الكهف وقد قصها علينا الله تعالى في كتابه العزيز، أما حديثنا فهو:

إن جماعة من أحبار اليهود جاءوا إلى الخليفة عمر بن الخطاب فقالوا: يا عمر، أنت ولي الأمر بعد محمد، وصاحبه، وانا نريد أن نسألك عن خصال، ان اخبرتنا بها علمنا أن الإسلام حق. وإن محمداً كان نبياً.

وان لم تخبرنا به، علمنا أن الإسلام باطل وإن محمداً لم يكن نبياً.

فقال عمر: سلوا عما بدا لكم. فقالوا:

اخبرنا عن اقفال السماوات ما هي؟

واخبرنا عن مفاتيح السماوات ما هي؟

واخبرنا عن قبر سار بصاحبه ما هو؟

واخبرنا عمن انذر قومه لا هو من الجن ولا هو من الأنس؟

واخبرنا عن خمسة أشياء مشوا على وجه الأرض ولم يخلقوا في الارحام؟

واخبرنا ما يقول الدراج في صياحه؟

وما يقول الديك في صراخه؟

وما يقول الفرس في صهيله؟

وما يقول الصفدع في نقيقه؟

وما يقول الحمار في نهيقه؟

وما يقول القنبر في صفيره؟

ثم تابع الأب حديثه فقال:

وكما هو معلوم. ان علياً عليه السلام هو عند كل معضله حلال، ولكي لا يحدث اشكال في الأمر فقد جاء سلمان الفارسي إلى أمير المؤمنين عليه السلام واعلمه بالأمر، فأقبل أمير المؤمنين عليه السلام يرفل ببردة رسول الله صلى الله عليه وآله. فلما

نظر إليه الخليفة عمر وثب قائماً فاعتنقه وقال: يا أبا الحسن، أنت عند كل معضلة وشدة تدعى.

فدعا علي عليه السلام اليهود فقال: سلوا عما بدا لكم، كان النبي صلى الله عليه وآله علمني ألف باب من العلم، فتشعب لي من كل باب، ألف باب.

فسأله الاحبار...

فقال علي عليه السلام: ان لي عليكم شريطة، إذا اخبرتكم كما في توارتكم: دخلتم ديننا، وآمنتم.

فقالوا: نعم.

فقال عليه السلام: سلوا عن خصلة خصله، فقالوا:

اخبرنا عن اقفال السموات ما هي؟

قال عليه السلام: اقفال السموات الشرك بالله، لأن العبد والأمة إذا كانا مشركين لم يرفع لهما عمل.

قالوا: اخبرنا عن مفاتيح السماوات ما هي؟

قال عليه السلام: شهادة إن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

فجعل بعضهم ينظر لبعض ويقولون: صدق الفتى.

فقالوا: فاخبرنا عن قبر سار بصاحبه؟

قال عليه السلام: ذلك الحوت الذي التقم يونس بن متي، فسار في البحار السبع.

قالوا: اخبرنا عمن نذر قومه لا هو من الجن، ولا هو من الأنس؟

قال عليه السلام: هي نملة سليمان بن داود عليه السلام، قالت يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون.

قالوا: اخبرنا عن خمسة مشوا على الأرض ولم يخلقوا في الارحام؟

قال عليه السلام : ذلكم: آدم عليه السلام وحواء وناقة صالح وكبش إبراهيم وعصى موسى عليه السلام.

قالوا: فاخبرنا ما يقول الدراج في صياحه؟

قال عليه السلام : يقول الرحمن على العرش استوى.

قالوا: فاخبرنا ما يقول الديك في صراخه؟

قال عليه السلام : يقول: اذكروا الله يا غافلين.

قالوا: اخبرنا ما يقول الفرس في صهيله؟

قال عليه السلام : يقول: إذا مش المؤمنون إلى الكافرين إلى الجهاد: الهم أنصر عبادك المؤمنين على الكافرين.

قالوا: فاخبرنا ما يقول الحمار في نهيقه؟

قال عليه السلام : يقول: لعن الله العشار، وينهق في أعين الشياطين.

قالوا: فاخبرنا ما يقول الصفدع في نقيقه؟

قال عليه السلام : يقول سبحان ربي المعبود المسبح في لجج البحار.

قالوا: فاخبرنا ما يقول القنبر في صفيره؟

قال عليه السلام : يقول: ألهم العن مبغضي محمد وآل محمد.

قال الراوي: وكان اليهود ثلاثة نفر، فقال اثنان منهم: نشهد إلا لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

ووثب الحبر الثالث فقال: يا علي. لقد وقع في قلوب أصحابي من الإيمان والتصديق، وقد بقي خصلة واحدة، أسألك عنها.

فقال: اخبرني عن قوم في أول الزمان، ماتوا ثلثمائة وتسع سنين. ثم احياهم الله. فما كان من قصتهم؟

قال عليه السلام: يا يهودي هؤلاء أصحاب قد أنزل الله على نبينا قرآناً فيه قصتهم، وان شئت قرأت عليك قصتهم.

قال اليهودي: ما أكثر ما سمعنا قراءتكم. ان كنت عالماً فاخبرني بأسمائهم وأسماء آبائهم وأسماء مدينتهم، وإسم ملكهم. وإسم كلبهم، وإسم جبلهم، وإسم كهفهم، وقصتهم من أولها إلى آخرها؟

قال الراوي: فاحتبى علي عليه السلام ببردة رسول الله صلى الله عليه وآله ثم قال عليه السلام:

يا أخا العرب، حدثني حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله، انه كان بأرض رومية مدينة يقال لها (افسوس) ويقال هي (طرسوس) وكان اسمها في الجاهلية افسوس، فلما جاء الإسلام سموها طرسوس.

ثم قال عليه السلام: وكان لهم ملك صالح. فمات ملكهم، وانتشر أمرهم، فسمع به ملك من ملوك فارس يقال له (دقيانوس) وكان جباراً كافراً، فأقبل في عساكر حتى دخل افسوس فاتخذها دار ملكه، وبنى فيها مقراً.

فوثب اليهودي وقال: ان كنت عالماً فصف لي ذلك القصر ومجالسه.

فقال عليه السلام: يا أخا اليهود، إبتنى فيها قصراً من الرخام، طوله فرسخ، وعرضه فرسخ، واتخذ فيه أربعة آلاف اسطوانة من الذهب، وألف قنديل من الذهب، لها سلاسل من اللجين، وتسرج في كل ليلة بالادهان الطيبة، واتخذ بشرقي المجلس: مائة وثمانين قوة، ولغربيه كذلك، وكانت الشمس من حين تطلع إلى حين تغيب تدور في المجلس كيفما دارت.

واتخذ فيه سريراً من الذهب، طوله ثمانين ذراعاً وعرضه أربعين ذراعاً، مرصعاً بالجواهر. ونصب على يمين السرير ثمانين كرسياً من الذهب،

فاجلس عليها بطارقته، واتخذ ثمانين كرسياً من الذهب عن يساره فاجلس عليها هراقلته، ثم جلس هو على السرير، ووضع التاج على رأسه.

فوثب اليهودي وقال: يا علي، ان كنت عالماً فاخبرني مم كان تاجه؟

فقال عليه السلام: يا أخا اليهود، كان تاجه من الذهب السبيك، له تسعة أركان، على كل ركن لؤلؤة تضيء كما يضيء المصباح في الليلة الظلماء، واتخذ خمسين غلاماً من أبناء البطارقة، فمنطقهم بمناطق الديباج الأحمر، وسرولهم بسراويل القز الأخضر، وتوجهم ودملجهم وخلخلهم واعطاهم عمد الذهب، واقامهم على رأسه، واصطنع ستة غلمان من ابناء العلماء وجعلهم وزرائه، فما يقطع أمراً دونهم، واقام منهم ثلاثة عن يمينه وثلاثة عن شماله.

فوثب اليهودي وقال: يا علي، ان كنت صادقاً فاخبرني ما كانت أسماء الستة؟

فقال علي عليه السلام: حدثني حبيبي محمد صلى الله عليه وآله أن الذين كانوا على يمينه أسماؤهم: تمليخا، ومكسلمينا، ومحسلمينا، وأما الذين كانوا عن يسارهم فهم: مرطليوس وكشطوس وسادينوس، وكان يستشيرهم في جميع أموره، وكان إذا جلس كل يوم في صحن داره، واجتمع الناس عنده، دخل من باب الدار ثلاثة غلمه، في يد أحدهم جام من الذهب مملوء من المسك، وفي يد الثاني جام من الفضة مملوء من ماء الورد، وعلى يد الثالث طائر، فيصيح به فيطير الطائر حتى يقع في جام ماء الورد فيتمرغ فيه، فينشف ما فيه بريشه وجناحيه، ثم يصيح به الثاني، فيطير فيقع في جام المسك فيتمرغ فيه، فينشف ما فيه بريشه وجناحيه، فيصيح به الثالث، فيطير فيقع على تاج الملك، فينفض ريشه وجناحيه على رأس الملك بما فيه من المسك وماء الورد.

فمكث الملك ثلاثين سنة من غير أن يصيبه صداع ولا وجع ولا حمى ولا لعاب ولا بصاق ولا مخاط، فلما رأى ذلك من نفسه، عتا وطغى وتجبر

واستعصى، وادعى الربوبية من دون الله تعالى، ودعا إليه وجوه قومه، فكل من أجابه اعطاه وكساه وخلع عليه، ومن لم يجبه ويتابعه قتله.

فأجابوه أجمعهم، فاقاموا في ملكه زماناً، يعبدونه من دون الله تعالى، فبينما هو ذات يوم جالس في عيد له على سريره والتاج على رأسه، إذ أتى بعض بطارقته فاخبره أن عساكر الفرس قد غشيته يريدون قتله.

فاغتم لذلك غماً شديداً، حتى سقط التاج عن رأسه، وسقط هو عن سريره، فنظر أحد فتيته الثلاثة، وتذكر في نفسه وقال: لو كان دقيانوس هذا إلهاً كما يزعم. لما حزن ولما كان ينام، ولما كان يبول ويتغوط، وليست هذه الفعال من صفات الإله.

وكان الفتية يكونون كل يوم عند واحد منهم، وكان ذلك اليوم نوبة تمليخا، فاجتمعوا عنده، فأكلوا وشربوا، ولم يأكل تمليخا ولم يشرب.

فقالوا: يا تمليخا، مالك يا تأكل ولا تشرب؟ فقال: يا أخواني، قد وقع في قلبي شيء منعني من الطعام والشراب والمنام. فقالوا: وما هو يا تمليخا؟ فقال: اطلت فكري في هذه السماء. فقلت: من رفعها سقفاً محفوظاً بلا علاقة من فوقها، ولا دعامة من تحتها؟ وما أجرى فيها شمسها وقمرها؟ ومن زينها بالنجوم؟ ثم اطلت فكري في الأرض، من سطحها على ظهر أليم الزاخر؟ ومن حبسها وربطها بالجبال الرواسي لئلا تميد؟ ثم اطلت فكري في نفسي فقلت: من اخرجني جنيناً من بطن أمي؟ ومن غذاني ورباني؟

ان لهذا صانعاً ومدبراً سوى دقيانوس الملك؟ فانكب الفتية على رجليه يقبلونها وقالوا: يا تمليخا، لقد وقع في قلوبنا ما وقع في قلبك، فاشر علينا.

فقال تمليخا: يا أخواني، ما أجد لي ولكم حيلة الا الهرب من هذا الجبار، إلى ملك السموات والأرض.

فقالوا: الرأي ما رأيت.

فوثب تمليخا، فابتاع تمراً بثلاثة دراهم، وسرها في ردائه، وركبوا خيولهم. وخرجوا، فلما ساروا قدر ثلاثة أميال من المدينة قال لهم تمليخا: يا أخوتاه، قد ذهب عنا ملك الدنيا، وزال عنا أمره، فأنزلوا عن خيولكم. وامشوا على ارجلكم، لعل الله يجعل من أمركم فرجاً ومخرجاً، فنزلوا عن خيولهم، ومشوا على ارجلهم سبع فراسخ حتى صارت ارجلهم تقطر دماً، لأنهم لم يعتادوا المشي على اقدامهم. فاستقبلهم رجل راع، فقالوا: أيها الراعي، اعندك شربة ماء أو لبن؟ فقال: عندي ما تحبون، ولكني أرى وجوهكم وجوه الملوك، وما اظنكم إلا هراباً، فاخبروني بقصتكم، فقالوا: يا هذا، إنا دخلنا في دين لا يحل لنا الكذب، افينجينا الصدق؟ قال: نعم. فاخبروه بقصتهم، فانكب على ارجلهم يقبلها ويقول: قد وقع في قلبي ما وقع في قلوبكم، فقفوا إليّ ها هنا. حتى أرد الاغنام إلى اربابها وأعود إليكم.

فوقفوا له حتى ردها واقبل يسعى، فتبعة كلب له.

فوثب اليهودي قائماً وقال: يا علي، ان كنت عالماً فاخبرني، ما كان لون الكلب وإسمه؟

فقال عليه السلام: يا أخا اليهود، حدثني حبيبي محمد صلى الله عليه وآله. ان الكلب كان ابلق بسواد، وكان إسمه قمطير.

وقال عليه السلام: فلما نظر الفتية إلى الكلب قال بعضهم: إنا نخاف أن يفضحنا هذا الكلب بنبيحه، فالحوا عليه طرداً بالحجارة، فلما نظر اليهم الكلب قد الحوا عليه بالحجارة والطرد اقعى وتمطى، وقال بلسان طلق ذلق، يا قوم، لم تطردونني وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، دعوني احرسكم من عدوكم، واتقرب بذلك إلى الله سبحانه وتعالى، فتركوه و. . . . ، فصعد بهم الراعي جبلاً، وانحط بهم أعلى كهف.

فوثب اليهودي وقال: يا علي، ما إسم ذلك الجبل؟ وما إسم الكهف؟

قال عليه السلام: يا أخا اليهود، إسم الجبل (ناجلوس) وإسم الكهف (الوصيد). وقيل (خيرم).

ثم قال عليه السلام: إذا بفناء الكهف اشجار مثمرة، وعين غزيرة، فأكلوا من الثمار، وشربوا من الماء. وجنهم الليل فآووا إلى الكهف، وربض الكلب على باب الكهف ومديديه عليه، وأمر الله ملك الموت بقبض أرواحهم. ووكل الله تعالى بكل رجل منهم ملكين يقلبانه من ذات اليمين إلى ذات الشمال، ومن ذات الشمال إلى ذات اليمين، وقال عليه السلام: وأوحى الله إلى الشمس فكانت تزاور عن كهفهم ذاب اليمين إذ اطلعت. وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال.

فلما رجع الملك دقيانوس من عيده سأل عن الفتية فقيل له: انهم اتخذوا إلهاً غيرك. وخرجوا هاربين منك، فركب في ثمانين ألف فارس، وجعلوا يقفوا آثارهم حتى صعد الجبل وشارف الكهف، فنظر إليهم مضطجعين فظن أنهم نيام، فقال لأصحابه لواردت أن أعقابهم بشيء ما عاقبتهم بأكثر ما عاقبوا به أنفسهم، فاتوني بالبنائين، فأتي بهم فردموا عليهم باب الكهف بالجبس والحجارة، ثم قال دقيانوس لأصحابه: قولوا لهم يقولوا لإلههم الذي في السماء إن كانوا صادقين يخرجهم من هذا الموضع.

فمكثوا ثلثمائة وتسع ستين، فنفخ الله بهم الروح، وهموا من رقدتهم لما بزغت الشمس، فقال بعضهم لبعض: لقد غفلنا هذه الليلة عن عبادة الله، قوموا بنا إلى العين، فإذا بالعين قد غارت والأشجار قد جفت، فقال بعضهم لبعض: انا من أمرنا هذا لفي عجب، مثل هذه العين قد غارت في ليلة واحدة، ومثل هذه الأشجار قد جفت في ليلة واحدة.

وألقى الله عليهم الجوع فقالوا: ايكم يذهب بورقكم هذه إلى المدينة

فليأتنا بطعام منها، وينظر أن لا يكون من الطعام الذي يعجن بشحم خنزير، وذلك قوله تعالى: ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾ أي أحل وأجود وأطيب. فقال لهم تمليخا: يا أخوتي، لا يأتيكم أحد بالطعام غيري، ولكن أيها الراعي، ادفع لي ثيابك وخذ ثيابي.

فلبس ثياب الراعي، ومرَّ وكان يمرُّ بمواضع لا يعرفها. وطريق ينكرها، حتى أتى باب المدينة. فإذا عليه علم أخضر مكتوب عليه: لا إله إلا الله عيسى روح الله (صلى الله على بنينا وعليه وسمل)، فطفق الفتى ينظر إليه ويمسح عينيه ويقول: أراني نائماً، فلما طال عليه ذلك دخل المدينة، فمرّ بأقوام يقرؤن الإنجيل، واستقبله قوم لا يعرفهم، حتى انتهى إلى السوق، فإذا هو بخباز فقال له: يا خباز، ما إسم مدينتكم هذه؟ قال: افسوس، قال: وما إسم ملككم؟ قال: عبد الرحمن، قال تمليخا: إن كنت صادقاً فإن أمري عجيب، ادفع لي بهذه الدراهم طعاماً، وكانت دراهم ذلك الزمان الأول ثقالاً كباراً، فعجب الخباز من تلك الدراهم.

فوثب اليهودي، وقال: يا علي، إن كنت عالماً فاخبرني كم كان وزن الدرهم منها؟

قال عليه السلام: يا أخا اليهود، اخبرني حبيبي محمد صلى الله عليه وآله وزن كل درهم عشرة دراهم وثلثا درهم.

ثم قال عليه السلام: فقال له الخباز: يا هذا انك قد أصبت كنزاً، فاعطني بعضه وإلا ذهبت بك إلى الملك، فقال تمليخا: ما أصبت كنزاً، وإنما هذا من ثمن تمر بعته بثلاثة دراهم منذ ثلاثة أيام. وقد خرجت من هذه المدينة وهم يعبدون دقيانوس الملك، فغضب الخباز وقال: ألا ترضى أن أصبت كنزاً ان تعطيني بعضه حتى تذكر جباراً كان يدعي الربوبية قد مات منذ ثلثمائة سنة، وتسخر بي، ثم امسكه واجتمع الناس، ثم انهم أتوا به إلى الملك،

وكان عاقلاً عادلاً، فقال لهم: ما قصة هذا الفتى؟ قالوا: اصاب كنزاً، فقال له الملك: لا تخف. فإن نبينا عيسى أمرنا أن لا نأخذ من الكنوز إلا خمسها، فادفع إليّ خمس هذا الكنز وامضي سالماً، فقال: أيها الملك تثبت في أمري، ما أصبت كنزاً، وإنما أنا من أهل هذه المدينة، فقال له: أنت من أهلها؟ قال: نعم، قال: افتعرف فيها أحداً؟ قال: نعم، قال: فسم لنا. فسمى له نحو ألف رجل. فلم يعرفوا منهم رجلاً واحداً، قالوا: يا هذا. ما نعرف هذه الأسماء، وليست هي من أهل زماننا، ولكن هل لك في هذه المدينة داراً، فقال: نعم أيها الملك، فابعث معي أحداً. فبعث معه الملك جماعة حتى أتى بهم داراً، ارفع دار في المدينة، وقال: هذا داري، ثم قرع الباب. فخرج لهم شيخ كبير قد استرخا حاجباه من الكبر على عينيه، وهو فزع مرعوب، فقال: أيها الناس، ما بالكم؟ فقال له رسول الملك: ان هذا الغلام يزعم أن هذه الدار داره، فغضب الشيخ والتفت إلى تمليخا، وتبينه وقال له: ما إسمك؟ قال: تمليخا بن فلسين. فقال له الشيخ: اعد عليّ، فاعاد عليه، فانكب الشيخ على يديه ورجليه يقبلها وقال: هذا جدي ورب الكعبة، وهوأحد الفتية الذين هربوا من دقيانوس الملك الجبار، إلى جبار السماوات والأرض، ولقد كان عيسى عليه السلام اخبرنا بقصتهم وأنهم سيحيون، فانهى ذلك إلى الملك، وأتى إليهم وحضرهم، فلما رأى الملك تمليخا نزل عن فرسه، وحمل تمليخا على عاتقه، فجعل الناس يقبلون يديه ورجليه، ويقولون له: يا تمليخا. ما فعل بأصحابك؟ فاخبرهم أنهم في الكهف، وكانت المدينة قد وليها رجلان، ملك مسلم وملك نصراني، فركبا في أصحابهما وأخذ تمليخا، فلما صاروا قريباً من الكهف قال لهم تمليخا: يا قوم إني أخاف أن أخوتي يحسون بوقع حوافر الخيل والدواب، وصلصلة اللجم والسلاح، فيظنون أن دقيانوس قد غشيهم، فيموتون جميعاً، فقفوا قليلاً حتى ادخل إليهم فاخبرهم. فوقف الناس. ودخل عليهم تمليخا، فوثب

عليه الفتية واعتنقوه وقالوا: الحمد لله الذي نجاك من دقيانوس، فقال لهم: دعوني منكم ومن دقيانوس، كم لبثتم؟ قالوا: لبثنا يوماً أو بعض يوم، قال: بل لبثتم ثلثمائة وتسع سنين، وقد مات دقيانوس، وانقرض قرن بعد قرن، وآمن أهل المدينة بالله العظيم، وقد جاؤكم، فقالوا: يا تمليخا، تريد أن تصيرنا فتنة للعالمين؟ قال: فماذا تريدون؟ قالوا: أرفع يديك ونرفع أيدينا، فرفعوا أيديهم وقالوا: ألهم بحق ما أريتنا من العجائب في أنفسنا، الا قبضت أرواحنا ولم يطلع علينا أحد، فأمر الله ملك الموت فقبض أرواحهم، وطمس الله باب الكهف، وأقبل الملكان يطوفان حول الكهف سبعة أيام، فلا يجدون له باباً، ولا منفذاً ولا ملكاً فايقنا حينئذ بلطيف صنع الله الكريم، وان احوالهم كانت عبرة أراهم الله إياها فقال المسلم: على ديني ماتوا، وأنا أبني على باب الكهف مسجداً، وقال النصراني: بل ماتوا على ديني، فأنا أبني على باب الكهف ديراً، فاقتتل الملكان، فغلب المسلم النصراني، فبنى على باب الكهف مسجداً، فذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾.

وذلك يا يهودي، ما كان من قصتهم، ثم قال علي عليه السلام لليهودي: سألتك بالله يا يهودي، أوافق هذا ما في توراتكم، فقال اليهودي: مازدت حرفاً، ولا نقصت حرفاً يا أبا الحسن، ولا تسمني يهودياً: اشهد إن لا إله إلا الله، وإن محمداً عبده ورسوله[1].

الإبن الأكبر: وما كان دور أمير المؤمنين عليه السلام في خلافة عثمان يا أبي؟

الأب: سنتحدث عن تلك الفترة يوم غد إن شاء الله تعالى.

---

(١) ذكر القصة الثعلبي في كتاب العرائس ص ٢٣٢ ـ ٢٣٩ ونقلها عنه الشيخ الأميني في كتابه الغدير جـ ٦ ص ١٤٨ ـ ١٥٥ واخرجها الترمزي في كتابه الفتح المبين في كشف حق اليقين ونقل عنه البحراني في كتابه غاية المرام ص ٥١٧.

«اليوم الثامن عشر»

«مقتل عثمان بن عفان واختيار علي عليه السلام بالاجتماع خليفه»

كان الأب جالساً في غرفته وحيداً، وكان مستعرضاً مع نفسه أحداث مقتل عثمان بن عفان، بكل ما رافقتها من الملابسات، وما امتازت به من تقريب لا يطاق لبني أمية، وهم المعروفين عند الجميع بأهوائهم وبعدهم عن الالتزام بتعاليم الدين الحنيف.

وبينما هو جالس. وإذا بأبنائه يلتفون حوله طالبين منه أن يبدأ حديثه، فقال لهم أبوهم: كانت خلافة عثمان مختلفة عن خلافة أبي بكر وعمر. وكثيراً ما بعدت عن القرآن والسنّة النبوية الشريفة، ومما يذكره التاريخ أن عبد الرحمن بن عوف نفسه قال لعثمان يوماً: لم فررت يوم أحد، وتخلفت عن بدر، وخالفت سنّة عمر[1].

ومن مخالفته لأبي بكر وعمر أيضاف هو أن سمح لطريد رسول الله صلى الله عليه وآله بالرجوع إلى المدينة المنورة، وهو الذي سبق وترجاهما كل في خلافته على السماح له بالعودة فرفضا بشدة أن يكسرا قراراً كان رسول الله صلى الله عليه وآله قد أقره.

كانت خلافته حافلة بالقرارات التي لا ترضي المسلمين بأي شكل من

(١) تاريخ الطبري ٤/٣٥٦ ـ ٣٥٧ والكامل لابن الأثير ٣/١٦٣.

الأشكال، كان الإسلام قد ساوى بين الناس. فراح عثمان يغدق بالعطايا لبني أمية، وكان الصحابة في أيام أبي بكر وعمر يسمع لهم رأي وتؤخذ منهم مشورة، فصار عثمان مقرباً لمروان بن الحكم والوليد بن عقبة وامثالهم من بني أمية.

فمروان كما قالت عنه عائشة أنه فض من لعنة رسول الله ﷺ وإذا به في خلافة عثمان وزيره وبيده خاتم الخلافة.

والوليد بن عقبة ذلك الذي وصفه الله تعالى في كتابه الكريم بالفاسق وإذا بعثمان قد ولاه الكوفة وعزل عنها سعد بن أبي قاص. وبفعل عثمان هذا قال الناس في الكوفة:

بئسما بدلنا عثمان. عزل أبا إسحاق إلهين اللين، وولى أخاه الفاسق الفاجر الأحمق[1].

كان الوليد زانياً شريباً للخمر. يقرب الصلاة وهو مخمور لا يدري ما يقول[2]، ولم يكتف عثمان بالذين شهدوا عليه بالسكر إلا أن ضرب بعضهم أسواطاً، فأتوا إلى علي عليه السلام فشكوا إليه ذلك فأتى عثمان وقال له: عطلت الحدود وضربت قوماً شهدوا على أخيك فقلبت الحكم (عن الواقدي).

وفي رواية أبي إسحاق أتى الشهود عائشة فاخبروها بما جرى بينهم وبين عثمان، وإن عثمان زبرهم. فنادت عائشة: ان عثمان ابطل الحدود وتوعّد الشهود[3].

كل هذه الأمور وغيرها في الشام ومثلها في مصر كانت سبباً في حدوث انقسام مريع بين صفوف المسلمين أدى إلى صراع متأجج بين فئتين، الأولى:

---

(١) راجع طبقات إبن سعد ترجمة الوليد وكتاب الاستيعاب وأسد الغابة والإصابة.
(٢) الأغاني حـ ٤/ ١٧٨ ـ ١٧٩ والمسعودي في مروج الذهب حـ ١/ ٤٣٥.
(٣) راجع البلاذري حـ ٥ ص ٣٣.

هم المعارضين لسياسة عثمان بن عفان التي وجدوها بعيدة عن القرآن والسنة النبوية الشريفة، والثانية: هي الطبقة المنتفعة من هذه السياسة، وهم الأمويون الذين حار عثمان كيف يتخمهم بالأموال والعطايا حتى وإن كان ذلك يؤدي به إلى الخروج عن السنة.

ومع كل هذا الخروج وكل الأذى الذي كان منه للخيرة من أصحاب رسول الله ﷺ كعمار بن ياسر وأبي ذر الغفاري الذي نفاه عثمان لا لشيء إلا أن قال الحق في معاوية، الا ان اكثرهم للحق كارهون.

الإبن الأكبر: وما كان من أمر أبي ذر رحمه الله يا أبي وهو في منفاه؟

الأب: كان لرسول الله ﷺ حديثاً قال فيه لأصحابه المخلصين: ليموتن أحدكم بفلات من الأرض. يشهده عصابة من المؤمنين.

وفي لفظ البلازري: يلي دفنه رهط من الصالحين.

الإبن الأكبر: هي يعني هذا ان أبا ذر قد مات بالربذة؟

الأب: نعم يا ولدي، مات العبد الصالح في الربذة وحيداً، لا أحد جنبه ليهتم بتكفينه ودفنه، مات صادق اللهجة.

الإبن الأوسط: وهل سمي أبو ذر بصادق اللهجة يا أبي.

الأب: نعم يا ولدي سماه بذلك رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدق، فقد روي عن رسول الله ﷺ قال: ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر[1].

مات جزاء قوله الحق والصدق، مات جزاء أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر والبغي، مات من أمر الله تعالى رسوله الكريم بحبه.

---

(١) أخرجه سعد والترمزي من طريق عبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن عمر وأبي الدرداء.

الإبن الأكبر: وكيف أمر الله رسوله ﷺ بحبه يا أبي؟

الأب: روي عن رسول الله ﷺ قال: إن الله أمرني بحب أربعة، وأخبرني أنه يحبهم: علي وأبو ذر والمقداد وسلمان[1].

الإبن الأكبر: انك ذكرت حديث رسول الله وقلت قال رسول الله ﷺ: يلي دفنه رهط من المؤمنين، فمنه دفنه بعد موته يا أبي؟

الأب: كان قد مرّ مالك بن الحارث الاشتر هو وأصحابه الكوفيين على الربذة، فوجدوا أبا ذر الغفاري قد فارق الحياة، فجهزوه ودفنوه في مكانه[2].

ومع كل تجاوزات الخليفة ومن حوله من الأمويين، الا أن أمير المؤمنين علي عليه السلام كان له دوراً كبيراً في تهدئة النفوس، حيث كان كثير النصح لعثمان سعياً منه في لم الشمل واصلاح ما أمكنه اصلاحه من الأمور، غير أن تمادي مروان ومن على شاكلته من بني أمية يرجع ما اصلحه الإمام عليه السلام على أشد مما كان عليه قبل اصلاحه.

الإبن الأكبر: وأين دور عثمان يا أبي، وهل كان مروان ذا تأثير عليه؟

الأب: لو استرجعنا سيرة عثمان في هذه الفترة لوجدناه قد انقاد لمروان بقصد منه أو غير قصد ولوجدنا مروان وبيده أمور الخلافة وكأنه هو الخليفة وليس عثمان. ولذلك فإن اتخذ عثمان أمراً غير ما يريده مروان، لا يمر يوماً على أمره أو بعض يوم الا واتبع ما يراه مرواه وما يقره.

الإبن الأكبر: كل الصحابة يا أبي وحتى الخلفاء أبي بكر وعمر كانوا يسترشدون بعلي عليه السلام في أغلب أمورهم. فما بال عثمان؟

---

(١) صحيح الترمذي حـ ٢ ص ٢١٣.

(٢) انساب البلاذري حـ ٥ ص ٥٥ وحلية الأولياء لأبي نعيم حـ ١ ص ١٧ والمستدرك للحاكم حـ ٣ ص ٣٣٧ والاستيعاب لأبي عمر حـ ١ ص ٨٣.

الأب: نعم يا ولدي، استرشد عثمان بعلي عليه السلام وخصوصاً في أزمته هذه. ألا إن مروان كان سرعان ما يؤثر عليه بشكل أو بآخر فيعيده إلى صفه ومصلحته التي كان يراها. والأكثر من ذلك جعل من عثمان يشك في دور أمير المؤمنين علي عليه السلام في الاصلاح. وهذا ما يؤكده حديث عثمان لعلي عليه السلام حينما عاده يوماً في مرضه. فقال له بعد أن رآه ثقيلاً.

أما والله، لولا ما أرى منك ما كنت اتكلم بما أريد أن أتكلم به.

والله ما أدري أي يوميك أحب إليّ أو أبغض، أيوم حياتك، أو يوم موتك. أما والله لئن بقيت لا أعدم شامتاً يعدك كهفاً، ويتخذك عضداً، ولئن مت لافجعن بك.

فحظي منك حظ الوالد المشفق من الولد العاق، ان عاش عقه. وان مات فجعه. فليتك جعلت لنا من أمرك لنا علماً نقف عليه ونعرفه.

أما صديق مسالم. واما عدو معاني. ولا تجعلني كالمختنق بين السماء والأرض، لا يرقى بيد، ولا يهبط برجل.

أما والله لئن قتلتك لا أصيب منك خلفاً، ولئن قتلتني لا تصيب مني خلفاً، وما أحب أن أبقى بعدك.

فقال مروان: أي والله. وأخرى أنه لا ينال ما وراء ظهورنا حتى تكسر رماحنا، وتقطع سيوفنا، فما خير العيش بعد هذا.

فضرب عثمان في صدره وقال: ما يدخلك في كلامنا؟

فقال علي عليه السلام: إني في شغل عن جوابكما، ولكني أقول كما قال أبو يوسف، فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون[1].

مرات عديدة اعتزل أمير المؤمنين عليه السلام التدخل في هذه الأحداث، وإن

---

(١) العقد الفريد جـ ٢ ص ٢٧٤ والإمامة والسياسة جـ ١ ص ٣٠.

كان ذلك دون رغبة منه. حتى تعاظم الأمر على عثمان. وحاصرت الناس داره، ومنعوا عنه حتى الماء، فبعث الإمام عليه السلام بولديه الحسن والحسين عليهما السلام ليقفا بسيوفهما على باب داره. ومنعوا من أن يصله أي مكروه من خلالها. حتى بلغ الأمر مبلغاً كبيراً. فخضب الحسن والحسين عليهما السلام بالدماء، وشج قنبر مولا أمير المؤمنين عليه السلام [1].

واشتد الأمر، وتعاظم الموقف، وثار في نفوس المعترضين فارس الانتقام. الانتقام للدين وللموقف وللسنة، فهم يرون أن عليهم أن يثأروا لدينهم الذي غيرت معالمه على يد مروان، ويثأروا للموقف الذي وقفوه حينما حاورهم علي عليه السلام واخذ لهم العهد من الخليفة في اصلاح أمورهم وولاتهم. وكذلك يثأروا للسنة النبوية التي ما عرفوا سنة تدعوا للوفاه بالعهد مثلها. ووجدوا ان الخليفة قد خان العهد. وأمر بقتلهم لولا ان وقع كتابه في أيديهم.

وقتل الثائرون الخليفة عثمان بن عفان. وكان ذلك يوم الجمعة لثمان عشر ليلة من شهر ذي الحجة. سنة ست وثلاثين للهجرة النبوية الشريفة.

الإبن الأكبر: من قصة مقتل الخليفة عثمان هذه فهمنا أن عثمان لم يستخلف احداً للخلافة، كما كان الأمر في استخلاف أبي بكر لعمر. وكما وضع عمر الأمر في الستة أهل الشورى. فكيف صار الإمام علي عليه السلام خليفة يا أبي؟

الأب: لو استرجعنا الخلافة من بدايتها. لوجدنا أن أبا بكر قد اختاره عمر للخلافة ثم بايع من بايع بعد ذلك، وان عمر استخلفه أبو بكر خليفة بعده. وان عثمان صار خليفة بعد ان وضع عمر الأمر في الستة أهل الشورى.

---

(١) راجع كتاب الإمام الحسين عليه السلام لعبد الله العلايلي ص ١٢٢ ـ ١٢٨.

أما علي عليه السلام فقد اختلف عنهم جميعاً. لقد اختاره كل المهاجرين والأنصار أن يكون خليفة. وهذا يعني أنه عليه السلام قد اختير باجماع المسلمين دون خوف أو وجل أو ضغط وإكراه أو محابات.

الإبن الأوسط: وكيف تم اختياره يا أبي؟

الأب: بعد أن قتل عثمان. اجمع المسلمون على أن يكون أمير المؤمنين عليه السلام خليفة لرسول الله صلى الله عليه وآله عليهم. فاقبلوا عليه في داره طالبين مبايعته للخلافة.

ألا ان الإمام عليه السلام رفض ذلك. وناشدهم أن يتركوه ويلتمسوا غيره، حيث قال عليه السلام لهم: دعوني والتمسوا غيري، فأنا مستقبلون أمراً له وجوه والوان. لا تقوم له القلوب، ولا تثبت له العقول. وان الآفات قد اغامت، والمحجة قد تنكرت. واعلموا أن اجبتكم ركبت بكم ما اعلم. لم اصغ إلى قول قائل. وعتب عاتب، وان تركتموني فأنا كأحدكم، ولعلي اسمعكم واطوعكم لمن وليتموه أمركم، وأنا لكم وزير خير لكم مني أميراً.

كان عليه السلام قد استقرأ الأحداث. فوجد أن الأمر سيكون فوق ما يطيقون. لأنهم لم يعتادوا منذ فترة ليست بالقصيرة على الالتزام الصادق والصحيح لنهج الإسلام. وان اعادهم إلى ذلك النهج تجب أن تكون اعادتهم إليه مرة واحدة، وهذا يعني أنهم سوف لا يطيقون ذلك، إضافة إلى علمه عليه السلام من خلال ما علمه به رسول الله صلى الله عليه وآله بأن المستقبل لا يخلو من التفرقة والتشتت والاطماع التي تقود إلى قيام الحروب فيما بين المسلمين، وهذا ما نفهمه من كلامه عليه السلام لهم في قوله: فأنا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان. لا تقوم له القلوب ولا تثبت له العقول...

الإبن الأكبر: وما كان منهم حينما رفض الإمام تلبية طلبهم يا أبي؟

الأب: لم ييأسوا منه، وكذلك لا يريدون أن يكون خليفة غيره، فهم من

عرفوا علياً عليه السلام جيداً، وعرفوا ما له من المكانة الرفيعة التي خصه الله تعالى بها وحده.

ولذلك فقد ترددوا عليه كثيراً راجين منه الموافقة على مبايعتهم له خليفة، وكان يردهم في كل مرة بقوله: انا لكم وزيراً خير لكم مني أميراً.

فأجابوه مرة بقولهم: والله، ما نحن بفاعلين حتى نبايعك.

فلم يجد الإمام عليه السلام غير القبول، فقال لهم: إذا كان لا بد، ففي المسجد فإن بيعتي لا تكون خفية، ولا تكون إلا في المسجد.

وحضر الجميع في المسجد، جمع كبير من المهاجرين والأنصار وأهل العراق وأهل الشام وأهل مصر ومن البوادي. حيث كانوا متواجدين عند حصول تلك الأحداث التي مرت على عثمان.

وأمام الجميع، تمت بيعة أمير المؤمنين عليه السلام، وكانت حفلاً لا مثيل له، الكل مسرور من هذه البيعة، والكل شاعر بوجوب قيامها، فقام أمير المؤمنين عليه السلام خطيباً فيهم قائلاً: أيها الناس، بايعتموني على ما بويع من كان قبلي، وإنما الخيار قبل ان تقع البيعة، فإذا وقعت فلا خيار، وإنما على الإمام الاستقامة، وعلى الرعية التسليم، وان هذه البيعة عامة من ردها رغب عن دين الإسلام. وانها لم تكن فلتة[١].

وكان من بين من ترددوا عليه عليه السلام ليرضى بأن يبايعوه: طلحة والزبير، وكانت بيعته عليه السلام قد تمت بعد مقتل عثمان بخمسة أيام[٢].

وبعد البيعة بدأ أمير المؤمنين عليه السلام بالعمل وتنظيم الأمور والولايات.

---

(١) راجع الأخبار الطوال للدنيوري ص ١٤٠ وذكر إبن حنبل في الفضائل المخطوط رواية مماثلة ص ٦٢.

(٢) رواية المدائني في كتابه مقتل عثمان.

ليعيد للدولة الإسلامية التي سن نظمها رسول الله ﷺ وفقاً لتعاليم السماء، رونقها وعدلها.

فاعلتى عليه السلام المنبر وخطب في الناس. وقال بعد حمد من لا يحمد سواه والثناء عليه بما هو أهل له سبحانه.

«ثم جئتموني فطلبتم إليّ وأنا رجل منكم. لي مالكم وعلي ما عليك..

الا لا يقول رجل منكم قد غمرتهم الدنيا فاتخذوا العقار. وفجروا الأنهار. وركبوا الخيول الفارهة، واتخذوا الوصائف الروقة، فصار ذلك عليهم عاراً وشناراً، إذا منعتهم ما كانوا يخوضون فيه. واصرتهم إلى حقوقهم التي تعلمون. فينقمون ذلك ويستنكرون. ويقولون: حرمنا ابن أبي طالب حقوقنا..».

ثم قال عليه السلام: (ايما رجل استجاب لله وللرسول، فصدق مثلنا. ودخل ديننا. واستقبل قبلتنا، فقد استوجب حقوق الإسلام وحدوده. فأنتم عباد الله، والمال مال الله. يقسم بينكم بالسوية، لا فضل لأحد على أحد. وللمتقين غداً حسن الجزاء، وأفضل الثواب...

وإذا كان غد إن شاء الله. فاغدقوا علينا. فإن عندنا مالاً نقسمه فيكم. ولا يتخلفن احد منكم. عربي أو أعجمي. كان من أهل العطاء أو لم يكن. إذا كان مسلماً حراً حضر.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم).

هكذا بدأ أمير المؤمنين عليه السلام، أراد أن يعيد ما قد نسي من أن المسلمين سواسية كأسنان المشط، سواسية في الحقوق وفي الواجبات، كما هم سواسية عند وقوفهم بين يدي الخالق جل جلاله، لا فضل لأحد على أحد الا بالتقوى. والتي جزاؤها على الله تعالى لا بزيادة العطاء.

ولتطبيق هذا المبدأ الإنساني الذي سنه الله تعالى ورسوله الكريم محمد ﷺ، فقد أمر الخليفة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام المسلمين عرباً كانوا أم أعاجم الحضور لتوزيع ما وجد في بيت المال بعد مقتل عثمان.

وتطبيق هذا المبدأ كاف لأن يثير في نفوس من كانوا منتفعين سواء في عهد أبي بكر أو عمر أو عثمان. اعتراض وكلام. ويبقى ذلك متوقف على ما يحمل ذاك الفرد من الإيمان والصدق.

هي سنة الله تعالى ورسوله الكريم أن يكون العطاء بالتساوي. ولكون أمير المؤمنين عليه السلام هو خير من ترك رسول الله ﷺ بعده. فقد جعل من أوليات اصلاحه هي ارجاع الحق كما فرضه الله تعالى ورسوله.

وفي اليوم التالي. حضرت جموع الناس إلى مسجد رسول الله ﷺ، وباجتماعهم أمر أمير المؤمنين عليه السلام عماراً ان يخرج ما في البيت المال ويعطي كل إنسان من المسلمين ثلاثة دنانير، وأن يدفع له عليه السلام مثلهم ثلاثة...

فمضى عمار وكان معه أبو الهيثم وجماعة من المسلمين إلى بيت المال. ومضى الإمام عليه السلام إلى مسجد قباء يصلي فيه...

وجد عمار ومن معه أن المال ثلثمائة ألف دينار. ووجدوا الناس مائة ألف. فقال عمار: جاء والله الحق من ربكم.. والله... ما علم بالمال... ولا بالناس... وان هذه آية أوجبت عليكم طاعة الرجل.

ويدأ توزيع المال، وكان الأمر في أن يبدأ العطاء بالمهاجرين ثم الأنصار ثم من حضر من المسلمين..

وهنا بدأت الأمور تستوضح. وبدأت النفوس تظهر على حقيقتها. ولم

يدم الحال طويلاً فقد كفاه يوم أو بعض يوم، وها هو طلحة والزبير وسعيد بن العاص وآخرون قد خلعوا عنهم جلابيب التستر فبدأوا بالجلوس في ناحية من المسجد. ولم يجلسوا عند الإمام. وما هو يوم أو يومين حتى جاءوا لأمير المؤمنين عليه السلام، واعلنوا صراحة اعتراضهم على التوزيع، فأجابهما أمير المؤمنين عليه السلام.

(لقد نقمتما يسيراً، وارجأتما كثيراً، الا تخبراني أي شيء كان لكما فيه حق دفعتكما عنه؟ أم أي قسم استأثرت عليكما به؟ أم أي حق رفعه إليّ أحد من المسلمين ضعفت عنه أم جهلته؟ أم اخطأت به؟

والله. ما كانت لي في الخلافة رغبة. ولا في الولاية أربة. ولكنكم دعوتموني إليها. وحملتموني عليها. فلما افضت إليّ نظرت إلى كتاب الله وما وضع لنا وأمرنا بالحكم به فاتبعته، وما استسن النبي صلى الله عليه وآله فاقتديته، فلم أحتج في ذلك إلى رأيكما، ولا رأي غيركما، ولا وقع حكم جهلته فاستشيركما واخواني المسلمين. ولو كان ذلك لم أرغب عنكما، ولا عن غيركما.

أما ما ذكرتماه من أمر الأسوة، فإن ذلك أمر لم احكم انا فيه برأيي، ولا وليته هوى مني، بل وجدت أنا وانتما ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله قد فرغ منه، فلم احتج اليكما فيما قد فرغ الله من قسمته، وامضى فيه حكمه. فليس لكما والله عندي. ولا لغيركما في هذا عتبي، أخذ الله بقلوبنا وقلوبكم إلى الحق، والهمنا واياكم الصبر.

ثم قال عليه السلام: رحم الله رجلاً رأى حقاً فاعان عليه، أو رأى جوراً فرده، وكان عوناً بالحق على صاحبه).

هذه هي السنة التي فرضها الله ورسوله، وعلي خير من انتهج هذه السنة وطبقها. ولو كان الناس له مطيعين لأكلوا من بين أيديهم ومن خلفهم.

ولغطتهم بركة الله تعالى، ولكن... إن للإنسان عدو له بالمرصاد.

الإبن الأكبر: وما كان من أمر الناس بعد ذلك يا أبي؟

الأب: هذا يدعونا للحديث عن سيرة أمير المؤمنين عليه السلام في فترة خلافته؟

الإبن الأوسط: حدثنا عنها يا أبي.

الأب: يوم غد إن شاء الله يا ولدي.

«اليوم التاسع عشر»

«بداية الفتن»

كان الأبناء متواجدين حول أبيهم منذ ان اتخذ موقعه في غرفته، الا أنه لم يبدأ حديثه بعد. وإنما كانت جلسته جلسة عائلية والحديث فيها عاماً ولا شيء محدد فيه. ثم سادت فترة من الوقت لم يتحدث فيها أفراد أسرة عن شيء، فتحين كبير الأبناء ذلك قائلاً لأبيه: ابتدأ حديثك يا أبي عن خلافة أمير المؤمنين عليه السلام؟

فقال الأب: نعم يا ولدي، ثم تابع قائلاً:

لم يكن لأصحاب الاعتراض على أمير المؤمنين حجة لها وجهة مقبولة. وإنما كانت حجتهم تنحصر في دفاعهم عن ما كانوا يحصلون عليه في خلافة عثمان. وهذا مرفوض أساساً لأن ما حصلوه وما كانوا به منتفعين لم يكن له أي وجه شرعي، وقد تلوت عليكم يا أبنائي رد أمير المؤمنين عليه السلام عليهم.

وإستمروا على ما هم عليه من الخلاف. ففي يوم جاء لأمير المؤمنين عليه السلام نفر منهم وكان من بينهم الوليد بن عقبة فقال مخاطباً أمير المؤمنين عليه السلام قائلاً:

يا أمير المؤمنين، انك وترثنا جميعاً، ونحن اخوانك من بني عبد مناف، ونحن نبايعك اليوم على أن تضع عنا ما أصبناه من مال في يوم عثمان. وان تقتل قتلة عثمان، وانا ان خفناك تركناك والتحقنا بالشام.

فأجابهم أمير المؤمنين عليه السلام قائلاً: أما ما ذكرتم من وتري اياكم، فالحق وتركم.

أما وضعي عنكم ما اصبتم: فليس لي أن أضع حق الله عنكم ولا عن غيركم.

وأما قتلة عثمان، فلو لزمني قتلهم اليوم لقتلهم أمس، ولكن لكم عليّ ان خفتموني أؤمنكم. وان خفتكم أن أسيركم. فما أن سمعوا جواب أمير المؤمنين حتى انحازوا إلى جماعتهم. ودار بينهم حديث.. ثم افترقوا وقد بيّتوا شيئاً..

الإبن الأكبر: ولماذا قالوا لأمير المؤمنين عليه السلام أنه واترهم يا أبي؟

الأب: أعلم يا ولدي أن أمير المؤمنين عليه السلام كان قاتلاً لرؤس الكفر في معارك المسلمين مع المشركين، وهذا ما سبق أن تحدثنا فيه. وأن من قتلوا هناك هم آباء واخوان وعشيرة هؤلاء. ولأن الجاهلية لم تزل في نفوسهم وأعماقهم فهم يعتبرون أن علياً عليه السلام واتراً لهم، وأنه قاتلاً لإخوانهم وعشيرتهم.

الإبن الأكبر: ولماذا قالوا لأمير المؤمنين عليه السلام: انا أن خفناك تركناك والتحقنا بالشام؟

الأب: لأن بالشام معاوية بن أبي سفيان، كان قد أمره عليها عمر بن الخطاب، وفي زمن عثمان أقره عثمان على مكانه ووسع رقعة ولايته. وهو الأموي الذي يعمل من أجل أن يكون له الأمر يوماً ما.

الإبن الأوسط: وهل بقي معاوية على الشام في فترة خلافة أمير المؤمنين عليه السلام يا أبي؟

الأب: لقد سعى أمير المؤمنين عليه السلام منذ الأيام الأولى لخلافته على تنظيم أمور الولايات واختار لكل ولاية رجلاً من أهل الدين والتقوى.

فاستعمل عثمان بن حنيف على البصرة.

وعمار بن حسان على الكوفة، وكانت له هجرة.

وعبيد الله بن العباس على اليمن.

وقيس بن سعد بن عبادة على مصر.

وسهل بن حنيف على الشام.

فأما سهل بن حنيف فإنه لما انتهى إلى تبوك، وهي تخوم أرض الشام، استقبله خيل من معاوية فردوه، فانصرف إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فعلم الإمام عليه السلام أن معاوية قد أعلن المخالفة والعصيان صراحة، وان أهل الشام بايعوه على ذلك[١].

الإبن الأوسط: ولماذا فعل معاوية ذلك؟

الأب: لم يرض معاوية بعزله عن الشام، وهو الذي عمل فيها منذ خلافة عمر وكل خلافة عثمان، وحاك فيها ما حاك من أجل دوام هذا الملك له أن لم يقدر على أن يملك كل أرض الإسلام.

الإبن الأوسط: وما كان من أمره يا أبي بعد ذلك؟

الأب: سنتحدث عن أمره في حينه. أما الآن فدعنا في المدينة. حيث

(١) الأخبار الطوال للدينوري ص ١٤١.

بدأت الفتنة فيها، وكان قائداً لهذه الفتنة طلحة والزبير وقد جعلوا في صفهم أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر.

الإبن الأكبر: وهل كان لهم دوراً حينما هاجت الناس على عثمان يا أبي؟

الأب: نعم يا ولدي، كان لهم دوراً كبيراً.

لقد كان كل من الثلاثة حريص على أن يقتل عثمان، وكان أكثرهم حرصاً هو طلحة بن عبيد الله ثم الزبير[1] أما عائشة فكانت تطلب ذلك أيضاً الا أن مشاركتها كانت بالحديث والكلمة. فمن قول لابن سيرين يقول فيه: لم يكن من أصحاب محمد ﷺ أشد على عثمان من طلحة[2] وروي عن عبد الله بن عباس بن أبي ربيعة أنه قال: دخلت على عثمان فتحدثت عنده ساعة، ثم أخذ بيدي فاسمعني كلام من على بابه، فإذا منهم من يقول: ما تنتظرون به؟ ومنهم من يقول أنظروا عسى أن يراجع، فبينما أنا وهو واقفان إذ مرّ طلحة بن عبيد الله فوقف وقال: أين إبن عديس؟ فقيل ها هو ذا، قال فجاءه إبن عديس. فناجاه بشيء. ثم رجع إبن عديس، فقال لأصحابه: لا تتركوا أحداً يدخل على هذا الرجل ولا يخرج من عنده. فقال عثمان: الهم أكفني طلحة بن عبيد الله. فأنه حمل عليّ هؤلاء والبهم[3].

أما الزبير فطالما كان يحرض الناس على عثمان. فقد روي أنه كان يقول للناس: اقتلوه. فقد بدل دينكم. فقالوا له: ان ابنك يحامي عنه بالباب. فقال:

---

(١) تاريخ ابن سحنة هامش الكامل جـ ٧ ص ١٨٩ وتهذيب التهذيب ٥/ ٢١ ومرآة الجنان لليافعي ١/ ٧٩ والكامل في التاريخ ٣/ ١٠٢ وتاريخ ابن خلدون ٢/ ٣٩٧ والإصابة لابن حجر ٢/ ٢٣٠ وتاريخ ابن كثير ٧/ ٢٤٧ وطبقات ابن سعد ٥/ ٢٥ وغيرهم.

(٢) اخرجه البلاذري في الإنساب ٥/ ٨١ وذكره ابن عبد ربه في العقد الفريد.

(٣) الطبري حـ ٥/ ١٢٢ وابن الأثير ٣/ ٧٣.

ما أكره ان يقتل عثمان ولو بدىء بإبني، ان عثمان لجيفة على السراط غداً[1].

أما أم المؤمنين عائشة: فقد روي: حينما بلغها قتل عثمان وهي بمكة قالت: أبعده الله. ذلك بما قدمت يداه. وما الله بظلاّم للعبيد. وكانت تقول أيضاً: أبعده الله. قتله ذنبه، واقاده الله بعمله، يا معشر قريش لا يسومنكم قتل عثمان كما سام أحمر ثمود قومه. ان أحق الناس بهذا الأمر ذو الأصبع (تعني به إبن عمها طلحة. إذ كانت إصبعه شلاء).

وحينما عزمت الرجوع من مكة إلى المدينة لقيها في طريقها عبيد بن أم كلاب، فقالت له: مهيم. (أي ما وراءك). قال: قتلوا عثمان. ثم مكثوا ثمانياً، قالت: ثم صنعوا ماذا؟ قال: اخذها أهل المدينة بالإجماع. فجازت بهم الأمور إلى خير مجاز. اجتمعوا إلى علي بن أبي طالب، فقالت: والله، ليت هذه انطبقت على هذه إن تم الأمر لصاحبك. ويحك. أنظر ما تقول؟ قال: هو ما قلت لك يا أم المؤمنين. فولولت، فقال لها: ما شأنك يا أم المؤمنين؟ والله لأعرف بين لابتيها أحداً أولى بها منه، ولا أحق، ولا أرى له نظيراً في جميع حالاته. فلماذا تكرهين ولايته[2].

صاحت حينها: ردوني.. فإنصرفت إلى مكة وهي تقول: قتل عثمان مظلوماً، والله لأطلبنّ بدمه فقال لها ابن كلاب: ولِمَ. فوالله ان أول من أمال حرفه لأنت. فلقد كنت تقولين: اقتلوا نعثلاً فقد كفر[3]. قالت: انهم استتابوه ثم قتلوه. وقد قلت. وقالوا. وقولي الأخير خير من قولي الأول...

---

(١) شرح النهج لإبن أبي الحديد حـ ٢ ص ٤٠٤، وراجع ما جاء في شأن طلحة والزبير وعثمان في حـ ١ ص ١٠٣ وحـ ٢ ص ٧٧ و٨١ و٥٠٠ و٥٠٦ وحـ ٣ ص ٢٨٩ و٢٩٠.

(٢) روى ذلك كاملاً الطبري حـ ٥ ص ١٧٢ وابن الأثير حـ ٣ ص ٨٠ وكنز العمال ٣ ص١٦١.

(٣) وفي لفظ ابن قتيبة (فقد فجر).

وذكر البلاذري انها قالت: أيها الناس. ان عثمان قتل مظلوماً. والله لاطلبن بدمه. وكانت تقول: يا معشر قريش ان عثمان قد قتل، قتله علي بن أبي طالب. والله لا نمله (أو قالت): لليلة من عثمان خير من علي الدهر كله[1].

الإبن الأكبر: وكيف اجتمع طلحة والزبير بأم المؤمنين عائشة؟

الأب: ما هي إلا أيام على هذه الفتنة حتى جاء طلحة والزبير إلى أمير المؤمنين عليه السلام وقالا له: (انك جعلت حقنا في القسم كغيرنا. وسويت بيننا وبين من لا يماثلنا فيها ما افاء الله تعالى باسيافنا ورماحنا. واوجفنا عليه. بخيلنا ورجلنا. وظهرت عليه دعوتنا واخذناه قسراً قهراً ممن لا يرى الإسلام الا كرها).

فرد عليهما أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

أما القسم والأسوة: فإن ذلك أمر لم احكم فيه بادىء بدء، وقد وجدت أنا وأنتما رسول الله صلى الله عليه وآله يحكم بذلك. وكتاب الله ناطق به. وهو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

وأما قولكما: جعلت فيئنا وما افاءته سيوفنا ورماحنا سواء بيننا وبين غيرنا: فقديماً سبق إلى الإسلام قوم. ونصروه بسيوفهم ورماحهم. فلا فضلهم رسول الله صلى الله عليه وآله. بالقسم، ولا أثر بالسبق، والله سبحانه موفق السابق والمجاهد يوم القيامة بأعمالهم. وليس لكما والله عندي ولا لغيركما الا هذا.

أخذ الله بقلوبنا وقلوبكم إلى الحق، والهمنا وإياكم الصبر...

ولم يكتفوا بهذا الرد. وإنما بقت اطماعهم تؤملهم... وفي يوم آخر جاءوا لأمير المؤمنين وقالا له: لنا قرابة من نبي الله، وسابقة وجهاد، وانك

---

(١) انساب البلاذري حـ ٥ ص ٩١.

اعطيتنا بالسوية، ولم يكن عمر ولا عثمان يعطوننا بالسوية، كانوا يفضلوننا على غيرنا.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام لهم:

فهذا قسم أبي بكر، والا تدعوا أبا بكر وغيره، وهذا كتاب الله فانظروا ما لكم من حق فخذوه.

قالوا: فسابقتنا.

قال عليه السلام: انتما اسبق مني؟ قالا. لا.

فقرابتنا؟

قال عليه السلام: أقرب من قرابتي؟ قالا: لا.

فجهادنا؟

قال عليه السلام: اعظم من جهادي؟ قالا: لا.

قال عليه السلام: فوالله، ما أنا في هذا المال وأجيري الا بمنزله سواء.

وهنا يئسا من الزيادة في العطاء، فبيتا أمراً، ثم أقدما عليه، فإستأذنا أمير المؤمنين عليه السلام بالتوجه إلى مكة، فأذن لهما، وهو عالم بما كان يجول في صدورهما.

فاجتمعا بأم المؤمنين عائشة في مكة، ولحق بهما جمع من بني أمية، واجتمع شملهم. وبانت نواياهم، واتفقوا على أن يعلنوا الثأر لعثمان. لأنها الحجة الرائجة، والتي لها انصار من البسطاء من المسلمين والعامة ومن تُشترى ذممهم.

فاشترى يعلي بن منبه أربعمائة بعير ونادى في الناس: «من خرج لطلب دم عثمان فعليّ جهازه».

واتجه الجمع الناكث نحو البصرة. بعد أن كان رأي البعض التوجه إلى

الشام حيث معاوية بن أبي سفيان. وبها الرجال والأموال.

فقال لهم يعلي بن منبه: ان معاوية قد سبقكم إلى الشام وفيها الجماعة. أفرأيتم إن دفعكم عن الشام، أو قال: اجعلها شورى، اتقاتلونه؟ أم تجعلوها شورى وتخرجا منها.

فعلما أن لا نصيب لهما إن هما توجها إلى الشام...

ومن دهاء معاوية أن بعث بكتاب منه إلى الزبير قال له فيه: لعبد الله الزبير أمير المؤمنين. من معاوية بن أبي سفيان.

سلام عليك. أما بعد.

فإني قد بايعت لك أهل الشام فأجابوا واستوسقوا كما يستوسق الحلب. فدونك الكوفة والبصرة. لا يسبقك إليها إبن أبي طالب، فإنه لا شيء بعد هاذين المصريين وقد بايعت لطلحة بن عبد الله من بعد. فأظهر الطلب لدم عثمان. وادعو الناس إلى ذلك وليكن منكما الجد الجد والتشمير[1].

الإبن الأكبر: وهل كان معاوية يفعل ذلك يا أبي؟

الأب: إنها لعبة ودهاء من معاوية، فهو يعلم أن الرجلين طامعان، فزاد من أطماعهما ليقفا في وجه أمير المؤمنين عليه السلام، فإن انتصر عليه فهو قادر على الخلاص منهما لكونه ما يزال بقوته وبجيشه، ويكون قد انتهى من أمير المؤمنين عليه السلام، وإن انتصر عليهما أمير المؤمنين عليه السلام فسيكون جيشه قد انهك، وحينها يستطيع أن يصمد أمامه ولا تنتهي آماله واطعامه.

الإبن الأكبر: وماذا حصل من شأن طلحة والزبير في البصرة؟

الأب: سنتحدث عن ذلك يوم غد إن شاء الله.

---

(١) الإمام علي العبد الفتاح عبد المقصود جـ ٢ ص ٣٠٧.

«اليوم العشرون»

«اشتعال الفتيل»

كان اجتماعهم مبكراً هذا اليوم وبدؤهم الحديث كذلك، وكان كل منهم يحمل من الرغبة للحديث وسماعه شيئاً كبيراً، ولذلك فقد تهيأ مبكراً.

قال الأب: اجتمع شمل بني أمية وطلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة ومن تبعهم حباً أو طمعاً وتوجهوا نحو البصرة، وهم في طريقهم إليها. وصلوا ماء هناك يدعى بماء الحوأب.. فنبحتهم كلابه، ثم أكثرت نباحها... فقال قائل منهم وكان قريباً من عائشة: ما أكثر كلاب الحوأب.. وما أشد نباحها.. فسمعت عائشة كلام الرجل.. فذكرها بشيء.. فارتهبت وخافت... ثم لم تستطع الإستمرار من خوفها. فصاحت: ردوني... ردوني... إنا لله وإنا إليه راجعون... إني لهي، نعم إني لهي...

فانشغلوا من تصرفها هذا. ومن دعوتها لهم أن يردوها.. فاستعلموا منها خبر ذلك فقالت: سمعت رسول الله ﷺ، وعنده نساءه، فقال: ليت شعري ايتكن صاحبة الجمل الأذيب، تخرج فتنبحها كلاب الحوأب. يقتل عن يمينها ويسارها قتلى كثير... تنجو بعدما كادت تقتل[1].

---

(١) مثله روي عن ابن عباس أخرجه البزار وأبو نعيم وذكره ابن حجر في الصواعق ص ١١٩.

ثم كررت قولها وصياحها. ردوني.. ردوني..

فوجد طلحة والزبير ان مخططهم سيفشل برجوع عائشة. ولا بد من ثنيها عن الرجوع، فلم يجدوا طريقاً سوى الكذب... نعم الكذب. لأنهم حاولوا معها أن لا تفكر بالرجوع لأن في هذا فشل مسعاهم فأبت الا الرجوع، فما المانع عندهم ان يأتي بأحد ويقسم لها بأن هذه المنطقة ليست الحوأب. ولا هذه الكلاب بكلاب الحوأب.

فصدقتهم وهي تعلم أنهم كاذبين، فحديث الرسول واضح لا غشاء عليه، وليته هو وحده. وإنما هناك أحاديث غيره:

فقد روي عن أم سلمة قالت: ذكر رسول الله ﷺ خروج أمهات المؤمنين. فضحكت عائشة فقال ﷺ: انظري يا حميراء ان لا تكوني أنت... ثم التفت إلى علي عليه السلام فقال: ان وليت من أمرها شيئاً فأرفق[1].

ثم تابعت عائشة المسير، وتابع معها طلحة والزبير وهم يحملون في أعماقهم أماني وأحلام اولدتها لهم اطماعهم في الدنيا. وحبهم لما فيها من بهجة ومتاع.

الإبن الأكبر: وماذا كان من أمر أمير المؤمنين عليه السلام يا أبي؟ هل جهز جيشه لحربهم؟ أم ماذا؟

الأب: لم يكن هم علي عليه السلام الحرب أو القتال. فهذه قد اعتادها منذ كان صبياً. وإنما المهم عنده هو اصلاح شأن الناس وأفكارهم وطريقة تعبدهم... كان يريد من الناس أن يكونوا مسلمين صادقين. قولاً وفعلاً. صادقين في التعامل. صادقين في الإيمان، صادقين في تعبدهم وخشوعهم لله جل جلاله. لا اطماع، ولا أماني، ولا أحلام سوى الطمع بعفو الله.

---

(١) أخرجه الحاكم، وصححه البيهقي عن أم سلمة. وذكره إبن حجر في الصواعق ص ١١٩.

والأماني في رضاه. والحلم في نيل جنته وثوابه.

وبعد أن يأس أمير المؤمنين من طلحة والزبير ومن ناصرهم وشايعهم. وعرف أنهم ركبوا رؤوسهم ولم ينتبهوا لشيء. ما كان منه عليه السلام الا أن أمر الناس أن يتجهزوا للمسير إلى البصرة. لمقاضات من نكثوا بيعة أمير المؤمنين عليه السلام.

وقبل الخروج أمر عليه السلام منادياً ينادي الصلاة جامعه، فاجتمع الناس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله. وصعد عليه السلام المنبر وخطب فيهم فقال:

«بايعني هذان الرجلان (يعني طلحة والزبير) في أول من بايع. وتعلمون ذلك، وقد نكثا وغدرا، ونهضا إلى البصرة بعائشة ليفرقا جماعتكم، وليلقيا بأسكم بينكم.

أللهم فخذ بما عملا أخذة واحدة رابية، ولا تنعش لهما ضرعة، ولا تقلهما عثرة، ولا تمهلهما فواقاً. فإنهما يطلبان حقاً تركاه. ودماً سفكاه. أللهم إني اقتضيك وعدك. فأنت قلت وقولك الحق: (ثم بغي عليه لينصرنه الله...). أللهم أنجز موعدي. ولا تكلمني إلى نفسي، إنك على كل شيء قدير».

وكما قال أمير المؤمنين عليه السلام حينما لمس منهم الطمع والجفاء والمخالفة: إني أريدكم لله. وأنتم تريدونني لأنفسكم.

أيها الناس، أعينوني على أنفسكم. وأيم الله، لأنصف المظلوم من ظالمه، ولاقودن الظالم بخزانته حتى أورده منهل الحق وإن كان كارهاً[1].

الإبن الأكبر: وما يريدون منه أكثر من ذلك يا أبي: فهو يريدهم لله. وهل يجدون خيراً من علي عليه السلام يسير بهم إلى الجنة، ولماذا لم يعينوه يا أبي

(١) نهج البلاغة محمد عبده حـ ٢ ص ٢٦.

وهو الذي لا يقدم ولا يؤخر الا ما كان الله تعالى راضياً به، وهل يجدون أعلم من علي عليه السلام عالماً بالكتاب والسنّة. وعاملاً بهما.

الأب: كل إنسان يا ولدي يعرف إن شريعة الله حق جاء بها محمد صلى الله عليه وآله من عند خالق الخلق. وحينما يرتكب الإنسان خطأ لا يرتكبه الا بفعل الشيطان وغروره، وتزيينه للأفعال بإبداء كونها حسنة ونتائجها طيبة. فإن وعظ ولم يتعظ فمعنى ذلك أن هناك إصراراً منه على ارتكاب الخطأ، وقد وعظ الإمام عليه السلام كل من اشترك في حرب الجمل، وألقى عليهم الحجة تلو الأخرى، لكي لا يكون لهم حجة يوم القيامة يحتجون بها، ومع كل ذلك فلم ييأس أمير المؤمنين عليه السلام بل حتى في ساحة القتال وقد تهيأ الكل راح عليه السلام يعظهم فلم يجد الا إصراراً على الخطأ وتأكيداً على العدوان.

الإبن الأكبر: حينما جاء طلحة والزبير بالجيش هل دخلوا البصرة يا أبي؟

الأب: حينما اشرف جيشهم على البصرة. كان والياً عليها عثمان بن حنيف عامل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. وما إن علم بمقدمهم حتى بعث إليهم أبا الأسود الدؤلي فكلم عائشة أولاً ثم طلحة ثم الزبير فلم يجد منهم غير الإصرار والعناد، وكان من بين حديثه مع الزبير قوله مذكراً إياه بيوم السقيفة حينما كان الزبير قابضاً سيفه ويقول: لا أغمد سيفي إلا أن يبايع لعلي، ثم قال أبو الأسود له: وأين هذا المقام من ذاك؟

فقال الزبير: نطلب بدم عثمان. قال له أبو الأسود: انك وصاحبك وليتماه فيما بلغنا[1].

رجع أبو الأسود إلى البصرة وأخبر ابن حنيف خبرهم. فجمع ابن حنيف

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد حـ ٢ ص ٨١.

الناس وخطب فيهم قائلاً:

أيها الناس. إنما بايعتم الله. يد الله فوق أيديهم. فمن نكث فإنما ينكث على نفسه. ومن أوفى بما عاهد الله عليه فسيؤتيه أجراً عظيماً، والله. لو علم علي أحداً أحق بهذا الأمر منه ما قبله، ولو بايع الناس غيره لبايع وأطاع. وما به إلى أحد من صحابة رسول الله ﷺ حاجة. وما بأحد عنه غنى. ولقد شاركهم في محاسنهم. وما شاركوه في محاسنه.

ولقد بايعه هذان الرجلان وما يريدان الله. فاستعجلا الفُطام قبل الرضاع. والرضاع قبل الولادة، والولادة قبل الحمل. وطلبا ثواب الله من العباد. وقد زعما أنهما بايعا مستكرهين. فإن كانا استكرها قبل بيعتهما وكانا رجلين من عرض قريش لهما أن يقولا ولا يأمرا. الا وان الهدى ما كانت عليه العامة. والعامة على بيعة علي عليه السلام، فما ترون أيها الناس؟

فقال حكيم بن جبلة: نرى إن دخلا علينا قاتلناهما. وان وقفا تلقيناهما. والله. ما أبالي أن اقاتلهما وحدي. وإن كنت أحب الحياة. وما أخشى في طريق الحق وحشة ولا غيرة. ولا غشاً ولا سوء منقلب إلى البعث. وأنها لدعوة قتيلها شهيد. وحيها فائز. والتعجيل إلى الله قبل الأجر خير من التأخير في الدنيا. وهذه ربيعة معك... (١)

ولم يبق جيش الجمل خارجاً، وإنما أرادوا الإستيلاء على البصرة. فدار بينهم وبين أهل البصرة قتال ومصادمات. وقتل الكثير وجرح مثلهم. ثم كانت بينهم هدنة. وكان بينهم صلح في كتاب وقعه الطرفان نصه:

هذا ما اصطلح عليه عثمان بن حنيف الأنصاري ومن معه من المؤمنين من شيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وطلحة والزبير ومن معهما

---

(١) الإمامة والسياسة جـ ١ ص ٦٤.

من المؤمنين والمسلمين من شيعتهما، أن لعثمان إبن حنيف دار الإمارة والرحبة والمسجد وبيت المال والمنبر. وان لطلحة والزبير ومن معهما ان ينزلوا حيث شاءوا من البصرة. ولا يضار بعضهم بعضاً في طريق ولا فرضة ولا سوق ولا شريعة. ولا مرفق حتى يقدم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، فإن احبوا دخلوا في ما دخلت الأمة، وان احبوا لحق كل قوم بهواهم وما احبوا من قتال أو سلم أو خروج أو إقامة، وعلى الفريقين بما كتبوا عهد الله وميثاقه. وأشد ما أخذه على نبي من أنبيائه من عهد وذمة.

وختم الكتاب. ووقع من الطرفين.

الإبن الأكبر: وهل صان كل طرف من الأطراف العهد والميثاق الذي ألزم نفسه به؟

الأب: هناك جملة من العهود والمواثيق كان طلحة والزبير قد ألزما به نفسيهما ثم نقضاه يا ولدي. ومنها العهد الذي أخذه كل مسلم على نفسه في أن يعمل بما جاء به الدين الحنيف. ولا يخرج عن القرآن والسنة. وهما لم يعملا به، وعهداً آخر الزما نفسيهما به يوم بايعا أمير المؤمنين عليه السلام، فاخلا بالعهد هذا أيضاً ونقضا البيعة، وهنا وبعد أن تعهدا مع عثمان بن حنيف وكتبا بينهما هذا الكتاب. وإذا بهما خانا العهد، وهجموا على عثمان بن حنيف غيلة. في ليلة مظلمة ذات ريح وبرد ومطر، فأسروه ونكلوا به وأمروا بنتف لحيته وشعر رأسه وحاجبيه. وطردوه من المدينة بعد أن سيطروا عليها وقتل من قتل دفاعاً عنها. وقتل حكيم بن جبلة وإخوته، فلحق عثمان بن حنيف بعلي عليه السلام.

وفي الصباح. جاء طلحة والزبير إلى المسجد لصلاة الصبح. فتنازعا بينهما فيمن يصلي بالناس، وتدافعا بينهما وإستمرا بهذا الشكل حتى كادت الشمس أن تشرق. فصاحت الناس: الله الله يا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله في

الصلاة نخاف فوتها . . .

الإبن الأكبر: وماذا كان من أمر أمير المؤمنين عليه السلام حينما شاهد إبن حنيف يا أبي؟

الأب: جاء عثمان بن حنيف إلى أمير المؤمنين يبكي على نفسه كيف أهينت. وعلى كرامته كيف استبيحت. فما إن رآه أمير المؤمنين عليه السلام حتى بكى. وقد آلمه ما جرى على عثمان بن حنيف. والذي آلمه أكثر أن ما جرى له قام به صحابيان من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله، سمعا من رسول الله صلى الله عليه وآله ما سمعا من القرآن والحديث. وتعلما منه وهو يتعامل مع الناس. كل الناس. سيدهم ووضيعهم، كان صلى الله عليه وآله يحترم الكبير ويعطف على الصغير. ويرعى كل محتاج للرعاية. وها هم أصحابه يتصرفون الآن بالضد لما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يتصرف به.

فقال عثمان بن حنيف لأمير المؤمنين عليه السلام: فارقتك شيخاً، وجئتك امرداً. فقال علي عليه السلام له: إنا لله وإنا إليه راجعون[1].

الإبن الأوسط: لم تذكر لنا يا أبي شيئاً عن جيش أمير المؤمنين عليه السلام بعد؟

الأب: كان جيش أمير المؤمنين قد خرج من المدينة لقتال من نكث البيعة، واحتج أمام العامة بالثأر لعثمان من الذين قتلوه.

كان مع الإمام أمير المؤمنين خيرة الصحابة ووجوههم، ومن المشاركين في حروب رسول الله صلى الله عليه وآله في بدر وحنين والخندق وخيبر . . . ودنا الجيش من البصرة. وقابله أصحاب الجمل.

عقد أمير المؤمنين الألوية والرايات. وجعلها سبع رايات. عقد لحمير

---

(١) شرح النهج ٢ ص ٥٠ وكتاب الإمام علي عليه السلام لعبد الفتاح عبد المقصود جـ ٣ ص ٩٧.

راية. . وولى عليهم سعيد بن قيس الهمداني. وعقد لمذحج والأشعريين راية. وولى عليهم زياد بن النضر الحارثي. ثم عقد لطيء راية. وولى عليهم عدي بن حاتم الطائي. وعقد لقيس وعبس وذبيان راية. وولى عليهم سعد بن مسعود الثقفي. وعقد لكندة وحضرموت وقضاعه ومهرة راية. وولى عليهم حجر بن عدي الكندي. وعقد للأزد وبجيلة وخثعم راية وولّى عليهم مخلف بن سليم الأزدي. وعقد لبكر وتغلب وافناء ربيعة راية. وولى عليهم محدوج الذهلي. وعقد لسائر قريش والأنصار من أهل الحجاز راية. وولى عليهم عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، وكان على الرجالة جندب بن زهير الأسدي[1].

وكما علمه رسول الله ﷺ، لم يدخر أمير المؤمنين عليه السلام وسعاً في النصح والتذكير والترغيب والترهيب، بغية فض النزاع والرجوع إلى العقل والهدى، الا أن القوم كانوا قد منوا أنفسهم بالنصر والفوز بما زين لهم الشيطان احلامهم من زينة الحياة وما فيها من متاع وقصور وأموال. وهذا ما كانوا قد آمنوا به من الفوز. ولم يمرّ ببالهم أن رضى الله هو الفوز العظيم. وأن ثوابه وجزاءه غاية منى المؤمن المسلم.

ثم عرض الإمام عليه السلام عليهم الاحتكام إلى كتاب الله العزيز. الدستور الذي يحتكم إليه كل مسلم. أو ان يحتكموا إلى الفئة التي اعتزلت الطرفين المتنازعين، فلم يرضوا بالكتاب حكماً ولا بمن اعتزل الجانبين.

الإبن الأكبر: وكيف عرض أمير المؤمنين عليه السلام عليهم ذلك يا أبي؟

الأب: كان الإمام عليه السلام قد أرسل إلى طلحة والزبير كتاب مع عمران بن الحصين الخزاعي قال لهما فيه:

---

(١) الأخبار الطوال للدنيوري ص ١٤٦.

«أما بعد، فقد عرفتما وان كتمتما إني لم أرد الناس. حتى أرادوني. ولم أبايعهم حتى بايعوني، وإنكما ممن أرادني وبايعني. وإن العامة لم تبايعني لسلطان غالب. ولا لعرض حاضر. فإن كنتما بايعتماني طائعين فارجعا وتوبا إلى الله من قريب. وإن كنتما بايعتماني كارهين، فقد جعلتما لي السبيل بإظهاركما الطاعة. وإسراركما المعصية، ولعمري ما كنتما باحق المهاجرين بالتقية والكتمان بعد إقراركما به.

وقد زعمتما أني قتلت عثمان، فبيني وبينكما من تخلف عني وعنكما من أهل المدينة ثم يلزم كل امرىء بقدر ما احتمل. فارجعا أيها الشيخان عن رأيكما. فإن الآن اعظم رايكما العار، من قبل ان يجتمع العار والنار، والسلام[1].

ومن كتاب لهعليه السلام إلى طلحة والزبير وعائشة، قال فيه ما يخص عائشة:

ثم انك طلبت على زعمك دم عثمان، وما أنت وذاك؟ عثمان رجل من بني أمية. وأنت من تيم، ثم بالأمس تقولين في ملأ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله: اقتلوا نعثلاً، قتله الله. فقد كفر.

ثم تطلبين اليوم بدمه، فاتقي الله وارجعي إلى بيتك. واسبلي عليك سترك. والسلام. وفي مرة أخرى، أرسل كتاب الله تعالى بيد شاب من أنصاره. وطلب منهم التحكيم إلى كتاب الله. فرشقوه بوابل من النبل وأردوه قتيلاً.

ومنها عرف ان لهم إصرار على القتال قادهم إليه عدوهم وعدو جميع بني آدم فانقادوا له دون وعي منهم. وصمموا على الحرب. وهان عليهم كل

---

(١) راجع كتاب المقامات في مناقب أمير المؤمنينعليه السلام للاسكافي. ونهج البلاغة محمد عبده جـ ٥ ص ٥٤٠.

شيء غير الفوز بها. ولم يردعهم رادع ولا وازع، وكيف يرتدعون وآذانهم عليها وقرا، وعيونهم عليها غشاوة.

الإبن الأوسط: فبدأت الحرب بينهم بعد ذلك يا أبي؟

الأب: نعم يا ولدي بدأت بعد أن طلب أمير المؤمنين مخاطبة الزبير. مما جعل من الزبير أن ينسحب من هذه الحرب.

الإبن الأكبر: وكيف ذلك يا أبي؟

الأب: سنتحدث عن ذلك وعن الحرب التي قامت بينهم يوم غد إن شاء الله.

«اليوم الحادي والعشرين»

«الجمل»

مرت ساعات هذا اليوم والأب محمد دائم التفكير فيما حدث في الأمة الإسلامية من الإنقسام والاختلاف. وفكر كثيراً في أسبابه ودواعيه، والذي آلمه أكثر هو عدم إدراك المسلمين لأسبابه الحقيقية والدواعي التي دعت له. مما حدى بالكثيرين من أطراف هذا الاختلاف في الطعن في غيرهم، وأحياناً كان الطعن قاسياً ومريراً.

ولو علم المسلمون أسبابه الحقيقية لأدركوا أنهم كانوا مخطئين في كثير من الأمور. وصاروا تابعين لأطراف أوجدت هذا الاختلاف لأمر ما في نفوسهم. وهو بعيد كل البعد عن تعاليم الدين وأحكام السماء.

ولو أردنا معرفة البداية التي أوجدت الاختلاف لكان لزاماً علينا أن نسترجع أحداث التاريخ والسنة النبوية إبتداءً من حياة رسول الله ﷺ وإنتهاء إلى يومنا هذا.

ففي حياة رسول الله ﷺ كان كثيراً ما يوصي الأمة الإسلامية بعدم الاختلاف، ولم يتركهم أصحاب المصلحة يتفحصون الأحداث ليتعرفوا من

خلالها أن كانوا مختلفين أم لا رغم ما وضعت لهم من قواعد يتعرفوا من خلالها أنهم اختلفوا.

وما كان مراده ﷺ اختلافهم في الرأي في حكم من الأحكام التي لم تستبن معالم أحكامها في القرآن والسنة، وإنما اختلافهم عن النهج الذي رسمه الله تعالى ورسوله للمسلمين. ومعلوم ان الاختلاف عن هذا النهج معناه الخروج عن الصراط المستقيم الذي يؤدي بالجميع إلى الجنة.

والقاعدة التي وضعها رسول الله ﷺ لهذا النهج كانت في أقوال عدة له ﷺ ومنها على سبيل المثال لا الحصر.

إني تركت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي آل بيتي. ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً.

وحديثه ﷺ الشريف هذا واضح الغايات، وواضح الأوامر. فهو ﷺ يريدنا أن نتمسك بثقلين لا غير: كتاب الله وعترته آل بيته، ثم جاء تأكيد منه ﷺ بقوله: ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً، وهذا يعني أن الهداية في التمسك بكتاب الله وآل بيت نبيه محمد ﷺ. وما عدا ذلك فهو ظلال. والظلال كما يعلم الجميع يؤدي إلى النار.

لو اعتمد المسلمون هذا الحديث وأحاديث أخرى كثيرة غيرة. لعرفوا ان التزام نهج آل البيت هو النهج الوحيد الذي يؤدي بهم إلى السلامة وحسن العاقبة، وإن الخروج عن هذا النهج معناه الاختلاف وتعدد السبل.

وهذا يؤكده قول رسول الله ﷺ المروي عن أبي ليلى إذ قال: قال رسول الله ﷺ: ستكون من بعدي فتنة. فإذا كان ذلك فالزموا علي بن أبي طالب. فإنه الفاروق بين الحق والباطل[1].

---

(١)اخرجه الترمذي والبخاري في صحيحه في فضائل علي عليه السلام ورواه الخوارزمي ص ٥٧ في المناقب.

وقوله ﷺ: كما روي عن الأصبغ قال: سئل سلمان الفارسي عن علي بن أبي طالب عليه السلام وفاطمة عليها السلام فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

عليكم بعلي بن أبي طالب. فإنه مولاكم فأحبوه، وكبيركم فأكرموه، وعالمكم فاتبعوه، وقائدكم إلى الجنة فعززوه، إذا دعاكم فاجيبوه، وإذا أمركم فاطيعوه، أحبوه بحبي، وأكرموه بكرامتي، ما قلت في علي الا ما أمرني ربي جلت عظمته(١).

وقال ﷺ في آل البيت عليهم السلام: لا تتقدموهم فتهلكوا، ولا تتخلفوا عنهم فتهلكوا، ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم(٢).

وهناك أحاديث شريفة غيرها تعلم الناس أي الطريقين أسلم وأي المسالك انجح، وأي العواقب خير.

فما دام الأمر كذلك فلماذا الاختلاف. ولماذا الوقوف بوجه علي عليه السلام الا ان يكون الأمر إصرار على ارتكاب الخطأ.

كل هذه الأمور كان الأب يحدث بها نفسه، وبينما هو كذلك إذ حضر الأبناء، فبادرهم الأب بالقول وهو مبتسم، سنبدأ حديثنا عن معركة الجمل، وسنتحدث عن انسحاب الزبير من هذه الحرب قبل بدئها.

حينما استعد الجانبين لملاقات بعضهم، لم يبدأ أمير المؤمنين قتالهم، وإنما بدأ بإلقاء الحجج عليهم علهم يفيئوا إلى الحق الذي عنه زاغت أبصارهم وقلوبهم. وفي الوقت نفسه كان يوصي قواته ورجاله بضبط النفس وعدم العجلة في القتال، فمن وصية له عليه السلام لجيشه: «لا تبدأوا القوم حتى

---

(١) مقتل الحسين للخوارزمي حـ ١ ص ٤١.
(٢) الجامع الصغير للسيوطي حـ ٢ ص ١٣٢ ومسند أحمد حـ ٣ ص ١٧ وحـ ٤ ص ٣٦٥ ورواه إبن حجر في الصواعق ص ١٣٠ و٢٢١.

يبدأوكم. . . لا تجهزوا على جريح. . . ولا تتبعوا مدبراً ولا تكشفوا عورة، ولا تمثلوا بقتيل. ولا تهتكوا ستراً. ولا تدخلوا داراً. ولا تأخذوا من أموالهم شيئاً، ولا تهيجوا امرأة بأذى وان شتمن اعراضكم. وسببن امراءكم وصلحاءكم، فانهن ضعاف القوى والأنفس والعقول».

هذه هي تعاليم الإسلام في قتال الفئة الباغية والقاسطة والمارقة، وبها كان علي عليه السلام يوصي جيشه، ويؤكد عليهم الإلتزام وعدم الخروج عن نهج الدين الحنيف.

وتهيأ الجانبان للقتال. وإذا بالجمل يحف به قوم كثير. . . جعلوا من أم المؤمنين حجة لهم لشد عزيمة أصحابهم، وما فكر أي واحد منهم في أمر صاحبة الجمل. أو في أمر من جلبها معه إن كانوا على النهج الصواب أم ضده.

ونظر أمير المؤمنين عليه السلام إلى القوم، وآلمه خروجهم عن النهج القويم. فنادى بأعلى صوته: إليّ يا طلحة. . . إليّ يا زبير. . .

فخرجا إليه. فصاح بهما صيحة ارتجتْ لها الأرض، وقال: يا طلحة، أخبأت عرسك في البيت، وجئت بعرس رسول الله صلى الله عليه وآله تقاتل بها؟

ثم التفت إلى الزبير وقال:

وأنت يا زبير. أما تذكر يوماً جاء رسول الله صلى الله عليه وآله من عند إبن عوف وأنت معه. وهو آخذ بيدك. فاستقبلته أنا، فسلمت عليه، فضحك في وجهي. فضحكت أنا إليه. فقلت أنت: لا يدع إبن أبي طالب زهوه ابداً.

فقال لك النبي صلى الله عليه وآله: مهلاً يا زبير. فليس به زهو، ولتخرجن عليه يوماً وأنت له ظالم[1].

---

(١) الأخبار الطوال للدينوري ص ١٤٧ واخرج الحاكم قريباً منه. وصححه البهيقي عن أبي الأسود وذكره إبن حجر في الصواعق ص ١١٩ وخالد محمد خالد في خلفاء الرسول.

فقال الزبير: الهم بلا. ولكن نسيت، فأما إذ ذكرتني ذلك فلا نصرفن عنك، ولو ذكرت هذا لما خرجت عليك.

واعتزل الزبير.

وهنا قطع الإبن الأكبر حديث أبيه قائلاً: يا أبي، إذا كان الزبير بخروجه على أمير المؤمنين عليه السلام ظالماً له. فهذا يعني أن طلحة وعائشة ومن معهم كلهم ظالمين له.

قال الأب: نعم يا ولدي وهذا في حكم المنتهى منه.

الإبن: لا أقصد بالنسبة لنا يا أبي. وإنما الذي أقصده، أما قرأ أحد وسَمعَ هذا الحديث الذي دار بين الزبير وأمير المؤمنين عليه السلام.

قال الأب: بالتأكيد سمعوه وقرأوه.

قال الابن: فلماذا لا يقولون الحقيقة في هؤلاء الخارجين على إمام زمانهم.

الإب: كثيرون يا ولدي من يقرأون التاريخ دون تمحيص، وإنما يمرون على العبارات والجمل مرور الكرام، أو أن يكونوا يعرفون الحقيقة ولكن لا يودون التصريح بها. أو هناك أسباب أخرى...

الإبن الأوسط: وماذا حصل يا أبي بعد أن اعتزل الزبير؟

الأب: حاول إبنه عبد الله بن الزبير أن يثنيه عن عزمه، فلم يسمع منه، ثم حاول ان يستفزّه بأن قال له انك جبنت حينما رأيت سيوف بني هاشم، فلم ينفع ذلك أيضاً.

وخرج الزبير، وما إن وصل إلى وادي السباع حتى قتله عمر بن جرموز غيلة[1].

(١) مروج الذهب للمسعودي حـ ٢ ص ٢٤٧.

كان لواء أمير المؤمنين عليه السلام بيد محمد بن الحنفية. وكان أمير المؤمنين في الوسط، وعمار إبن ياسر على الميسرة، ومالك بن الحارث الاشتر على الميمنة(١).

وتهيأ الجميع لخوض المعركة، الا أن أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول لقواده وجيشه: لا تعجلوا على القوم حتى اعذر فيما بيني وبين الله.

ثم توجه إلى أهل البصرة وقال: يا أهل البصرة: هل تجدون عليّ جوراً؟

فقالوا: لا. قال عليه السلام: فحيفاً في قسم؟ قالوا: لا. قال عليه السلام: فرغبة في دنيا أصبتها لي ولأهل بيتي دونكم فنقمتم عليّ فنكثتم بيعتي؟ قالوا: لا. قال عليه السلام: فأقمت فيكم الحدود وعطلتها على غيركم؟ قالوا: لا. قال عليه السلام فما بال بيعتي تنكث. وبيعة غيري لا تنكث؟ إني ضربت الأمر أنفه وعينه، ولم أجد إلا الكفر أو السيف.

ثم التفت عليه السلام إلى أصحابه، وقال: إن الله تبارك وتعالى يقول في كتابه: «وان نكثوا إيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر أنهم لا إيمان لهم لعلهم ينتهون».

ثم قال عليه السلام: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، واصطفى محمداً بالنبوة أنهم أصحاب هذه الآية، وما قوتلوا منذ أن نزلت هذه الآية.

ثم دعا الإمام ابنه محمد بن الحنفية، وقال عليه السلام له: يا بني. هذه الراية ما ردت قط، ولا ترد قط.

ثم لبس درع رسول الله صلى الله عليه وآله وحزم بطنه بعصابة أسفل سرته، ثم قال عليه السلام لإبنه محمد: يا أبا القاسم، قد حملت الراية وأنا اصغر منك. فما استفزني عدوي وذلك إني لم أبارز أحداً الا وحدثتني نفسي بقتله، فحدث

---

(١) الأخبار للدينوري ص ١٤٧.

نفسك بعون الله بظهورك عليهم.

وزحف أصحاب الجمل على جيش الإمام عليه السلام، ورشقوه بوابل من النبال. ولقد بدأوها للمرة الثانية، الأولى حينما قتلوا الشاب الذي رفع لهم كتاب الله وطلب التحكيم فيما بينهم إليه. والثانية هذه. وهنا قال الإمام عليه السلام لولده محمد، تقدم يا ولدي.

فتقدم محمد، ثم وقف بالراية لا يبرح بها. فصاح به الإمام عليه السلام: اقتحم لا أم لك. فحمل محمد بالراية. وحمل معه جيش الإمام عليه السلام، وكان محمد يطعن فيهم طعناً منكراً، فأعجب الإمام فعله. فقال:

اطعن بها طعن أبيك تحمد   لا خير في الحرب إذا لم توقد

قاتل محمد ساعة ثم رجع. فضرب أمير المؤمنين عليه السلام بسيفه فسله، ثم حمل على القوم. حملة علوية هاشمية حيدرية، جال بهم جولة منكرة. وسقطت الأشلاء يميناً وشمالاً، ثم رجع عليه السلام وقد انحنى سيفه فجعل يسويه على ركبته. فقال له أصحابه: نحن نكفيك يا أمير المؤمنين. فلم يجب أحداً حتى سواه، ثم حمل عليهم حملة ثانية فجعل يضرب فيهم يمنة ويسرة، وإنحنى سيفه ثانية، وسواه بركبته، وهو يقول: والله لا أريد بذلك إلا وجه الله والدار الآخرة، ثم التفت إلى إبنه محمد بن الحنفية، وقال: هكذا فأصنع يا بني.

فتقدم رجل من أصحاب الجمل يقال له عبد الله بن بري. فجعل يرتجز ويقول:

يا رب إني طالب أبا الحسن   وكنت ترميه بإيثار الفتن
فاليوم تلقاه علياً فاعلمن   بالضرب والطعن علياً بالسنن[١]

(١) مناقب الخوارزمي ص ١٠٩ ـ ١٢١ تجد تفصيلاً لهذه الحرب.

ثم حمل عليه أبا الحسن عليه السلام فضربه ضربة على وجهه، فرمى بنصف رأسه، وإنصرف إلى أصحابه. ثم قتل بعد ذلك رجلاً من رؤوس البصرة يدعى عبد الله بن خلف، صاحب منزل عائشة بالبصرة.

كان لكل من أصحاب أمير المؤمنين دوراً كبيراً لا ينسى. فهم من خيرة الرجال وأصدق المؤمنين. وهذا يومهم الذي يتمنون فيه ان يقدموا أنفسهم رخيصة لهذا الدين القويم، ويكفي أن نعرف أنهم مالك الأشتر وقيس بن سعد عباده وعمار بن ياسر وعمرو بن الحمق الخزاعي وكان من عباد الكوفة ومعه نساكها[1] ومحمد بن أبي بكر وآخرين.

واشتدت الحرب. وراحت نفوس كثيرة حول الجمل. فقال علي عليه السلام: عرقبوه، فإنه شيطان، فعقروا الجمل. فصاح صيحة منكرة. ووقع، وبادر عمار فقطع انساع الهودج بسيفه[2].

الإبن الأكبر: كم قتيل راح ضحية هذه الحرب يا أبي؟

الأب: روي أن من أصحاب الجمل كان عدد القتلى سبعة عشر ألفاً. ومن أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ألفاً وسبعين. وفي هذه الحرب فقئت عين عدي بن حاتم الطائي[3].

الإبن الأكبر: وكم استمرت حرب الجمل هذه يا ربي؟

الأب: روي أنها أتت على النهار كله، وفي رواية ثانية أنها استمرت ثلاثة أيام.

الإبن الأوسط: ولكن لم تذكر لنا يا أبي من كان منتصراً في هذه الحرب؟

---

(١) الأخبار الطوال ص ١٥٠.

(٢) مناقب الخوارزمي ص ١٢١.

(٣) الأخبار الطوال للدنيوري ص ١٥٠.

الأب: كان النصر يا ولدي من نصيب أمير المؤمنين علي عليه السلام، ألا أنه كان مريراً مؤلماً. راح فيها ناس كثير. ولأجل ذلك حينما مرّ أمير المؤمنين عليه السلام على جثتي طلحة بن عبيد الله وعبد الرحمن إبن عتاب بن أسيد. قال عليه السلام: لقد أصبح أبو محمد بهذا المكان غريباً، أما والله لقد كنت أكره إن تكون قريش قتلا تحت بطون الكواكب.

وعند نهاية المعركة. قال أمير المؤمنين عليه السلام لأصحابه: لا تتبعوا مولياً، ولا تجهزوا على جريح. ولا تنهبوا مالاً، ومن ألقي سلاحه فهو آمن. ومن أغلق بابه فهو آمن.

فاطاعه أنصاره. إذ كانوا يمرون على الذهب والفضة فلا يعرض لهما أحد[1].

ثم قال عليه السلام مخاطباً محمد بن أبي بكر: شأنك بأختك. فلا يدنو منها أحد سواك، ثم أمره بعد ذلك بحمل هو دجها إلى دار عبد الله بن خلف في البصرة. فنزلت عند إمرأته صفية[2].

ثم نادى منادي أمير المؤمنين عليه السلام: من أحب أن يواري قتيله فليواره. وإني شاهد لهم بالوفاء.

ثم أمر عليه السلام ان تنقل أم المؤمنين عائشة إلى المدينة المنورة، واهتم عليه السلام بنفسه على سفرها وتهيئتها. وأرسل معها عشرين إمرأة من نساء عبد قيس. عممهن بعمائم الرجال. وقلدهن السيوف، فلما كانت عائشة ببعض الطريق. ذكرت علياً عليه السلام بما لا يجوز أن يذكر به، وتأففت وقالت: هتك ستري برجاله وجنده الذين وكلهم بيّ.

---

(١) الأخبار الطوال للدنيوري ص ١٥٠.

(٢) نفس المصدر السابق ص ١٥١.

فلما وصلت المدينة، ألقى النساء عمائمهن وقلن لها: إنما نحن نسوة[1].

ثم خرج عليه السلام من البصرة. تاركاً عليها عبد الله بن عباس والياً، وتوجه نحو الكوفة. وكانت إقامته عليه السلام في البصرة خمسة عشر يوماً[2].

الإبن الأكبر: وما حصل بالكوفة يا أبي؟

الأب: سنتحدث عن ذلك في غد إن شاء الله.

---

(١)علي وحقوق الإنسان لجورج جرداق مجلد ١ ص ٧٩.

(٢) الصواعق لإبن حجر ١١٨ والأخبار الطوال للدينوري ص ١٥٢.

«اليوم الثاني والعشرين»

«الكوفة مقر علي عليه السلام»

حينما جلس الأب في غرفته هذا اليوم حضر أبناءه إليه. وطلبوا منه أن يبدأ حديثه. فلم يبد الأب ممانعة وإنما قال لهم: نعم يا أولادي إسمعوا مني حديثي عن انتقال أمير المؤمنين عليه السلام من البصرة إلى الكوفة، حيث صارت مستقرة ومقرة.

كان أمير المؤمنين قد أرسل كتاباً منه إلى أهل الكوفة يعلمهم فيه بما كان من أمر الخليفة عثمان. ثم حثهم على تلبية دعوته لقتال الناكثين. فقال فيه:

أما بعد: فإني أخبركم عن أمر عثمان حتى يكون سمعه كعيانه.

إن الناس طعنوا عليه. فكنت رجلاً من المهاجرين أُكثر إستعتابه، وأقل عتابه. وكان طلحة والزبير أهون سيرهما فيه الوجيف. وأرفق حدائهما العنيف. وكانت من عائشة فيه فلتة غضب، فاتيح له القوم فقتلوه.

وبايعني الناس غير مستكرهين ولا مجبرين، بل طائعين مخيرين.

واعلموا، ان دار الهجرة قد قلعت بأهلها، وقلعوا بها. وجاشت جيش المرجل. وقامت الفتنة على القطب. فأسرعوا إلى أميركم. وبادروا جهاد عدوكم. إن شاء الله.

وأرسل عليه السلام محمد بن أبي بكر ومحمد بن الحنفية إلى الكوفة، وفي

رواية أنه عليه السلام بعث محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر الطيار، بعثهم لاستنفار الناس هناك. وكان فيها يومذاك أبا موسى الأشعري، وعند وصول كتاب أمير المؤمنين عليه السلام حث أبو موسى الناس في الكوفة على عدم الإستجابة لما في الكتاب.

ورجع من أرسلهم أمير المؤمنين عليه السلام إليه. وأخبراه بما كان من موقف أبي موسى الأشعري. فكتب أمير المؤمنين عليه السلام كتاباً آخر قال فيه:

من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس.

أما بعد، فقد بلغني عنك قول هولك وعليك، فإذا قدم رسولي عليك. فارفع ذيلك. واشدد مئزرك. وأخرج من حجرك. واندب من معك. فإن حققت فانفذ. وان تفشلت فأبعد.

وايم الله. لتؤتين من حيث أنت. ولا تترك حتى يختلط زبدك بخاترك. وذائبك بجامدك. وحتى تعجل في قعدتك. وتحذر من أمامك كحذرك من خلفك[1]. وما هي بالهوينا التي ترجو. ولكنها الداهية الكبرى، يركب جملها. ويذل صعبها ويسهل جبلها. فأعقل عقلك. وأملك أمرك. وخذ نصيبك وحظك. فإن كرهت فتنح إلى غير رحب. ولا في نجاة فبالحري لتكفين وأنت نائم. حتى يقال: أين فلان؟ والله أنه لحق مع محق. وما أبالي ما صنع الملحدون. والسلام.

ولم يستجب الأشعث لكتاب أمير المؤمنين عليه السلام، فبعث له بكتاب آخر مع ولده السبط. الحسن بن علي عليه السلام ومعهما عمار بن ياسر[2]. قال في كتابه:

---

(١) عبد الفتاح عبد المقصود في كتابه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام حـ ٥ ص ٩٢.

(٢) راجع أمالي الشيخ ص ٨٧ ورواه الشيخ المفيد في النصرة لسيد العترة. والشيخ القرشي في حياة الإمام الحسن عليه السلام ص ٤٣٣ ـ ٤٣٩ ورواه أيضاً الدنيوري في الأخبار الطوال ص ١٤٤ وقال: ان الإمام وجه هاشم بن عتبة يستنهض الناس في الكوفة ثم بعث بإبنه الحسن عليه السلام وعمار بن ياسر...

أما بعد، فقد كنت أرى أن تعزب عن هذا الأمر الذي لم يجعل الله لك نصيباً منه. بمنعك عن رد أمري. وقد بعثت الحسن بن علي وعمار بن ياسر. يستنفران الناس. وبعثت قرضة بن كعب والياً على المصر، فاعتزل عملنا مذموماً مدحوراً. فإن لم تفعل فأني أمرته أن ينابذك.

وصل كتاب أمير المؤمنين عليه السلام إلى الأشعث بن قيس. ومع ذلك فقد بقي على تثبيط عزم الكوفيين. داعياً لهم على عدم نصرة أمير المؤمنين عليه السلام. فما كان من الإمام الحسن عليه السلام الا ان قال له: اعتزل من عملنا أيها الرجل. وتنح عن منبرنا. لا أم لك.

وعزل الأشعري. وجعل مكانه قرضة بن كعب. ثم استنفر الإمام الحسن عليه السلام الناس لنصرة أمير المؤمنين عليه السلام، فأجابه الكثير بالسمع والطاعة. فقال لهم الحسن عليه السلام: أيها الناس، إني غاد. فمن شاء منكم أن يخرج معي على الظهر. ومن شاء منكم فليخرج بالماء.

وخرج الألوف من الكوفيين. والتحقوا بأمير المؤمنين عليه السلام في ذي قار. حيث كان منتظراً المدد من الكوفة. ثم توجه بعدها إلى البصرة، حيث كان أصحاب الجمل.

كانت هذه الجموع قد اشتركت مع أمير المؤمنين في قتاله لأصحاب الجمل، وبعد انقضاء الأمر. وانتصار الإمام في هذه الحرب. بدا لأمير المؤمنين عليه السلام أن يكافىء الكوفيين. فبعث بكتاب منه عليه السلام إليهم. قال لهم فيه:

جزاكم الله من أهل مصر عن أهل بيت نبيكم أحسن ما يجزي العاملين بطاعته. والشاكرين لنعمته. فقد سمعتم واطعتم. ودعيتم واجبتم[1].

---

(١) تاريخ إبن جرير وتاريخ إبن الأثير تجد فيه تفصيلاً للواقعة.

عقد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام العزم للإنصراف إلى الكوفة.

وهنا قطع الإبن الأوسط حديث أبيه قائلاً: متى بنيت الكوفة يا أبي؟

الأب: الكوفة يا ولدي من المدن الإسلامية المهمة والقديمة. حيث بنيت في خلافة عمر بن الخطاب. بناها سعد بن أبي وقاص سنة سبعة عشر للهجرة النبوية الشريفة بعد فتحه العراق(١).

ثم تابع الأب حديثه بالقول: كان مقدم أمير المؤمنين عليه السلام إلى الكوفة يوم الاثنين، لإثني عشر ليلة خلت من شهر رجب. سنة ست وثلاثين للهجرة النبوية الشريفة(٢).

وعند دخوله عليه السلام الكوفة دخل عليه رجل من حكماء العرب فقال: والله يا أمير المؤمنين. لقد زينت الخلافة وما زينتك. ورفعتها وما رفعتك. وهي كانت أحوج إليك منك إليها(٣).

كان الكوفيون قد طلبوا من أمير المؤمنين عليه السلام أن يسكن قصر الإمارة. وكان قصراً كبيراً يسكنه والي الكوفة حينذاك. فلما أبعده أمير المؤمنين عليه السلام قال: قصر الخبال هذا لا أسكنه. واختار بيتاً متواضعاً بجانب المسجد فسكن فيه، وما كان ذلك الاختيار غريباً عليه أو تصنعه ليكسب ود الناس. فهو المعروف طيلة حياته بالتقشف والزهد والنفور من الدنيا. وهذا ما تعلمه من سيده واسوته المصطفى محمد صلى الله عليه وآله.

وكعادته عليه السلام لا يلبس إلا ما خشن. ولا يأكل إلا ما جشب. فهو الذي وصفه عبد الله بن عباس بقوله: رهباني هذه الأمة.

---

(١) إبن الأثير حـ ٣.

(٢) الأخبار الطوال ص ١٥٢.

(٣) الصواعق لابن حجر ص ١٢٧.

ومما يروى أنه شوهد في أيام خلافته وهو يرتدي جلباباً إشتراه من السوق بثلاثة دراهم. وكان يركب حماراً وقد تدلت ساقاه على جانبي الحمار. وكأنه واحداً من فقراء المسلمين. وهو كذلك حقيقة. فهوعليه السلام القائل: إن الله فرض على أئمة العدل أن يقدروا أنفسهم بضعفة الناس حت لا يتبيغ بالفقير فقره[1].

كان أصحابه والمقربين إليه يلحون عليه أن يجعل وسيلته للتنقل جواداً يليق به. فكان يرد عيهم قائلاً: دعوني أهن هذه الدنيا.

لم تخف فضائله عليه السلام على أحد من الناس. ولم يستطع حاسدوه أو مبغضوه أن يخفوا فضائله. فقد روي عن الخليفة عمر بن عبد العزيز قال: وما علم الناس أحداً كان في هذه الأمة بعد النبي محمد صلى الله عليه وآله. أزهد من علي بن أبي طالب عليه السلام.

وفي يوم كان أمير المؤمنين عليه السلام جالساً في مسجد الكوفة. فجاءه رأس اليهود. وكان ذلك بعد وقعة النهروان. فقال له: يا أمير المؤمنين. إني أريد أن أسألك عن أشياء لا يعلمها إلا نبي أو وصي نبي.

فقال عليه السلام: سل عما بدا لك يا أخا اليهود.

قال: انا نجد في الكتاب إن الله عز وجل إذا بعث نبياً أوحى إليه أن يتخذ من أهل بيته من يقوم بأمر ربه بعده. وأن يعهد إليه فيهم عهداً يحتذ به ويعمل به في أمته بعده. وإن الله عز وجل يمتحن الأوصياء في حياة الأنبياء. ويمتحنهم بعد وفاته. فأخبرني: كم يمتحن الله الأوصياء في حياة الأنبياء من مرة، وكم يمتحنهم بعد وفاتهم من مرة؟ وإلى ما يصير آخر أمر الأوصياء إذا رضى الله محنتهم؟

---

(١) أصول الكافي جـ ١ ص ٤١١.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: فوالذي فلق البحر لبني إسرائيل. وأنزل التوراة على موسى لئن أخبرتك بحق عما تسأل عنه. لتقرنّ به؟

قال اليهودي: نعم.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى ذكره. يمتحن الأوصياء في حياة الأنبياء في سبعة مواطن، ليبتلي طاعتهم. فإذا رضي محنتهم. أمر الأنبياء أن يتخذوهم أولياء في حياتهم. وأوصياء بعد وفاتهم. فصيّر طاعة الأوصياء في اعناق الأمم موصولة بطاعة الأنبياء عليهم السلام.

ثم يمتحن الأوصياء بعد وفاة الأنبياء في سبعة مواطن ليبلو صبرهم، فإذا رضي محنتهم. ختم لهم بالشهادة ليلحقهم بالأنبياء. فقد أكمل الله لهم السعادة.

قال رأس اليهود: صدقت يا أمير المؤمنين، فاخبرنا كم امتحنك الله عز وجل في حياة محمد صلى الله عليه وآله من مرة؟ وكم امتحنك بعد وفاته من مرة؟

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: يا أخا اليهود، إن الله تعالى ذكره امتحنني في حياة نبينا صلى الله عليه وآله في سبعة مواطن. فوجدني فيهن من غير تزكية لنفسي (بنعمة الله) له مطيعاً.

قال: فيم. وفيم، يا أمير المؤمنين؟

فذكر الإمام عليه السلام:

الأولى: وهي أجابته لرسول الله صلى الله عليه وآله يوم الدار ما دعاهم إليه دون بني عبد المطلب.

والثانية: يوم تآمرت قريش على قتل رسول الله صلى الله عليه وآله فأمره النبي صلى الله عليه وآله أن ينام في فراشه. فأجابه إلى ذلك مطيعاً له مسروراً به.

والثالثة: يوم بدر، يوم أنهضه رسول الله صلى الله عليه وآله، مع عمه عبيدة وحمزة،

فكان قتل الوليد وشيبه على يديه.

والرابعة: يوم الخندق، يوم كان قتل عمرو بن ود العامري على يديه.

والخامسة: يوم أحد. حيث انهزم الكثير. كل يقول قتل رسول الله ﷺ وأصحابه.

والسادسة: يوم خيبر.

والسابعة: يوم قرأ على مشركي مكة سورة براءة.

ثم ذكر عليه السلام امتحان الله له بعد وفاة النبي ﷺ فكانت:

الأولى: يوم وفاة رسول الله ﷺ، وكيف حمل نفسه على الصبر لهذا الفراق.

والثانية: صبره على ما كان من الناس بعد وفاة رسول الله ﷺ.

والثالثة: ذكر فيها دوره في خلافة أبي بكر.

والرابعة: دورة في خلافة عمر وعثمان.

والخامسة: يا أخا اليهود. فإن المبايعين لما لم يطمعوا في ذلك مني. وثبوا بإمرأة عليّ وأنا ولي أمرها. والوصي عليها. فحملوها على الجمل. وشدوها على الرحال. واقبلوا بها تخبط الفيافي. وتقطع البراري، وتنبح عليها كلاب الحوأب، وتظهر لهم علامات الندم في كل ساعة، وعلى كل حال، في عصبة قد بايعوني ثانية بعد بيعتهم الأولى في حياة النبي ﷺ، حتى أتت أهل بلدة قصيرة أيديهم. طويلة لحاهم. قليلة عقولهم، عازبة آراؤهم. جيران بدو، ورواد بحر. فأخرجتهم يخبطون بسيوفهم بغير علم. ويرمون بسهامهم بغير فهم. فوقفت من أمرهم على اثنتين. كلتاهما في محلة المكروه. ان كنفت عنهم لم يرجعوا ولم يصلوا، وإن أقمت كنت قد صرت إلى الذي كرهت.

فقد مت الحجة بالأعذار والإنذار. ودعوت المرأة إلى الرجوع إلى بيتها، والقوم الذين حملوها على الوفاء ببيعتهم لي. والترك لنقضهم عهد الله عز وكل فيّ. واعطيتهم من نفسي كل الذي قدرت عليه. وناظرت بعضهم فرجع، وذكرته فذكر، ثم اقبلت على الناس بمثل ذلك. فلم يزدادوا الا جهلاً وتمادياً وغياً، فلما أبوا الا هي. ركبتها معهم، فكانت عليهم الدبرة، وبهم الهزيمة، ولهم الحسرة، وفيهم الفناء والقتل، وحملت نفسي على التي لم أجد منها بداً. ولم يسعني إذا فعلت ذلك واظهرته آخراً، مثل الذي وسعني فيه أولاً، من الاعفاء والاغضاء والإمساك. ورأيتني أن أسكت. كنت معيناً لهم بإمساكي على ما صاروا إليه، وطمعوا فيه من تناول الأطراف، وسفك الدماء، وقتل الرعية، وتحكيم النساء النواقص العقول والحظوظ على كل حال. كعادة بني الأصفر، ومن مضى من ملوك سبأ، والأمم الخالية. فاصير إلى ما كرهت أولاً وآخراً.

وقد أهلمت المرأة وجندها يفعلون ما وضعت بين الفريقين من الناس، وألقى ما حذرت،. ولم أهجم على الأمر الا بعد ما قدمت وأخرت. وثانيت وأرسلت وشافهت. واعذرت وانذرت وأعطيت القوم كل شيء التمسوه مني. بعد أن عرضت عليهم كل شيء لم يلتمسوه. فلما أبوا الا تلك أقدمت، فبلغ الله بيّ وبهم ما أراد. وكان لي عليهم بما كان مني إليهم شهيداً.

ثم التفت عليه السلام إلى أصحابه وقال: أليس كذلك؟ قالوا: بلى يا أمير المؤمنين.

وأما السادسة يا أخا اليهود. فتحكيم الحكمين. ومحاربة ابن آكلة الأكباد. وهو طليق معاند لله ولرسوله وللمؤمنين. منذ بعث الله رسوله صلى الله عليه وآله، إلى أن فتح عليه مكة عنوة، فأخذت بيعته وبيعة أبيه لي معه. في ذلك اليوم، وفي ثلاثة مواطن بعده.

وأبوه بالأمس أول مسلّم عليّ بامرة المؤمنين. ويخصني على النهوض في أخذ حقي من الماضين قبلي. يجدد بيعته كل ما اتاني، ثم يتثاءب على ما يطعم من أموال المسلمين والتحكم عليهم ليستديم قليل ما يفنى بما يفوته من كثير ما يبقى. وأعجب العجب. إنه لما رأى ربي تبارك وتعالى قدر إليّ حقي. وأقره في معدنه. وانقطع طعمه أن يصبح في دين الله رابعاً. وفي أمانته التي حملناها حاكماً كرّ على العاصي ابن العاصي، فاستماله. فمال إليه. ثم أقبل بعد أن أطعمه مصر. وحرام عليه أن يأخذ من الفيىء فوق قسمه درهماً، وحرام على الراعي إيصال درهم إليه فوق حقه. والأغضاء على ما يأخذه. فأقبل يخبط البلاد بالظلم. ويطؤها بالغشم. فمن بايعه أرضاه. ومن خالفه ناواه.

ثم توجه إليّ ناكثاً علينا. مغيراً في البلاد شرقاً وغرباً، ويميناً وشمالاً، والأنباء تايتني. والأخبار ترد عليّ بذلك. فأتاني أعور ثقيف، فأشار عليّ بأن أوليه الناحية التي هوبها. لا دارية بما الذي أوليه منها. وفي الذي أشار به الرأي في أمر الدنيا. لوجدت عند الله في توليته لي مخرجاً، وأصبت لنفسي فيما أتي من ذلك عذراً، فما عملت الراي في ذلك، وشاورت من اثق بنصيحته لله عز وجل ولرسوله ﷺ ولي وللمؤمنين فكان رأيه في ابن آكلة الأكباد كرأيي: ينهاني عن توليته ويحذرني أن أدخل في أمر المسلمين يده. ولم يكن الله ليعلم أني أتخذ من المضلين عضداً. فوجهت إليه أخا بجيلة مرة. وأخا الاشعريين مرة أخرى، فكلاهما ركن إلى دنياه. وتابع هواه فيما أرضاه. فلما رأيته لم يزد فيما انتهك من محارم الله الا تمادياً. شاورت من معي من أصحاب محمد ﷺ البدريين الذين ارتضى الله أمرهم. ورضي عنهم عند بيعتهم. وغيرهم من صلحاء المسلمين والتابعين. فكل يوافق رأيه رأيي. (في غزوته ومحاربته ومنعه مما نالت يده). فنهضت إليه بأصحابي. انفذ إليه من كل موضع كتبي. وأوجه إليه رسلي، وأدعوه إلى الرجوع عما هو

فيه. والدخول فيما فيه الناس معي، فكتب يتحكم عليّ. ويتمنى عليّ الأماني. ويشترط عليّ شروطاً. لا يرضاها الله عز وجل ولأرسله ولا المسلمين. ويشترط عليّ في بعضها أن أدفع إليه أقواماً من أصحاب محمدﷺ، اخياراً وأبراراً بينهم عمار بن ياسر. وأين مثل عمار. فوالله. أتينا مع النبيﷺ ولا يعد منا خمسة الا كان سادسهم. ولا أربعة الا كان عمار خامسهم. اشترط دفعهم إليه ليقتلهم ويصلبهم. وانتحل دم عثمان. ولعمر الله، ما ألب على عثمان ولا أجمع الناس على قتله الا هو واشباهه من أهل بيته. أصحاب الشجرة الملعونة في القرآن. فلما لم أجب إلى ما اشترط من ذلك كرّ مستعلياً بطغيانه وبغية بحمير لا عقول لهم ولا بصائر. فموه لهم أمراً فاتبعوه. واعطاهم من الدنيا ما أمالهم به إليه. فناجزناهم إلى الله بعد الأعذار. والإنذار. فلما لم يزده ذلك الا تمادياً وبغياً. لقيناه بعادة الله التي عودناه. من النصر على أعدائه وعدونا. وراية رسول اللهﷺ بأيدينا. لم يزل الله تبارك وتعالى يفل حزب الشيطان بها. حتى أفضى الموت إليه. فحل منه محل السحا. وهو معلم رايات أبيه التي لم أزل اقاتلها مع رسول اللهﷺ في كل المواطن. فلم يجد من الموت منجى إلا الهرب. فركب فرسه. وقلب رايته. لا يدري كيف يحتال. فاستعان برأي ابن العاص.

فأشار عليه بإظهار المصاحف ورفعها على الإعلام. والدعاء إلى ما فيها. فقال له: ان ابن أبي طالب وحزبه أهل بصيره ورحمة ومعنى. وقد دعوك إلى كتاب الله أولاً. وهم مجيبوك آخراً. فأطاعه فيما أشار إليه. إذ رأى أنه لا منجي من القتل غيره. فرفع المصاحف. يدعو إلى ما فيها بزعمه. فمالت إلى المصاحف قلوب من بقي من أصحابي. بعد فناء خيارهم. وجدهم في قتال أعداء الله. وأعدائهم على بصائرهم. وظنوا ابن آكلة الأكباد له الوفاء بما دعا إليه. والتمام على ما يفارهم عليه. فاصغوا إلى دعوته. واقبلوا عليّ بأجمعهم في إجابته. فاعلمتهم أن ذلك منه مكر. ومن ابن

العاص معه. وانهما إلى المكر أقرب منهما إلى الوفاء. فلم يقبلوا مني. ولم يطيعوا أمري. أبوا الا اجابته. كرهت أم هويت. شئت أم أبيت. حتى أخذ بعضهم يقول لبعض: ان لم يفعل فالحقوه بابن عفان. أو ادفعوه إلى ابن هند برمته. فجهدت على الله جهدي. ولم أدع غاية في نفسي إلا بلغتها. في أن يخلوني ورايي. فلم يفعلوا. ورراودتهم على الصبر مقدار فواق الناقة. أو ركضة الفرس. فلم يفعلوا. ما خلا هذا الشيخ ـ وأومأ بيده إلى الأشتر ـ وعصبة أهل بيتي. فوالله ما منعني أن أمضي على بصيرتي الا ان يقتل هذان ـ وأومأ إلى الحسن والحسينعليهما السلام ـ فينقطع نسل رسول اللهصلى الله عليه وآله وذريته في أمته. ومخافة ان يقتل هذان ـ وأومأ إلى عبد الله بن جعفر ومحمد بن الحنفية ـ فاني أعلم، لولا مكاني لم يقفا ذلك الموقف. فلذلك صبرت على ما أراد القوم. مع ما سبق فيه من علم الله. فلما رفعنا عن القوم سيوفنا. تحكموا في الأمور. وتخيروا الأحكام والآراء. وتركوا المصاحف وما دعوا إليه من حكم القرآن. فأبيت أن أحكم في دين الله أحْداً. إذ كان التحكيم في ذلك الخطأ الذي لا شك فيه ولا امتراء. فلما أبوا الا ذلك أردت أن أحكم رجلاً من أهل بيتي، أو من أرضى رأيه وعقله. واثق بنصيحته ومودته ودينه. واقبلت لا اسمي أحداً الا امتنع ابن هند منه. ولا أدعو إلى شيء من الحق الا أدبر عنه. واقبل ابن هند يسومنا عسفاً، وما ذاك إلا بأتباع أصحابي له على ذلك. فلما أبوا إلا غلبتي على التحكيم تبرأت إلى الله عز وجل منهم. وفوضت ذلك إليهم. فقلدوه امرءاً كان أصغرهم في العلم. ثم خرج منه. وقد عُرفَ وعَرفَ الأولى مثله إلى واحد من دنياه. فخدعه ابن العاص خديعة. ظهرت في شرق الأرض وغربها. وأظهر المخدوع عليها ندماً قليل غناؤه.

ثم أقبلعليه السلام أصحابه: فقال: أليس كذلك؟ قالوا بلى يا أمير المؤمنين.

وأما السابعة يا أخا اليهود. فان رسول اللهصلى الله عليه وآله كان عهد إليّ أن اقاتل في آخر أيامي. قوماً من أصحابي. يصومون النهار. ويقومون الليل. ويتلون

كتاب الله. يمرقون من الدين بخلافهم لي. ومحاربتهم إياي. مروق السهم من الرمية. فيهم ذو الثدية، يختم لي بقتلهم بالسعادة. فلما انصرفت إلى موضعي هذا ـ يعني بعد الحكمين ـ أقبل بعض القوم على بعض باللائمة، فيما صاروا إليه من تحكيم الحكمين. ولم يجدوا لأنفسهم من ذلك مخرجاً، الا أن قالوا: كان ينبغي لأميرنا الا يبايع من أخطأ منا. وان يمضي بحقيقة رأيه على قتل نفسه. وقتل من خالفه منا. فقد كفر بمتابعته إيانا. واطاعته في الخطأ لنا. واحل لنا بذلك قتله. وسفك دمه. فتجمعوا على ذلك من حالهم. وخرجوا راكبين رؤوسهم. ينادون بأعلى أصواتهم: لا حكم إلا لله. ثم تفرقوا فرقاً فرقاً. فرقة بالنخيلة. وفرقة بحروراء. وأخرى راكبة رأسه تخبط الأرض شرقاً. حتى عبرت دجلة. فلم تمرّ بمسلم إلا امتحنته. فمن بايعها استحيت. ومن خالفها قتلت.

فخرجت إلى الأوليين، واحدة بعد أخرى، أدعوهم إلى طاعة الله. ومتابعة الحق. والرجوع إليه. فأبيا الا السيف. لا يقنعهما غيره. فلما اعيت الحيلة فيهما. حاكمتهما إلى الله عز وجل. فقتل الله هذه وهذه.

وكانوا يا أخا اليهود ولولا ما فعلوا: ركناً لي قوياً، وسداً منيعاً، فأبى الله الا ما صاروا إليه.

ثم كتبت إلى الفرقة الثالثة. ووجهت رسلي تترى، وكانوا من اجلة أصحابي. وأهل التعبد منهم. والزهد في الدنيا. فأبت الا اتباع أختيها. والاحتذاء على مثالهما. وأسرعت في قتل من خالفها من المسلمين. وتتابعت الأخبار بفعلها. فخرجت حتى قطعت إليهم دجلة. وأوجه السفراء والفصحاء. واطلب العتبى بجهدي. بهذا مرة. وبهذا مرة ـ وأومأ عليه السلام بيده إلى الاشتر والأحنف ابن قيس أو سعيد بن قيس الكندي ـ فلما أبو الا تلك. ركبتها منهم. فقتلهم الله يا أخا اليهود عن آخرهم. وهم أربعة آلاف أو يزيدون.

ثم التفت عليه السلام إلى أصحابه فقال: أليس كذلك؟ قالوا: بلى يا أمير المؤمنين.

قال عليه السلام: قد وفيتك سبعاً وسبعاً يا أخا اليهود. وبقيت الأخرى. وأوشك بها. وكأن قد قربت.

قال محمد بن الحنفية: فبكى أصحاب علي عليه السلام. وبكى رأس اليهود. وقالوا: يا أمير المؤمنين. اخبرنا بالأخرى. فقال عليه السلام: الأخرى أن تخضب هذه ـ وأومأ بيده إلى لحيته ـ من هذه ـ وأومأ إلى هامته ـ.

قال محمد بن الحنفية: فارتفعت أصوات الناس في المسجد الجامع بضجة البكاء. حتى لم يبق بالكوفة دار الا خرج أهلها فزعاً، واسلم رأس اليهود عى يدي أمير المؤمنين عليه السلام، من ساعته، ولم يزل مقيماً حتى قتل أمير المؤمنين عليه السلام، فلما قتل. واخذ ابن ملجم لعنه الله. أقبل رأس اليهود حتى وقف على الحسن عليه السلام والناس حوله. وابن ملجم بين يديه. وقال: يا أبا محمد. اقتله قتله الله. فإني قرأت في الكتب التي انزلت على موسى بن عمران: أن هذا أعظم عند الله جرماً من ابن آدم قاتل أخيه. ومن قدار عاقر ناقة ثمود[1].

ثم قال الأب والألم باد على ملامح وجهه: إلى غد يا أبنائي إن شاء الله.

---

(١) الاختصاص للشيخ المفيد رحمه الله تقديم السيد محمد مهدي الخرسان. المطبعة الحيدرية في النجف ١٥٧ ـ ١٧٥. باب محنة أمير المؤمنين عليه السلام.

«اليوم الثالث والعشرين»

«فتنة بني أمية»

جلس الأب كعادته والألم باد على محياه ما فارقه منذ يوم أمس. فحديث أمير المؤمنين عليه السلام لليهودي كان مذكراً إياه بكل ما ألمَّ بأمير المؤمنين عليه السلام من المحن التي لم يكن ألمها عليه هيناً يمكن أن ينسى. الا أن حسب أمير المؤمنين عليه السلام أن ينال مكاناً رفيعاً هو أهل له عليه السلام. وحسب شيعته أنهم شاركوه الأسى والحزن والصبر على ما ابتلاه الله جل جلاله.

وكان الأبناء قد جلسوا حول أبيهم. ولم يجرؤ أي منهم على أن يطلب من أبيه أن يبدأ حديثه. فقال الأب: سنتحدث اليوم عن فتنة كبيرة ابتلى بها أمير المؤمنين عليه السلام، وهي فتنة بني أمية.

ثم تابع حديثه قائلاً: هناك أبيات من الشعر قالها المقريزي توضح لنا ما عانى آل بيت النبي صلى الله عليه وآله من بني أمية على مر العصور. قال فيها: عبد شمس قد أضمرت لبني هاشم حرباً يشيب منها الوليدُ.

فابن حرب للمصطفى وابن هند لعلي وللحسين يزيد[1].

---

(١) النصائح الكافية لمن يتولى معاوية لمحمد بن عقيل العلوي ص ٨٥.

نعم يا أبنائي. لقد بدأ حقد بني أمية منذ كان عبد شمس وهاشم ابنا عبد مناف. وبموت عبد شمس استلم وراثه الحقد من أبيه لعمه هاشم. وبموت هاشم تحول حقد أمية على عمه هاشم إلى عبد المطلب بن هاشم. وشرب بني أمية حقدهم هذا مع لبن أمهاتهم إلى أن آل الأمر بأبي سفيان حيث جند الأجناد لحرب المصطفى محمد ﷺ وما دعا إليه من الدين القويم. ثم انتقل حقد أبي سفيان إلى وريثه معاوية حيث خرج على إمامه خليفة المسلمين وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. ومن معاوية انتقل الحقد والبغض إلى وريثه يزيد بن معاوية الذي جيش جيوش الضلال لقتل الإمام الحسين سبط رسول الله ﷺ وريحانته. وهكذا داوم بنو أمية على بغض بني هاشم من آل بيت رسول الله ﷺ.

الإبن الأكبر: انه ابتلاء كبير يا أبي. ابتلي به آل البيت عليهم السلام.

الأب: نعم يا ولدي هو ابتلاء كبير. وفتنة عمياء مظلمة كما وصفها أمير المؤمنين عليه السلام حين خطب خطبته التي ذكر بها فتنة بني أمية. حيث قال عليه السلام:

ان الفتن إذا اقبلت شبهت. وإذا أدبرت نبهت. ينكرن مقبلات. ويعرفن مدبرات، يحمن حوم الرياح. يصبن بلداً، ويخطئن بلداً.

الا وان أخوف الفتن عندي عليكم. فتنة بني أمية، فأنها فتنة عمياء مظلمة. عمت خطتها. وخصت بليتها. وأصاب البلاء من أبصر فيها. وأخطأ البلاء من عمي عنها. وأيم الله لتجدن بني أمية لكم أرباب سوء بعدي. كالناب الضروس تعذم بفيها، وتخبط بيدها، وتزين برحلها. وتمنع درها.

لا يزالون بكم حتى لا يتركوا منكم الا نافعاً لهم. أو غير ضائر بهم. ولا يزال بلاؤهم عنكم حتى لا يكون انتصار أحدكم منهم. الا كإنتصار العبد من ربه، والصاحب من مستصحبه. ترد عليكم فتنتهم شوهاء مخشية. وقطعاً

جاهلية. ليس فيها منار هدى ولا عَلَمٌ يرى[1].

كان إسلام معاوية كإسلام أبيه وأمه في يوم الفتح لمكة المكرمة[2] اسلموا خوفاً ورهبة من سيوف المسلمون. وهذا ما أكدته كتب السير والتاريخ. وما ذكره أمير المؤمنين عليه السلام في كتبه لمعاوية والذي منها قوله عليه السلام في واحد من هذه الكتب:

ففرق بيننا وبينكم أمس انا آمنا وكفرتم. واليوم انا استقمنا وفتنتم. وما اسلم مسلمكم الا كرها[3].

وقوله عليه السلام في كتاب آخر:

وإني لعلى المنهاج الذي تركتموه طائعين. ودخلتم فيه مكرهين[4].

وقد علق محمد عبده في شرح النهج على هاتين الفقرتين بقوله عن الفقرة الأولى: فإن أبا سفيان إنما اسلم قبل الفتح بليلة خوف القتل وخشية من جيش النبي صلى الله عليه وآله البالغ عشرة آلاف ونيف.

وقال عن الفقرة الثانية: المنهاج هو طريق الدين الحق. لم يدخل فيه أبو سفيان ومعاوية الا بعد الفتح كرها.

الإبن الأكبر: كيف بدأت فتنة معاوية يا أبي؟

الأب: سبق وان ذكرت لكم أن أمير المؤمنين عليه السلام بعث بسهل بن حنيف والياً على الشام بدل معاوية ابن أبي سفيان. الا ان خيل معاوية

---

(١) نهج البلاغة محمد عبده حـ ٢ ص ١٨٤ ـ ١٨٥ ورويت في كتاب سليم بن قيس الهلالي ص ١٥٨ باختلاف بسيط.

(٢) تطهير الجنان لابن حجر ص ٨.

(٣) نهج البلاغة محمد عبده حـ ٤ ص ٥٥٠.

(٤) المصدر السابق حـ ٣ ص ٤٥٠.

استقبلته في تبوك فروده.

ثم ان أمير المؤمنين بعث بكتاب منه إلى معاوية في أول ما بويع له بالخلافة. قال له فيه: من عبد الله أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان.

أما بعد. فقد علمت اعذاري فيكم. واعراضي عنكم. حتى كان مالا بدّ منه. ولا دفع له، والحديث طويل. والكلام كثير. وقد أدبر ما أدبر. وأقبل ما أقبل. فبايع من قبلك. وأقبل إليّ في وفد من أصحابك[1].

الا أن معاوية يدفع من شيطانه. وهوى نفسه. وأمانيه واحلامه. جعل من مقتل عثمان حجة له في المخالفة والخروج عن الطاعة. فبعث الإمام عليه السلام له بكتاب آخر قال له فيه:

انه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان. على ما بايعوهم عليه. فلم يكن للشاهد أن يختار. ولا للغائب أن يرد. وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار. فإن اجتمعوا على رجل وسموه إماماً، كان ذلك لله رضاً. فإن خرج عن أمرهم خارج بطعن أو بدعة. ردوه إلى ما خرج منه. فإن أبى. قاتلوه على اتباع غير سبيل المؤمنين. وولاه الله ما تولى.

ولعمري يا معاوية، لئن نظرت بعقلك دون هواك. لتجدني ابرأ الناس من دم عثمان. ولتعلمن أني كنت في عزلة عنه. الا أن تتجنى. فتجن ما بدا لك. والسلام[2].

وتمادى معاوية. وأصرّ على اتهام أمير المؤمنين عليه السلام بدم عثمان حجة منه على شق عصا الطاعة. وتفريق الجماعة. لينال هوى كان في نفسه. وأمنية مناه بها عدوه. وتجاوز حدوده بأن أخذ يرد على رسائل أمير

---

(١) نهج البلاغة محمد عبده جـ ٤ ص ٥٦٢.

(٢) نهج البلاغة محمد عبده جـ ٣ ص ٤٤٦.

المؤمنين عليه السلام، ويجعل من نفسه نداً له. فكان كتاب أمير المؤمنين عليه السلام له:

أما بعد. فقد أتتني منك موعظة موصلة. ورسالة محبرة. نمقتها بضلالك. وامضيتها بسوء رأيك. وكتاب امرىء ليس له بصر يهديه. ولا قائد يرشده. قد دعاه الهوى فأجابه. وقاده الضلال فاتبعه. فهجر لا غطأ. وضل خابطاً[1].

واستمر معاوية في مراسلته لأمير المؤمنين عليه السلام. وفي يوم. بعث لأمير المؤمنين عليه السلام كتاباً يساوم به أمير المؤمنين ويقترح عليه أن يترك له الشام. فبعث له الإمام عليه السلام بكتاب منه رداً على كتابه قال له فيه:

وأما قولك. أنا بنو عبد مناف. فكذلك نحن. ولكن ليس أمية كهاشم. ولا حرب كعبد المطلب. ولا أبو سفيان كأبي طالب. ولا المهاجر كالطليق. ولا الصريح كاللعيق. ولا المحل كالمبطل. ولا المؤمن كالمدغل. ولبئس خلف يتبع سلفاً هوى في نار جهنم[2].

كان جرير بن عبد الله البجلي رسول أمير المؤمنين عليه السلام إلى معاوية في الشام عنده. فأخره معاوية. وبعد أيام جاءه قائلاً: يا جرير. إني قد رأيت رأياً. قال جرير: هاته أبا يزيد. فقال معاوية: اكتب إلى صاحبك كتاباً يجعل الشام ومصر لي جباية. واسلم هذا الأمر، وأكتب إليه بالخلافة. قال جرير: أكتب بما أردت. وأكتب معك.

وحين يئس معاوية من أمير المؤمنين عليه السلام راح يسعى إلى صحبه بين اغراء وتهديد عله يكسب واحداً منهم إلى صفه. وكمثال على ذلك قيس بن سعد بن عبادة. فبعث إليه كتاب منه قال له فيه:

---

(١) نهج البلاغة محمد عبده حـ ٣ ـ ص ٤٤٦ ـ ٤٤٧.

(٢) نفس المصدر ص ٤٥٥.

من معاوية بن أبي سفيان إلى قيس بن سعد.

سلام عليك، أما بعد، انكم ان كنتم نقمتم على عثمان في اثرة رايتموها، أو ضربة سوط ضربها. أو في شتمة رجل. أو تسييره احداً. أو في استعماله الفتى من أهله. فقد علمتم أن دمه لم يحل لكم بذلك. وقد ر كبتم عظيماً من الأمر، وجئتم شيئاً أداً. فتب يا قيس إلى ربك ان كنت من المجبلين على عثمان. فأما صاحبك. فأنا استيقنا أنه الذي اغرى به الناس. وحملهم على قتله حتى قتلوه. وانه لم يسلم من دمه عظيم عظيم قومك.

فإن استطعت أن تكون ممن يطلب بدم عثمان فافعل، تابعنا على أمرنا. ولك سلطان العراقين ان انا ظفرت ما بقيت. ولمن أحببت من أهل بيتك سلطان الحجاز. مادام لي السلطان. وسلني غير هذا ما تحب، فانك لا تسألني عن شيء الا أوتيته[1].

ومن كتاب لمعاوية يستهوي به زياد بن حفيفة فيقول له:

يا أخا ربيعة، ان علياً قطع ارحامنا. وقتل امامنا. وأوى قتلة صاحبنا. وأني أسألك النصرة عليه بأسرتك وعشيرتك. ولك عهد الله وميثاقه إذا ظهرت أوليك أي المصرين أحببت[2].

الإبن الأكبر: أرى يا أبي أن معاوية يكرر دائماً القول بأن علياً عليه السلام قتل عثمان وآوى قتلته واعان عليه. وغير ذلك. فلماذا؟

الأب: أعلم يا ولدي، ان لا حجة لمعاوية بن أبي سفيان في أن ينال جزءاً ولو يسيراً من الدولة الإسلامية الا ان يستعطف الناس بمقتل عثمان. ولا حجة له لنصرة الناس له بوقوفه بوجه أمير المؤمنين ومقاتلته أن استوجب

(١) كتاب الإمام علي عليه السلام لعبد الفتاح عبد المقصود جـ ٤ ص ١٠٧.

(٢) نفس المصدر السابق ص ٢٠٢.

الأمر الا ان يقنع العامة منهم بكون علي عليه السلام هو القاتل لا تنطلي الا على الشاميين لبعدهم عن المدينة المنورة أولاً، وثانياً لقرب عهدهم في الإسلام. وثالثاً أنهم لم يعرفوا علياً ومكانته لأن معاوية منذ افتتاح الشام وهو موجود فيها. ولم يسمح لأحد بذكر أي صحابي أو الحديث في مناقبه ناهيك عن أمير المؤمنين عليه السلام. ولذلك كان جواب شبث بن ربعي لمعاوية قال له فيه:

لا يخفى علينا يا معاوية ما تقرب وما تطلب. انك لا تجد شيئاً تستغوي به الناس وتستميل اهواءهم وتستخلص به طاعتهم الا ان قلت لهم قتل أمامكم مظلوماً فهلموا نطلب بدمه، فإستجاب لك سفهاء طغام رذال.

وقد علمنا انك أبطأت عنه بالنصر. وأحببت له القتل بهذه المنزلة. التي تطلب. ورب مبتغ أمراً يحول الله دونه. ولئن أصبت ما تتمناه لا تصيبه حتى تستحق النار[1].

يئس معاوية من الكل الا من بني أمية وأهل الشام. ولم يبق له سوى عمرو بن العاص. فإستشار به أخاه عتبة بن أبي سفيان. فقال له عتبة: استعن بعمرو بن العاص[2] فإنه قد علمت في دهانه ورأيه، وأنه صاحب دنيا.

وقول أخيه عتبة يكفي لمعرفة معاوية في عصيانه لأمير المؤمنين عليه السلام. فما تبعه من الناس الا من كان صاحب دنيا. أو كان لا يعلم من الإسلام غير شهادة إن لا إله إلا الله. وأن محمداً رسول الله. ولو كان بمقدور معاوية ان يجعلهم لا يعرفون سوى مقولة لا إله إلا الله. لا كشهادة منهم بالتوحيد وإنما مجرد قول يرد دونه. لفعل.

كتب معاوية إلى عمرو بن العاص وهو بالسبع بفلسطين يعلمه بكتاب

(١) كتاب الإمام علي عليه السلام لعبد الفتاح عبد المقصود حـ ٤ ص ١٩١.
(٢) الأخبار الطوال للدينوري ص ١٥٧.

علي عليه السلام الذي بعثه مع عبد الله البجلي. قال:

حبست نفسي حتى تأتيني. أقبل إذا كرك أمراً...

قرأ عمرو بن العاص كتاب معاوية، وفهم مراده منه. فإستشار ابنيه: عبد الله ومحمداً. فقال عبد الله لأبيه: أرى ان نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم قبض وهو عنك راض. والخليفتان من بعده، وقتل عثمان وأنت عنه غائب. فقر في منزلك. فلست مجعولاً خليفة. ولا تريد أن تكون حاشية لمعاوية على دنيا قليلة أوشك أن تهلك فتشقى فيها.

وقال محمد لأبيه: أرى أنك شيخ قريش. وصاحب أمرها. وان تصرّم هذا الأمر وأنت فيه خامل. تصاغر أمرك. فالحق بجماعة أهل الشام. فكن يداً من أيديها. واطلب بدم عثمان. فانك قد استملت فيه إلى بني أمية.

فقال عمرو لابنيه: أما أنت يا عبد الله. فأمرتني بما هو خير لي في ديني.

وأما أنت يا محمد، فأمرتني بما هو خير لي في دنياي. وأنا ناظر فيه[1].

وبعد تفكير طويل. وأمر لغلامه وردان ونهي. قال له وردان: اعتركت الدنيا والآخرة على قلبك. فقلت: علي معه الآخرة في غير دنيا. وفي الآخرة عوض عن الدنيا..

ومعاوية معه الدنيا بغير الآخرة. وليس في الدنيا عوض عن الآخرة.

فأنت واقف بينهما...

فقال عمرو: فانك والله ما أخطأت، فما ترى يا وردان؟ قال وردان.

---

(١) الكامل للمبرد جـ ١ ص ٢٢١ وشرح النهج لابن أبي الحديد جـ ١ ص ١٣٦ ـ ١٣٨ وقصص العرب جـ ٢ ص ٣٦٢ وكتاب صفين لنصر بن مزاحم ص ٢٠ ـ ٢٤.

أرى أن تقيم في بيتك. فإن ظهر أهل الدين عشت في عفو دينهم. وإن ظهر أهل الدنيا لم يستغفوا عنك.

وقدم عمرو على معاوية. وذلك لكون الدنيا قد أخذت كل همه. وما كان للآخرة نصيب من همه.

فقال معاوية بعد حديث طويل مع عمرو: اتبعني. فقال عمرو: لماذا؟ للآخرة؟ فوالله ما معك آخرة. أم للدنيا؟ فوالله لا كان حتى أكون شريكك فيها.

فقال معاوية: فأنت شريكي فيها. قال عمرو: أكتب لي مصر وكورها. فكتب له معاوية ذلك[1]. واجتمع عمرو بن العاص ومعاوية. وكان رسول الله ﷺ قد أوصي: إذا رأيتم معاوية وعمرو بن العاص مجتمعين ففرقوا بينهما. فإنهما لن يجتمعا على خير[2].

وقال ﷺ عنهما أيضاً: ألهم اركسهما في الفتنة ركساً ودعهما إلى النار دعاً[3] ورغم كل ذلك. فقد داوم أمير المؤمنين عليه السلام على نصحه وترهيبه. فمن كتاب له عليه السلام إلى معاوية قال له فيه:

وأرديت جيلاً من الناس كثيراً. خدعتهم بغيك. والقيتهم في موج بحرك تغشاهم الظلمات. وتتلاطم بهم الشبهات. فجازوا عن وجهتهم. ونكصوا على أعقابهم، وتولوا ادبارهم. وعولوا على موازرتك. إذ حملتهم على الصعب. وعدلت بهم عن القصد.

---

(١) العقد الفريد حـ ٢ ص ٢٩١.

(٢) اخرجه إبن مزاحم في كتابه صفين ص ١١٢ ورواه إبن عبد ربه في العقد الفريد حـ ٢ ص ٢٩٠ عن عبادة بن الصامت.

(٣) مسند أحمد حـ ٤ ص ٤٢١ وصفين لنصر إبن مزاحم ٢٤٦.

فإتق الله يا معاوية في نفسك. وجاذب الشيطان قيادك. فإن الدنيا منقطعة عنك. والآخرة قريبة منك[1].

كان ادعاء معاوية باطل الا انه وسيلته الوحيدة لنيل مآربه وما خطط له منذ أمد طويل. وها هو الآن يسعى جاهداً لبلوغ هذا الهدف وللفوز بتلك الأمنية التي وضع بذورها في أرض الشام. وراح يسقيها سنين عديدة. وها هي الآن قد أينعت لناظريه بمقتل عثمان بن عفان. وجمع حوله الجموع من الشاميين كلهم يطالب بالثار لدم عثمان. وكلهم قد عاهد معاوية على ذلك. وتعاظم الأمر. وكبرت الفتنة. فقال قوم لأمير المؤمنين عليه السلام: يا أمير المؤمنين. لو عاقبت قوماً ممن أجلب على عثمان؟

فقال عليه السلام: يا أخوتاه... إني لست أجهل ما تعلمون. ولكن... كيف لي بقوة القوم المجلبون علي حد شوكتهم. يملكوننا ولا نملكهم. وها هم هؤلاء قد ثارت معهم عبد انكم... والتفت إليهم اعرابكم وهم خلالكم يسومونكم ما شاءوا. وهل ترون موضعاً لقدرة على شيء تريدونه، ان هذا الأمر أمر جاهلية. وان هؤلاء القوم مادة. ان هذا الأمر ـ إذا حرك ـ على أمور:

فرقة ترى ما ترون. وفرقة ترى ما لا ترون. وفرقة لا ترى هذا ولا ذاك. فاصبروا حتى يهدأ الناس. وتقع القلوب مواقعها. وتؤخذ الحقوق سمحة، فاهدأوا عني. وانظروا ماذا يأتي به أمري. ولا تفعلوا فعلة تضعضع قوة. وتسقط منّه. وتورث وهناً وذلة، وسأمسك الأمر ما استمسك، وإذا لم أجد بداً فآخر الداء الكي[2].

إنما هي الأهواء قد سادت وطغت. وهي بذلك فتنة للناس يفتن بها كل

---

(١) نهج البلاغة محمد عبده جـ ٣ ص ٤٩٠ ـ ٤٩١.

(٢) نهج البلاغة جـ ٢ ص ٣٠٢ ـ ٣٠٣.

ضعيف. وما مقتل عثمان الا فتنة سخرها معاوية لتحقيق أهدافه وأمانيه. فأثار عواطف أهل الشام بأن نشر قميص عثمان وهو ملطخ بدمه. وأعلن الأخذ بالثأر له. ثم عبأ الناس للحرب وقد اندفعوا معه بغير علم ولا هدى... وما علموا أنه بغي على أمير المؤمنين عليه السلام. وأنه عليه السلام قد أمره رسول الله صلى الله عليه وآله. بقتال الباغين «وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون».

الإبن الأكبر: وهل جمع الإمام عليه السلام الناس لقتالهم يا أبي؟

الأب: نعم يا ولدي. وسنؤجل الحديث عن ذلك اليوم غداً إن شاء الله.

«اليوم الرابع والعشرين»

«صفين»

كان الإبن الأكبر أكثر اخوته اهتماماً بسماع هذا الحديث وطرح الأسئلة على أبيه مستفسراً عن بعض الأمور ومستوضحاً لبعض الأحداث. ومنذ أن سمع حديث أبيه عن أسئلة رأس اليهود لأمير المؤمنين عليه السلام في مسجد الكوفة، فقد بدا على ملامحه الأسى وتعب التفكير. ولذلك فهو أكثر أخوته حرصاً على أن يبدأ أبوه حديثه. ولذلك فهو اليوم متواجد قرب أبيه مبكراً.

لم يبدأ الأب حديثه، ولم يسأله ابنه الأكبر في ان يبدأ الحديث. وما ان حضر أخويه حتى تجرأ على سؤال أبيه في أن يبدأ حديثه. فاستجاب الأب لطلبه قائلاً:

على الرغم مما بدا من معاوية بن أبي سفيان من تجرؤ على أمير المؤمنين عليه السلام، ورغم ما لمس أمير المؤمنين عليه السلام فيه اشعال الفتنة، الا أنه عليه السلام ما يئس من المحاولة تلو الأخرى عسى أن تأتي به إحداهن إلى جادة الصواب. وكمحاولة منه عليه السلام فقد بعث كل من بشير بن عمرو، وسعيد بن قيس الهمداني، وشبث بن ربعي إلى معاوية وأوكل إليهم مجاهرة معاوية بالحسنى. علهم يستدرجوه إلى الطاعة والجماعة قبل سفك الدماء.

فانصرفوا إلى معاوية حتى دخلوا عليه. وما ان استقر بهم القعود حتى بادر بشير بن عمرو. فحمد الله. واثنى عليه. وقال:

أما بعد يا معاوية. فان الدنيا عنك زائلة. وانك راجع إلى الآخرة. وإن الله مجازيك بعملك. ومحاسبك بما قدمت يداك. وانني انشدك الله الا تفرق جماعة هذه الأمة. والا تسفك دماءها بينها.

فقطع معاوية عليه كلامه وقال: فهلا أوصيت صاحبك؟

فقال بشير: سبحان الله، صاحبي لا يوصى. ان صاحبي ليس مثلك. صاحبي أحق الناس بهذا الأمر. في الفضل والدين والسابقة في الإسلام والقرابة من الرسولﷺ.

فقال معاوية: فتقول ماذا؟

قال بشير: أدعوك إلى تقوى الله ربك. واجابة ابن عمك إلى ما يدعوك إليه من الحق. فإنه اسلم لك في دينك. وخير لك في عاقبة أمرك.

قال معاوية، ويظل دم عثمان؟ لا والرحمن لا اقبل ذلك أبداً.

وأعقب شبث بن ربعي فقال قولاً كله تنبيه ونصح لمعاوية. الا ان معاوية كان جافياً في رده لهم. ولم يترك أملاً في احتواء الأمر. وكان قد ختم حديثه معهم قائلاً: اذهبوا من عندي. فإنه ليس بيني وبينكم الا السيف...

خرج القوم من معاوية. وشبث يردد ويقول: اعلينا تهول بالسيف. أما والله لنجعلنه إليك[1].

ورجعوا إلى إمامهم. وشرحوا له كل ما دار بينهم وبين معاوية، وكان ذلك في شهر ربيع الآخر من السنة السادسة والثلاثين للهجرة.

---

(١) نهج البلاغة محمد عبده حـ ٤ ص ١٥.

كان لأمير المؤمنين عليه السلام قول قاله عند اتهام بني أمية له بدم عثمان. قال فيه: أو لم ينه بني أمية علمها بي عن قرفي. أو ما وزع الجهال سابقتي عن تهمتي. ولما وعظهم الله به ابلغ من لساني. أنا حجيج المارقين. وخصيم الناكثين المرتابين، وعلى كتاب الله تعرض الأمثال. وبما في الصدور تجازى العباد[1].

قال الإبن الأكبر: كل العجب من صلف بني أمية. بل العجب العجاب من الذين تابعوهم على ما قالوا في أمير المؤمنين عليه السلام، أيعقل أن يجازف المرء بدخول النار من أجل نفع إنسان غيره. هل في مثل هذا التصرف ولو قليلاً من العقل والحكمة يا أبي. والغريب في ذلك هو عمرو بن العاص. الذي يدعي البعض بكونه من أمكر العرب. وحتى وان كان المكر هو الخديعة. فيفترض أن يكون الماكر أكثر نفعاً لنفسه من غيره. وإذا به ينقاد إلى معاوية ويبيع آخرته بثمن بخس. فأين المكر إذن.

الأب: صحيح ما تقوله يا ولدي. ان كل إنسان سواء كان عاقلاً أم حكيماً أم داهية كما يقال. يفترض أن يكون تصرفه فيه سلامة له وأماناً، لا أن تكون عاقبة الخسران. وأي خسران هو. انه النار يوم القيامة، الا ان للحق دعاته وأنصاره. وللباطل رموزه واتباعه. وان لكل منهم جزاء يوم القيامة. ولكل نفس ما كسبت. وهي بفعلها رهينة دون شك.

ومن هنا بدأ التحضير من قبل الإمام لمواجهة ما قام معاوية به من تسيير للجيش. فبعث بكتاب منه عليه السلام إلى عامله على البحرين. وهو عمر بن سلمة المخزومي. قال له فيه:

أما بعد: فإني وليت نعمان بن عجلان الزرقي على البحرين. ونزعت

---

(١) نهج البلاغة محمد عبده جـ ١ ص ١٣٠.

يدك بلاذم لك. ولا تثريب عليك. فلقد أحسنت الولاية. وأديت الأمانة. فأقبل غير ظنين ولا ملوم ولا متهم ولا مأثوم. فلقد أردت المسير إلى ظلمة أهل الشام. وأحببت أن تشهد معي، فإنك ممن استظهر به على جهاد العدو، واقامة عمود الدين. إن شاء الله[1].

وقبل المسير إلى الشام. كان عليه السلام قد أوصى:

من كان من امائي ـ اللاّتي اطوف عليهن ـ لها ولد. أو هي حامل، فتمسك على ولدها. وهي حظه. فإن مات ولدها وهي حية فهي عتيقة قد أفرج عنها الرق. وحررها العتق.

ثم خرج عليه السلام قاصداً الشام. فقال:

الهم إليك نقلت الأقدام. وافضت القلوب. ورفعت الأيدي. وشخصت الأبصار.

الهم انا نشكوا إليك غيبة نبينا صلى الله عليه وآله، وكثرة عدونا، وتشتت أهوائنا.

ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين[2].

ثم سار عليه السلام بجيشه حتى وصل إلى النخيلة، ومنها انفذ معقل بن قيس الرباحي إلى الشام في ثلاثة آلاف مقدمة له عليه السلام[3]. وكان عليه السلام قد أوصى معقل.

اتق الله الذي لا بد لك من لقائه. ولا منتهى لك من دونه. ولا تقاتلن الا من قاتلك. وسر البردين. وغور بالناس. رفه في المسير. ولا تسر في الليل.

---

(١) نهج البلاغة محمد عبده حـ ٣ ص ٥٠٠.

(٢) نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة لمحمد باقر المحمودي باب المختار من ادعيته عليه السلام ص ٢٠٨.

(٣) في نهج البلاغة حـ ١ هامش ص ١٠٥ تحت رقم ٥ كانت مقدمته عليه السلام زياد بن النضر وشريح بن هانىء في اثنا عشر ألف فارس.

فإن الله جعله سكناً. وقدره مقاماً لأظعناً، فارح فيه بدنك. وروح ظهرك. فإذا وقفت حين ينبطح السحر، أو حين ينفجر الفجر. فسر على بركة الله، فإذا لقيت العدو فقف من أصحابك وسطاً، ولا تدن من القوم دنو من يريد أن ينشب الحرب، ولا تباعد عنهم تباعد من يهاب الباس، حتى يأتيك أمري، ولا يحملنكم سفانهم على قتالهم قبل دعائهم والأعذار إليهم[1].

ثم سار عليه السلام بجيشه إلى الشام وهم يزيدون على المائة وأربعة آلاف مقاتل. وطلائعه كانت أربعة آلاف مقاتل على رأسهم مالك الأشتر.

وعند سيرهم. رجز راجز منهم فقال:

يا فرسي سيري وامي الشاما   وقطعي الحزون والاعلاما
ونابذي من خالف الإماما
اني لأرجو ان لقينا العاما   جمع بني أمية الطغاما
ان نقتل العاصي والهماما[2].

وبوصول أمير المؤمنين عليه السلام إلى صفين وجد معاوية قد سيطر على المشرعة. ليحولوا دون وصول جيش الإمام عليه السلام إلى الماء.

فقضى جيش الإمام عليه السلام يوماً وليلة بلا ماء. فاغتنم أمير المؤمنين من عطش رجاله وقد حيل بينهم وبين الماء.

دعا أمير المؤمنين عليه السلام قوة من جيشه وكانت بقيادة مالك الاشتر والأشعث بن قيس. وأمرهم أن يبعدوا جيش معاوية عن الشريعة. فهبوا يسابقون الريح فكنسوا امامهم قوات معاوية كنساً. حتى سيطروا على الشريعة. بعد أن قتلوا وأغرقوا جمعاً من جيش معاوية[3].

---

(١) نهج محمد عبده حـ ٣ ص ٤٥٢.
(٢) كتاب الإمام علي عليه السلام لعبد الفتاح عبد المقصود حـ ٤ ص ١٢٦.
(٣) الأخبار الطوال ص ١٦٨ ـ ١٦٩.

وبعد سيطرة جيش الإمام عليه السلام على الشريعة. أرسل أمير المؤمنين إلى جيش معاوية أن خذوا من الماء حاجتكم. وأرجعوا إلى معسكركم.

وفي يوم دعا أمير المؤمنين عليه السلام مرثد بن الحارث. وأمره أن يعلوا أقرب ربوة من معسكر معاوية، ويسمعهم هذه الكلمات:

يا أهل الشام. ان أمير المؤمنين عليه السلام يقول لكم: اني قد استدمتكم.. واستأنيت بكم. لتراجعوا الحق، وتثيبوا إليه. واحتججت عليكم بكتاب الله ودعوتكم إليه. فلم تتناهوا عن طغيان. ولم تجيبوا إلى حق.

واني قد نبذت اليكم على سواء. ان الله لا يحب الخائنين.

فلم تنفعهم هذه الموعظة. ولم يستجيبوا لنداء الحق. فرفع الإمام رأسه الكريم إلى السماء. وقال على مسمع من جيشه:

الهم إنك تعلم لو إني أعلم أن رضاك في أن أضع ظبة سيفي في بطني. ثم أنحني عليه حتى يخرج من ظهري لفعلت.

الهم إني أعلم ما علمتني. إني لا أعلم صالحاً في هذا اليوم هو أرضى من جهاد هؤلاء الفاسقين ولو أعلم اليوم عملاً هو أرضى لك منه لفعلت.

وكعادة أمير المؤمنين عليه السلام لا يبدأ بقتال حتى يبدأوه، ولا يترك عدوه دون نصح وإرشاد وترغيب وترهيب. وما كان ذلك لمعاوية وحده، وإنما لجميع جنده وقواده. فمن كتاب بعثه أمير المؤمنين عليه السلام إلى عمرو بن العاص قال له فيه:

فانك قد جعلت دنيك تبعاً لدينا امرىء ظاهر غية. مهتوك ستره. يشين الكريم بمجلسه. ويسفه الحكيم بخلطته. فاتبعت اثره. وطلبت فضله. اتباع الكلب للضرغام. يلوذ بمخالبه. وينظر إليه من فضل فريسته. فاذهبت دنياك وآخرتك.

ولو بالحق أخذت لأدركت ما طلبت. فإن يمكني الله منك. ومن ابن أبي سفيان. اجزكما بما قدمتما. وان تعجزا وتبقيا. فما امامكما شر لكما، والسلام.

كان عليه السلام كثيراً ما كان يوصي جنده بعدم بدء القوم بالقتال. فمن اقواله لهم:

لا تقاتلوا القوم حتى يبدءوكم.. فانكم بحمد الله على حجه.

وقوله عليه السلام: ترككم إياهم حتى يبدأوكم حجة أخرى لكم عليهم.

ومن وصاياه عليه السلام أيضاً: فإذا قاتلتموهم فهزمتموهم فلا تقتلوا مدبراً. ولا تجهزوا على جريح. ولا تكشفوا عورة، ولا تمثلوا بقتيل.

وقوله عليه السلام: فإذا وصلتم إلى رحالهم فلا تهتكوا ستراً، ولا تدخلوا داراً الا بإذن. ولا تأخذوا من أموالهم شيئاً.

وكان عليه السلام كثيراً ما يؤكد على جيشه أن لا يتقلوا أسيراً[1].

وطال الوقت على جيش الإمام. ومضت الأيام تلو الأيام. ولا قتال بينهم. وإنما دواماً على النصح والتذكير والتوبيخ. فاستعجل جيش أمير المؤمنين عليه السلام امامهم على القتال. وقد اساء البعض فهم الإمام عليه السلام ومراده. فقال عليه السلام لهم:

أما قولكم: أكل هذا كراهية الموت؟ فوالله ما أبالي، دخلت على الموت أو خرج إليّ..

وأما قولكم: شكاً في أهل الشام؟ فوالله ما دفعت الحرب يوماً الا وأنا أطمع أن تلحق بيّ طائفة فتهتدي بيّ. وتعشو إلى ضوئي، وذلك أحب إليّ

---

(١) راجع أدباء السجون للشيخ عبد العزيز الحلفي ص ٤٧ ـ ٤٨ تجد نموذجاً لذلك.

من أن اقتلها على ضلالها. وإن كانت تبوء بآثامها[1].

وفي يوم بعد طول صبر واناة. أخذ الإمام عليه السلام يوجه جيشه قائلاً: قدموا الدارع.. واخروا الحاسر... وعضوا على الأضراس فإنه انبى للسيوف عن الهام. والتووا في اطراف الرماح. فإنه أمور للأسنة.. وغضوا الأبصار فإنه اربط للجاش واسكن للقلوب... واميتوا الأصوات فإنه أطرد للفشل.

ورايتكم فلا تميلوها ولا تخلوها ولا تجعلوها الا بأيدي شجعانكم. والمانعين الذمار منكم. فإن الصابرين على نزول الحقائق هم الذين يحفون براياتهم ويكتنفونها حنافيها ووراءها وامامها. لا يتأخرون عنها فيسلموها. ولا يتقدمون عليها فيفردوها. اجزأ أمرؤ قرنة وآس أخاه بنفسه. ولم يكل قرنة إلى أخيه. فيجتمع عليه قرنة وقرن أخيه[2].

وتهيأ الجيشان، وزحف كل منهما إلى الآخر. واشتعلت الحرب. فلم تسمع غير همهمة الرجال وصهيل الخيول وصوت الحديد.. وتطايرت الأشلاء. وسرعان ماغطت أشلاء القتلى أرض المعركة. واختلطت الأصوات حتى صارت غير متمايزة. وكان يوماً طويلاً شاقاً.

ومضى يوم من أيام صفر.. ثم مضت أيام صفر كلها، وكانت سنة سبع وثلاثين للهجرة. والفريقين بين قتال شديد منكر وبين استراحه. وكان الإمام دائم التوجيه لجيشه. فمن قوله لهم:

وأي امرىء منكم أحس من نفسه رباطة جأش عند اللقاء. ورأى من أحد أخوانه فشلاً. فليذب عنه بفضل نجدته التي فضل بها عليه. كما يذب عن

---

(١) نهج البلاغة محمد عبده حـ ١ ص ١١١.
(٢) نفس المصدر السابق حـ ٢ ص ٢٣٢.

نفسه، فلو شاء الله لجعله مثله.

ان الموت طالب حثيث. لا يفوته المقيم. ولا يعجزه الهارب. ان اكرم الموت القتل. والذي نفسي بيده. لألف ضربة بالسيف أهون عليّ من ميتة على الفراش في غير طاعة الله[1].

وفي يوم انتدب أمير المؤمنين أربعة من الرجال توجهوا إلى معسكر معاوية. وتحدثوا إليه قائلين: ان صاحبنا لمن قد عرفت وعرف المسلمون فضله. ولا نظنه يخفى عليك.

أن أهل الدين والفضل لن يعدلوا بعلي عليه السلام، ولن يفاضلوا بينك وبينه. فاتق الله يا معاوية، ولا تخالف علياً، واننا والله ما رأينا رجلاً قط. أعمل بالتقوى، ولا ازهد بالدنيا. ولا اجمع لخصال الخير كلها منه[2].

ولم ينفع نصحهم هذا لمعاوية. وإنما زاده اصراراً وعناداً. وداوم بالاحتجاج بالثأر لعثمان. وعاد الوفد أدراجه حاملاً كلمات معاوية التي اسمعهم إياها. والتي تدل على الإصرار والعناد. فتلقاها أمير المؤمنين بأسى. ثم تلى قوله تعالى: وما أنت بهاد العمى عن ضلالتهم. ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون.

لقد آلم أمير المؤمنين عليه السلام كل هذه الأنفس التي أزهقتها السيوف، وهذه النخبة من المؤمنين التي أرقها القتال والحب. كان عليه السلام يتلهف إلى أن يكون الناس كل الناس لله تعالى. حيث لا كبر ولا تنازع. ولا اهواء تتبع. وإنما حب وتسامح وإيمان وعبادة لله تعالى. ولكن كما يقول المثل:

ما كل ما يتمنى المرء يدركه   تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

---

(١) نهج البلاغة حـ ٢ ص ٢٣٢.

(٢) خلفاء الرسول خالد محمد خالد ص ٥٧٤.

مثل ما ابتلى الله تعالى الأنبياء والرسل والأوصياء. كذلك يبتلي عباده. ليجزي الصابرين بما صبروا.

قال أمير المؤمنين عليه السلام يوماً لمعاوية في كتاب له بعثه إليه:

وكيف أنت صانع إذا تكشفت عنك جلابيب ما أنت فيه من دنيا قد تبهجت بزينتها. وخدعت بلذتها. دعتك فاجبتها. وقادتك فاتبعتها. وأمرتك فاطعتها. وانه يوشك ان يقفك واقف لا ينجيك منه مجن. فاقعس عن هذا الأمر. وخذ اهبة الحساب. وشمر لما قد نزل بك. ولا تمكن الغواة من سمعك. والا تفعل اعلمك ما اغفلت من نفسك. فانك مترف قد اخذ الشيطان منك مأخذه. وبلغ فيك أمله. وجرى فيك مجرى الروح والدم.

ومتى كنتم يا معاوية ساسة هذه الرعية، وولاة أمر الأمة، بغير قدم سابق. ولا شرف باسق. ونعوذ بالله من لزوم سوابق الشقاء، واحذرك أن تكون متمادياً في غرة الأمنية، مختلف العلانية والسريرة.

وقد دعوت إلى الحرب فدع الناس جانباً واخرج واعف الفريقين من القتال، لتعلم أينا المرين على قلبه. والمغطى على بصره. فأنا أبو الحسن قاتل جدك وأخيك وخالك شيخاً يوم بدر. وذلك السيف معي. وبذلك القلب ألقى عدوي. ما استبدلت ديناً، ولا استحدثت نبياً. واني لعلى المنهاج الذي تركتموه طائعين. ودخلتم فيه مكرهين...[1].

الإبن الأكبر: أرى يا أبي أن معاوية لا يمكن أن يلبي نداء أمير المؤمنين عليه السلام ويخرج لمبارزته.

الأب: نعم يا ولدي. لا يخرج معاوية إلى الإمام عليه السلام. لأن يعرف جيداً أنه ان خرج يقتل. ولذلك حينما كرر الإمام عليه السلام دعوته لمعاوية في

(١) نهج البلاغة محمد عبده حـ ٣ ص ٤٤٩ ـ ٤٥١.

البراز. استشار معاوية عمرو بن العاص. فقال له عمرو: لقد انصفك الرجل... فأبرز إليه...

غضب معاوية من جوابه وبأن غضبه في وجهه وحديثه معه، فتدارك عمرو الأمر، وقال: إني خارج إليه غداً.

ثم انتبه عمرو إلى نفسه وما كان من قوله. فهو يعلم أن علياًعليه السلام قاتله لا محال أن خرج إليه. فراح يبحث مع نفسه عن مخرج من هذا، أو سلامة من القتل. فوجد بدهائه حلاً لذلك. فما ان أصبح الصباح وتأهّب الجيشان. خرج عمرو منادياً أمير المؤمنينعليه السلام للبراز. فخرج لهعليه السلام متقدماً نحوه. وما هو الا بعض الوقت وإذا بعليعليه السلام قريباً منه رافعاً سيفه. وما إن أهوى به على عمرو ليقتله حتى قذف عمرو بنفسه إلى الأرض وأبدى عورته، فتحول أمير المؤمنين عنه، ورجع ولم يفعل شيئاً[١]. وبهذه الحيلة الخبيثة انقذ عمرو نفسه من سيف عليعليه السلام.

الإبن الأكبر: ذكرت لنا يا أبي أن الشاميين كانوا حديثي عهد بالإسلام. وهم بعيدين عن المدينة المنورة مركز الخلافة الإسلامية. ومكان المهاجرين والأنصار، ولكون معاوية كان والياً عليهم منذ البدء، لم يسمح لأحد أن يحدث الناس عن فضائل الصحابة وخصوصاً بني هاشم وبالأخص علي بن أبي طالب، ولذلك لم يعرفه أي من الشاميين. أليس كذلك يا أبي؟

الأب: نعم يا ولدي هو كذلك بالنسبة للعوام منهم. أما أسيادهم فكثير منهم من سافر إلى المدينة المنورة وعرف أمير المؤمنينعليه السلام عن قرب، وعرف ما يحمل من الفضائل.

الإبن الأكبر: إذا كان كذلك. فلماذا انضم لمعاوية حتى أسيادهم.

---

(١) مروج الذهب للمسعودي جـ ٢ ص ٥٥.

الأب: كان في نفوسهم مثل ما كان في نفس معاوية وعمرو بن العاص ومروان بن الحكم وغيركم. إضافة إلى العصبية القبيلة أو للمكان أو البلد. فخذ مثلاً على ذلك:

واحد من رؤساء جند معاوية في صفين وهو النعمان بن جبلة التنوخي، قال: لمعاوية يوماً:

والله لقد نصحتك على نفسي، وآثرت ملكك على ديني، وتركت لهواك الرشد وأنا أعرفه. وحدت عن الحق وأنا أبصره. وما وقفت لرشد وأنا أقاتل عن ملك ابن عم رسول الله ﷺ، وأول مؤمن به، ومهاجر معه، ولو أعطيناه ما أعطيناك لكان أرأف بالرعية، واجزل بالعطية، ولكن...

بذلنا لك الأمر ولا بد من إتمامه كان غياً أو رشداً، وحاشاً ان يكون رشداً، وسنقاتل عن تين الغوطة وزيتونها، إذا حرمنا أثمار الجنة وأنهارها[1].

ثم تابع الأب حديثه فقال:

ومضت أيام صفين يا أولادي بين حرب شرسة وبين ركود وسكون واعاده للأنفاس والتنظيم. وفي يوم من أيامها، خرج الصحابي الجليل عمار بن ياسر في خيل من أهل العراق، فخرج إليه عمرو بن العاص في خيل من أهل الشام. وكان معه شقة سوداء على قناة. فقال الناس: هذا لواء عقدة رسول الله ﷺ.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: انا مخبركم بقصة هذا اللواء. هذا اللواء عقده رسول الله ﷺ. وقال: من يأخذ بحقه؟ فقال عمرو بن العاص: وما حقه يا رسول الله ﷺ؟ فقال ﷺ: لا تفرّ به من كافر. ولا تقاتل به مسلماً.

فقد فرّ به من الكافرين في حياة رسول الله ﷺ، وقد قاتل به المسلمين اليوم[2].

---

(١) المسعودي في مروج الذهب حـ ٥ ص ٢١٦.

(٢) الأخبار الطوال ص ١٧٤.

الإبن الأكبر: نعم يا أبي أن رسول الله ﷺ لا ينطق عن الهوى، وهو ﷺ حينما قال لعمرو بن العاص ذلك يعلم أنه سيفرّ به من الكافرين. وسيقاتل به المسلمين. وهو لهم ظالم.

الأب: ومن مآسي الأقدار يا ولدي ان الشاميين اعتراهم الشك يوماً حينما علموا أنهم يقاتلون جيشاً يقاتل فيه عمار بن ياسر. وقد سمعوا من عمرو بن العاص يقول: سمعت من رسول الله ﷺ يقول: يلتقي أهل العراق وأهل الشام. وفي إحدى الكتيبتين الحق وامام الهدى ومعه عمار بن ياسر. وهم يتساءلون هل عمار بن ياسر جاد في مقاتلتهم؟

الإبن الأكبر: وإن كان جاداً في قتالهم؟

الأب: إن كان جاداً سيعرفون ان الفئة التي معها الحق هي فئة العراق.

الإبن الأكبر: يعرفون الفئة التي معها الحق وامام الهدى من خلال وجود عمار إلى جانبها أم لا؟ أي عقلية هم فيها. وأي إيمان هم عليه؟ يعرف علي عليه السلام من خلال عمار ابن ياسر؟

الأب: نعم يا ولدي. وكما قلت فقد أعمى بصرهم معاوية طيلة كل هذه السنين التي كان والياً فيها على بلادهم.

لم يعرفوا علياً عليه السلام، ولم يعرفوا مكانته وفضله. ولم يعرفوا ما قال رب العزة العظيم فيه. وكذلك لم يعرفوا اقوال رسول الله ﷺ فيه، وان كثيراً منهم ان لم نقل كلهم لو عرفوا علياً عليه السلام على حقيقة لما قاتلوه.

الإبن الأكبر: قبل فترة من الزمان كنت قد قرأت عليّ أبياتاً نظمتها أنت يا أبي قلت في أولها: بربك مثل حيدرة يعادا. . . فهل تقرؤها علينا الآن لو سمحت.

الأب: نعم يا ولدي، قلت فيها:

بـريـك مـثـل حـيـدرة يـعـادا ... كـذلـك هـل كـمـنـهـجـه سدادا
فـنـهـج عـلـي نـهـج حـبـيـب ربـي ... وهـل نـهـج الإلـه بـه مـعـابـا
فـكـم قـال الـرسـول لـهـم جـزائـي ... بـمـا عـانـيـت لـلـقـربـى ودادا
بـبـغـضـكـم لـه تـؤذون ربـي ... وكـل الـنـاس لـلـبـاري عـبـادا
وكـم قـال الـرسـول لـهـم تـولـوا ... عـلـيـاً، لـم تـروا غـيـر الـرشـادا
هـو الـكـرار فـي الـهـيـجـا صـؤولا ... وقـاتـل كـل مـن لله عـادا
فـكـان الآجـر حـربـهـم عـلـيـاً ... بـغـيـر جـريـرة الا الـجـهـادا
مـعـاويـة وعـمـر كـان مـنـهـم ... أذى لله قـادوه انـقـيـادا
لـقـد قـال الإلـه بـه كـلامـاً ... صـريـحـاً فـي الـكـتـاب فـمـا اسـتـفـادا
فـشـذوا عـن طـريـق الـحـق عـمـيـاً ... وزادوا فـي الأذى مـنـهـم عـنـادا
أبـا الـحـسـنـيـن أنـت امـام هـدي ... وأنـت مـلـكـت مـن كـثـر فـؤادا
وقـد طـمـعـوا بـحـبـك يـوم حـشـر ... ويـوم الـحـشـر انـت بـه جـوادا
تـشـفـع فـي مـحـبـيـكـم جـمـيـعـاً ... وتـلـبـس جـيـدهـم أحـلـى الـقـلادا

الإبن الأكبر: نعم يا أبي لقد آذوا الله تعالى ورسوله الكريم باذاهم لعلي عليه السلام، وكان ذلك منهم عناداً واستكباراً وحباً في الدنيا وزينتها واستهانة بيوم الآخرة والجزاء ان لم يكن انكاراً لها.

الأب: نعم يا ولدي، ان النفس لا مارة بالسوء إلا ما رحم ربي.

ثم تابع الأب حديثه: كانت تمر في صفين أيام يكون القتال بها مريراً بشكل رهيب، فمن حديث لزياد بن النضر وكان في مقدمة جيش الإمام عليه السلام قال فيه: شهدت مع علي عليه السلام مشهداً في صفين اقتتلنا ثلاثة أيام وثلاث ليال، حتى تكسرت الرماح. ونفذت السهام، ثم صارت إلى المسابقة. فاجتلدنا بها إلى نصف الليل، حتى صرنا وأهل الشام في اليوم الثالث يعانق بعضنا بعضاً، واني قد قاتلت ليلتئذ بجميع السلاح. فلم يبق شيء من السلاح الا قاتلت به. حتى تحاشينا بالتراب. وتكاد منا قياماً، فلما كان نصف الليل

من الليلة الثالثة، إنجاز معاوية وخيله من الصف، وغلب علي عليه السلام على القتلى. واقبل على أصحابه فدفنهم. وقد قتل كثير منهم، وقتل من أصحاب معاوية أكثر[1].

الإبن الأوسط: أنها أيام قاسية فعلاً يا أبي. وخصوصاً يومها الثالث، فهو يوم رهيب.

الأب: هناك يوماً هو أكثر شدة ورهبة، وخصوصاً على جيش الشام.

الإبن الأكبر: وما ذلك اليوم يا أبي؟

الأب: هو اليوم الذي كاد فيه الأشتر أن يضع حداً لهذه الحرب يا ولدي.

الإبن الأكبر: حدثنا عنه يا أبي.

الأب: نعم يا ولدي. ولكن ليس الآن. وإنما في غد إن شاء الله.

---

(١) كتاب صفين للسيد محسن الأمين ص ١٨٦.

«اليوم الخامس والعشرين»

«ليلة الهرير»

منذ أن سمع الأبناء من أبيهم عن الليلة التي كاد فيها الأشتر أن يضع حداً لهذه الحرب. وهم في شوق كبير لسماع قصة ذلك اليوم، الا أن الإبن الأكبر مع شوقه الكبير لسماع هذه القصة الا أن قلبه قد دخل إليه شيء سبب له بعض الحيرة، وقلة الأمل في النصر في ذلك اليوم، فهو يتذكر جيداً أن أباه قد قال: كاد فيها الأشتر أن يضع حداً لهذه الحرب، وكاد تعني أن النهاية لم تحصل فعلاً، وإنما هناك شيء قد أزاح عنها تلك النهاية التي كان جيش الإمام عليه السلام يرجوها.

وبينما هم كذلك كل يفكر في الأمر كما اتاحت له مقدرته على الفهم والبحث وإذا بالأب قد جلس بينهم ومعه ابتسامته التي تعبر عن حبه وسعادته بأسرته.

فقال الإبن الأوسط: حدثنا يا أبي عن ذلك اليوم.

قال الأب: كان يوماً شديداً لم ينسه كل من حضر تلك الحرب من الجانبين، وكذلك لم ينسه التاريخ بسرد تفاصيله، والحديث عن نهايته. وعن الأحداث التي أوجدها ذلك اليوم، كان الأشتر يستعجله بشوق وأمل. ويتحين الفرص والأيام ليثبته في سجل التاريخ. ففي يوم خرج الأشتر مالك

بن الحارث على فرس أدهم. مجنب سلاحه معلق على فرسه. وبيده الرمح. فأقام بين صفوف جماعته. ثم أقبل على فرسه حتى قام بين الصفين. فولى ظهره أهل الشام. وأقبل على من كان مقدماً عليهم بوجهه.

فحمد الله واثنى عليه. وصلى على النبيﷺ، ثم قال:

أما بعد، فإنه كان من قضاء الله وقدره اجتماعنا في هذه البقعة من الأرض، لآجال قد اقتربت. وأمور تصرمت. يسوسنا فيها سيد المسلمين. وأمير المؤمنين. وخير الوصيين. وابن عم نبينا. وأخوه ووارثه. وسيوفنا سيوف الله.

وبئسم إبن آكلة الأكباد، وكهف النفاق، وبقية الأحزاب. يسوقهم إلى الشقاء والنار.

ونحن نرجوا بقتالهم من الله الثواب. وهم ينتظرون العقاب. فإذا حمى الوطيس وثار القتال جالت الخيل بقتلانا وقتلاهم. رجونا بقتالهم النصر من الله. ثم تابع الأب حديثه قائلاً بعد صمت قليل:

وطال انتظار الأشتر لذلك اليوم، كما طال انتظار جيش الإمامعليه السلام له. وكان الأشتر ينظّم جماعته ويرتبهم استعداداً له. وفي يوم غلس أمير المؤمنينعليه السلام بالناس في صلاة الغداة، وكان ذلك اليوم هو الثلاثاء عاشر ربيع الأول من السنة السابعة والثلاثين للهجرة النبوية، ثم أمرعليه السلام جيشه بالاستعداد للزحف على جيش الشام.

فخرج مالك الأشتر من بين الجيش بكامل لامته، وشرع ينظم الجيش تحت رايات قبائلهم ومعاشره، ثم قال مخاطباً الناس:

الحمد لله الذي جعل فيكم إبن عم نبيكم. وأقدمهم هجرة. وأولهم إسلاماً، سيف من سيوف الله. صبه على أعدائه.

وتقدم الإمامعليه السلام وقال مخاطباً الناس:

معاشر المسلمين. استشعروا الخشية، وتجلببوا بالسكينة. وعضوا على النواجذ. فإنه انبى للسيوف على الهام، وأكملوا اللامة، وقلقلوا السيوف في اغمادها قبل سلها، والحظوا الحزر. واطعنوا الشزر. ونافحوا بالظبا. وصلوا السيوف بالخطا. واعلموا أنكم بعين الله ومع ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله. فعاودوا الكرّ واستحيوا من الفر. فإنه عار في الأعقاب. ونار يوم الحساب. وطيبوا عن أنفسكم نفساً، وامشوا على الموت مشياً سمجاً.

وعليكم بهذا السواد الأعظم، والرواق المطنب. فاضربوا ثبجة، فإنه الشيطان كامن في كسره. وقد قدم للوثبة يداً، وآخر للنكوص رجلاً، فصمداً صمداً، حتى تنجلي لكم عود الحق، وانتم الاعلون، والله معكم، ولن يتركم اعمالكم[1].

ثم كان الأمر بالهجوم.

وكان كل فرد فيه يحمل من الهمة والعزم ما يكفي الكثير، وكان الأشتر في ميمنة الجيش وعبد الله بن عباس في الميسرة، وأمير المؤمنينعليه السلام في القلب.

الإبن الأكبر يقطع حديث أبيه قائلاً: أن أمير المؤمنينعليه السلام دائماً في القلب، هو فيه ساعة المعركة وهوعليه السلام في القلب ساعة السلم. وهو في القلب حياً، وهو في القلب ميتاً.

فقال الأب: أحسنت يا ولدي. فهو في سويداء القلب دائماً، فهو القائد ساعة الحرب. وهو المرشد والمعلم والهادي ساعة السلم. هو في قلوب

(١) صفين للسيد محسن الأمين ص ٢٢٨ وروى القضاعي في دستور معالم الحكم هذه الخطبة باختلاف بسيط ص ١٢٤.

شيعته وفي ضمائرهم. لا ينسون له فضل ولا فضيلة، هو من علمهم حب الله تعالى ورسوله الكريم محمدﷺ، وهو من علمهم أن العبودية شيء كريه الا عبودية الإنسان لخالقه فهي العزة بكل معانيها، وهي الوفاء بكل أصوله، وهي الاعتراف بأن المنة لله تعالى وحده، وان السيادة له جل جلاله دون غيره.

ثم تابع الأب حديثه قائلاً: كان أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الحرب كما هو في كل ساحة قتال في مقدمة الجيش باذلاً النفس جهاداً في سبيل الله تعالى، وكما ذكرت لكم كان الأشتر في ميمنته وعبد الله بن عباس في الميسرة، وإستمر القتال من صلاة الغداة حتى ارتفاع الضحى من اليوم التالي.

الإبن الأوسط: وكيف كانوا يؤدون الصلاة يا أبي؟

الأب: كانوا لا يصلون الا تكبيراً لانشغالهم بالقتال. هكذا علمهم حبيب الله جل جلاله ورسوله الكريم محمدﷺ.

ثم تابع الأب حديثه بالقول:

وجد الأشتر ان الوقت قد حان بعد طول انتظار، فراح يصول صولة المؤمن الصادق المجاهد بكل ما يحمل من العزم والتصميم لتحقيق النصر، فأمر حامل رايته وهو حيان بن هوذة النخعي أن يتقدم بها، ثم يأمره ان يتقدم ثانية، وثالثة، ورابعة، وإستمر يدعوه إلى التقدم، حتى أصبحت الحرب خلف ظهره. تمور موراً بالموت الزؤام.. فقد شق جيش الشام مخترقاً صفوفه ومعه جماعته محيطين بحامل رايتهم. والاشتر يصيح بهم، ازحفوا قيد رمحي هذا، فيتقدم بمن معه موقعين بكل من يعترض تقدمهم موتاً محققاً، ثم يصيح الاشتر ثانية بمن معه: ازحفوا قاب هذا القوس... فيتقدمون ومعهم الأشتر يقتل كل من يقف أمامه أو يجسر على صده..

ثم يصيح الأشتر بمن معه: تقدموا، فداكم عمي وخالي... ازحفوا قيد رمحي هذا... ويتواصل الزحف. ويستمر التقدم.. والخيول حولهم

تتهاوى بفرسانها، والأشلاء تتطاير برماحها وسيوفها وتتزاحم القتلى على الأرض، ثم تتراكم الجثث بعضها فوق بعض.

كان الأشتر قد وضع هدفاً أمامه، وها هو الآن مجاهد في سبيل الوصول إلى ذلك الهدف، لأنه وجد فيه النهاية لهذه الحرب، وهذا البغي. وهذا الخروج عن السنة النبوية.

لم يبق على بلوغ الهدف الا ساعة أو أجزاء الساعة، ويصل الأشتر بكتيبته وقواته إلى خيمة رأس الفتنة، وإذا بمعاوية يجد كل من حول الخيمة يحرسه بين هارب من هذه النخبة التي نذرت نفسها لوضع هذه النهاية، وبين مقتول بسيوفهم أو رماحهم، فأخذ يصيح بمن كان على مقربة منه أن يقف بوجه الأشتر ومن معه، فكان بعضهم مطيعاً لمعاوية فيتقدم مسرعاً لينال جزاءه من حر الحديد. وبين من يعصيه حفاظاً على سلامته وحياته.

وبات النصر أكيداً يتراءى لكل ناضر لذلك الموقف، وأمسى الأشتر على مقربة من الشيطان الذي تلبس في جسم ذلك الطليق. وكان الأمل في النهاية يكبر في قلب الأشتر ومن معه في كل خطوة يخطونها للتقدم. وبات الإنكسار. ورهبة الموت تقترب من معاوية شيئاً فشيئا، وإذا بمعاوية يدير برأسه يمنة ويسرة، لا يدري ما يفعل، أيستسلم للقتل فيخسر ما خطط له طيلة كل هذه الأعوام التي مضت.

وفي لحظة ومعاوية بين الياس القاتل والأمل المصحوب بضياع الآمال، أدار برأسه يمنة ويسرة، وإذا به يرى عمرو بن العاص فنظر كل منهما للآخر. وكان ما في قلب معاوية مثل الذي في قلب عمرو، وبنظرة مصحوبة بالتوسل نظر بها معاوية عمرو بن العاص يستجدى منه ان يعمل فكره ويستعمل دهاءه عله يجد حيلة ينقذ بها الموقف ولو يحصل معاوية منها نفعاً قليلاً.

استجاب عمرو لنظرات التوسل التي نظره بها معاوية. فاعمل فكره.

واستحث دهاءه. فانجده بفكرة جلبت للمسلمين الويلات على مدى قرون من الزمان وإلى يومنا هذا.

الإبن الأكبر: وما هي هذه الفكرة يا أبي؟

الأب: هي فكرة رفع المصاحف.

الإبن الأكبر: وما عنها يا أبي؟

الأب: كانت فكرة عمرو هو ان يرفع معاوية المصاحف على الرماح ويطلب التحكيم إلى كتاب الله تعالى.

الا أن معاوية شك في أن تكون هذه الفكرة منقذة لهم مما هم فيه. فقال له عمرو: ارفع المصاحف على الرماح. وقولوا كتاب الله بيننا وبينكم، فان قبلوا ذلك جميعاً ارتفع القتال عنا. وأما ان قبل بعضهم ورفضها البعض الآخر، فقد تفرقوا وانقسموا على أنفسهم فيكون لنا بأنقسامهم راحة[١].

وقيل أن عمرو بن العاص قال: ان قبلوا التحكيم انقسموا وان ردوه اختلفوا.

كان الحال في تلك اللحظة مريراً على معاوية، فالمسافة بينهما لا تتعدى عدوة الفرس في أكبر تقدير. فكان لا بد من أن يتصرف معاوية وفقاً لرأي عمرو بن العاص، فأمر برفع المصاحف، ونادى مناديه: ان هذا الكتاب الله بيننا وبينكم، فالتحاكم إلى كتاب الله.

وهنا ظهر دور الأشعث بن قيس. ومن حذى حذوة، فطلب من الإمام عليه السلام ان يوقف القتال من وقته، وأن يوافق على ما عرضه معاوية ومن معه في أن يحكم القرآن بين الجانبين، وان على الإمام عليه السلام أن يستدعي الأشتر...

---

(١) تاريخ إبن خلدون حـ ٢.

فحاول أمير المؤمنينعليه السلام أن يفهمهم خطأ ما ارتأوه، وما عليهم الا أن يتركوا الأشتر في صولته لأن في ذلك نهاية للبغي وموتاً للباغين.

فأصر الأشعث ومن معه على رأيهم، ونسوا أن أمير المؤمنين مفترض الطاعة. ولا يجوز الرد عليه. أو حتى رفع الصوت بحضرته.

ومع كل ذلك. فقد حاول الإمام معهم كثيراً، ومن قول لهعليه السلام رداً على ما كانوا قد بدوه من اختلاف قال فيه:

عباد الله. امضوا إلى حقكم وصدقكم وقتال عدوكم. فإن معاوية وعمرو وإبن أبي معيط وحبيباً وإبن أبي سرح والضحاك. ليسوا أصحاب دين ولا قرآن... أنا أعرف بهم منكم. وقد صحبتهم اطفالاً ثم رجالاً، فكانوا شر أطفال وشر رجال.

ويحكم... ما رفعوها الا خديعة ووهناً ومكيدة.

ما كانت كلمات الإمامعليه السلام برادتهم عن عزمهم. فاصروا على إمامهم بوجوب استدعاء الأشتر. وكانت لهجتهم هذه المرة فيها خشونة ظاهرة، فأعاد أمير المؤمنين عليهم النصح فقال: أنا أحق من يجيب إلى كتاب الله. ولكني أعرف بهم منكم.

أنها كلمة حق يراد بها باطل.

اني ما قاتلتهم الا ليدينوا بحكم القرآن، فكيف أرفض اليوم حكمه.

ان القوم لم يرفعوا المصاحف لأنهم يريدون القرآن، إنما هي الخديعة والوهن والمكيدة.

فاعيروني سواعدكم ساعة واحدة. فقد بلغ الحق مقطعة.

لم ينتفعوا من قول إمامهم. ولم يسلكوا طريق الحق الذي ابانه لهم. وكأنهم بفعلهم هذا كانوا على اتفاق مسبق مع معاوية في انجاح هذا العرض،

وان وجدوا معارض له. يفرضوه فرضاً. وان لزم الأمر في ذلك، إلى ان يستخدموا ما لا يعقل استخدامه.

ومع ذلك فقد إستمر أمير المؤمنين في مناظرتهم أملاً منه في اصلاح ما سببه عرض معاوية بن أبي سفيان. ومن قوله عليه السلام لهم:

هذا أمر ظاهرة إيمان. وباطنه عدوان، وأوله رحمة، وآخره ندامة، فاقيموا على شأنكم. وألزموا طريقكم. وعضوا على الجهاد بنوا جذكم. ولا تلتفتوا. إلى ناعق نعق، أن أجيب أذل وأن ترك ذل.

وتوسع الخلاف. واشتد الجدال ووصل الحال إلى ما لا يحمد. وبقي الإمام عليه السلام ناصحاً ومرشداً. فقال لهم:

أنا أعلم بما في كتاب الله. انفروا إلى بقية الأحزاب. انفروا إلى من يقول كذب الله ورسوله، وأنتم تقولون صدق الله ورسوله.

فقالوا لأمير المؤمنين عليه السلام بما يشبه التهديد: لترجعن الأشتر عن قتال المسلمين[1] ووصل الحال ذروة الخلاف والعناد، فأرسل الإمام عليه السلام من يستدعي الأشتر. ووصل المرسل إلى الأشتر، واعلمه الخبر، ونقل إليه قول أمير المؤمنين عليه السلام فقال له الأشتر: ارجع وانبئهم. أنها لحظات وينتهي كل شيء... فكيف أعود؟

وعاد الرسول واعلم أمير المؤمنين عليه السلام برد الأشتر. فقال الأشعث... استدع الأشتر الآن...

وتوسع الأمر، وبلغ بهم الحال أن هددوا أمير المؤمنين عليه السلام بالقتل. أو تسليمه لمعاوية.

---

(١) الملل والنحل ص ١١٤.

وهنا وجد أمير المؤمنين أن من الأصلح استدعاء الأشتر. وموافقته على التحكيم والا سيكون الحال بمنتهى الخطورة. لأن من يقدم على قتل الإمامعَلَيْهِ السَّلَامُ لا يردعه رادع في أن يقيمها حرباً. وبذلك ستكون قتلى كثيرون، وقد يؤدي الحال إلى أن تدثر كثير من معالم الإسلام.

وهنا صدر أمر الإمامعَلَيْهِ السَّلَامُ للأشتر بالعودة، وذهب الرسول وأبلغه إياه فاطاع الأشتر امامه، ونفذ الأمر وعاد بمن معه. وبوصوله قال مخاطباً الناس بقوله: حين علوتم القوم فظنوا انكم لهم قاهرون، رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها. وقد والله تركوا ما أمر الله فيها. وسنة من أنزلت عليه.. فلا تجيبوهم... امهلوني فواقاً، فاني قد أحسست بالفتح.

قالوا: لا.. فقال الأشتر: فامهلوني عدوة الفرس. فاني قد طعمت النصر..

وبقي القوم على ذاك الإصرار وذاك العناد. فالتفت لسيده أمير المؤمنينعَلَيْهِ السَّلَامُ وقال: يا أمير المؤمنين. احمل الصف على الصف يصدع القوم.

لم يوافقه أمير المؤمنينعَلَيْهِ السَّلَامُ على رأيه، لأنه يعرف جيداً أن فعل ذلك فستكون العاقبة بغير ما يريد لها أن تكون.

ودار جدال كبير... وامتد الجدال حتى شمل كل الجند، فهم بين مؤيد للأشعث وبين مطيع للإمامعَلَيْهِ السَّلَامُ، وهذا ما خطط له عمرو بن العاص، فقد حلّ خلاف شديد بين صفوف جيش العراق، واعطى لمعاوية فرصة كافية في جرّ الأنفاس وإعادة التنظيم.

ولكي يفض أمير المؤمنينعَلَيْهِ السَّلَامُ هذا النزاع وافق على تحكيم القرآن الكريم. وهنا صاح الأشعث: أن أمير المؤمنين عليعَلَيْهِ السَّلَامُ قد قبل الحكومة. ورضي بحكم القرآن.

فقال الأشتر: أن كان قد قبل ورضي أمير المؤمنين علي عليه السلام، فقد رضيت بما رضي[1].

كان الأذى ظاهراً على ملامح أمير المؤمنين. لأنه كما قال لهم: اعرف بمعاوية ومن معه أكثر منهم. هو يعرفهم أنهم اتخذوا التحكيم إلى كتاب الله حجة تنقذهم من وقوع النهاية، وان أنصار أمير المؤمنين عليه السلام لمسوا هذا الأذى فيه. فقال عدي بن حاتم الطائي:

يا أمير المؤمنين. ان كان أهل الباطل لا يقومون بأهل الحق. فإنه لم يصب عصبة منا إلا وقد أصيب مثلها منهم. وكل معشر مقروح. ولكنا أمثل بقية، وقد جزع القوم. وليس بعد الجزع إلا ما تحب. فناجز القوم.

ثم قال الأشتر: أن معاوية لا خلف له من رجاله، ولك بحمد الله الخلف. ولو كان له مثل رجالك. لم يكن له مثل صبرك ولا بصرك. فاقرع الحديد بالحديد. واستعن بالله الحميد.

وهنا أحس الأشعث بن قيس بقبح ما قام به هو ومن معه، فحاول ان يختلق له ولغيره الأعذار، فقال:

يا أمير المؤمنين. أنا لك اليوم على ما كنا عليه أمس. وليس آخر أمرنا كأوله. وما في القوم أحد حتى على أهل العراق ولا أوتر لأهل الشام مني. فأجب القوم إلى كتاب الله. فأنك أحق به منهم.

فقام عمرو بن الحمق الخزاعي فقال: يا أمير المؤمنين، إنا قد اخترناك، ولا نصبناك عصبية على الباطل، ولا أجبنا إلا الله عز وجل. ولا طلبنا إلا الحق. ولو دعانا غيرك إلى ما دعوتنا لكان فيه لجاج. وطالت فيه النجوى، وقد بلغ الحق مقطعه. وليس لنا مثل رأيك رأي[2].

---

(١) صفين للسيد محسن الأمين ص ٢٣١ ـ ٢٣٦ فراجع.

(٢) حرب صفين السيد محسن الأمين ص ٢٣١ ـ ٢٣٦.

فقام أمير المؤمنين علي عليه السلام فقال:

أيها الناس. أنه لم يزل أمري معكم على ما أحب. حتى نهكتكم الحرب. وقد والله، أخذت منكم وتركت. وهي لعدوكم أنهك.

لقد كنت أمس أميراً، فأصبحت اليوم مأموراً، وكنت أمس ناهياً، فأصبحت اليوم منهياً، وقد أحببتم البقاء. وليس لي أن احملكم على ما تكرهون[1].

فقام من ربيعة كردوس بن هاني البكري، فقال:

أيها الناس، أنا والله ما تولينا معاوية منذ تبرأنا منه. ولا تبرأنا من علي منذ توليناه. وأن قتلانا لشهداء، وان احياءنا لأبرار. وان علي لعلى بينة من ربه، وما أحدث الا الأنصاف. وكل محق منصف. فمن سلم له نجا. ومن خالفه هلك.

فقام شقيق بن ثور البكري فقال:

أيها الناس، إنا دعونا أهل الشام إلى كتاب الله فردوه علينا. حل لهم منا ما حل لنا منهم. ولسنا نخاف ان يحيف الله علينا ولا رسوله صلى الله عليه وآله، وان علياً ليس بالراجع الناكص. ولا الشاك الواقف. وهو اليوم على ما عليه أمس.

ثم قام حريث بن جابر البكري فقال:

أيها الناس، ان علياً لو كان حلفاً من هذا الأمر لكان المفزع إليه. فكيف وهو قائده وسائقه. وإن الله ما قبل من قوم اليوم الا ما دعاهم إليه أمس. ولو رده عليهم كنت له أعنت.

وقام خالد بن المعمر فقال:

(١) نهج البلاغة محمد عبده جـ ٣ ص ٣٩٩.

يا أمير المؤمنين، انا لا نرى البقاء الا فيما ادعاك إليه القوم. أن رأيت ذلك، وان لم ترّ فرأيك أفضل.

وقام الحصين بن المنذر الرقاش. وهو من أصغر القوم سناً، فقال:

أيها الناس. ان لنا علياً راعياً قد حمدنا ورده وصدره. وهو المصدق على ما قال. المأمون على ما فعل. فأقال لا. قلنا لا. وان قال نعم، قلنا نعم.

الإبن الأكبر: ان الذي أعجب منه يا أبي أنهم أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وأنصاره، وهم بالتأكيد يعرفون فضله وعقله وحكمته وعلمه، إضافة إلى ما قال فيه الله تعالى ورسوله الكريم محمد صلى الله عليه وآله، فكيف سمحوا لأنفسهم بمخالفته يا أبي؟

الأب: لم يكن كل الناس سواء قديماً أو حديثاً بنفس الحكمة والعقل والإيمان. وهم حينما خالفوه فعقلهم وحكمتهم وإيمانهم أباح لهم ذلك. ثم لا تنس يا ولدي، أن كثيراً من الناس من لأصبر لهم على تحمل الصعاب. وخير دليل لنا على ذلك. هروب المسلمين في معركة احد وتركهم لرسول الله صلى الله عليه وآله ومعه القلة القليلة من الناس يقاتلون وحدهم ذلك الجيش الجرار.

الإبن الأوسط: وما حكمة أمير المؤمنين عليه السلام حين وافقهم على رأيهم يا أبي؟

الأب: ذكرت لكم سابقاً أنه عليه السلام تلافياً لما يخفيه ذلك الخلاف على التحكيم من أمور ليست من صالح الإسلام والمسلمين لذلك وافقهم على التحكيم.

الإبن الأكبر: وما يخفي ذلك الخلاف يا أبي؟

الأب: ان في صفين وكما في حرب الجمل راح من المسلمين

المخلصين الأوفياء اعداد كبيرة. ولم يبق معه عليه السلام سوى القلة من حملة الفكر المحمدي الصادق، فإن توسع الاختلاف وادى إلى أن يتقاتل جيش الإمام بعضه مع بعض ربما لا تبقى هذه النخبة الخيرة، وبذلك ستختفي سنة رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا يبقى سوى الذي حوروا كثيراً من تعاليم الدين.

الإبن الأكبر: وكيف اتفقوا على التحكيم يا أبي؟

الأب: ما رأيكم أن أستريح يا أبنائي ونؤجل حديثنا إلى غد إن شاء الله.

قال الأبناء: كماتحب يا أبي.

«اليوم السادس والعشرين»

«الموادعة»

جلس الأب وأبنائه في غرفة الضيوف استعداداً للحديث. وبدأ الأب حديثه قائلاً: لم يصدق معاوية ما آلت إليه الأحداث. فبعد أن وصل به الحال إلى التفكير فقط بسلامته. وإذا به الآن قد عادت آماله من جديد وكأن شيئاً لم يحدث. فبعث لأمير المؤمنين عليه السلام بكتاب منه يحدث الإمام عليه السلام بكيفية إجراء التحكيم وأنه اختار عمرو بن العاص حكما عن الشام ويطلب من الإمام عليه السلام أن يختار حكماً عنهم.

كان رأي أمير المؤمنين عليه السلام أن يكون عبد الله بن عباس حكما عن العراق. لما يتمتع به من علم في الكتاب والتفسير وما يحمل من عقل وحكمة.

وإذا بالفئة التي فرضت قبول التحكيم فرضاً تعترض على أمير المؤمنين لاختيار إبن عباس. وطالبين أن يكون الحكم عن العراق أبو موسى الأشعري. فحاول أمير المؤمنين عليه السلام ان يفهمهم ان التحكيم يحتاج لرجل له علم في الكتاب والسنّة ويتمتع بقدر كبير من الذكاء والفطنة وأن ذلك غير متوفر في أبي موسى.

وإذا بهم يصرون على أن يكون أبو موسى هو من يمثل العراق في التحكيم. وتعصبوا لهذا الأمر كما سبق وإن تعصبوا على وجوب قبول التحكيم.

وهنا استوجب أن يتوقف المسلم قليلاً، ويبحث الأمر جيداً، فهو لا يخلو من اتفاق مسبق مع معاوية وأنصاره لجعل الأمر بصالح معاوية. ولو كان غير ذلك فما يمنعهم أن يكون إبن عباس هو الحكم بينهم أم غير إبن عباس. فمن قول قاله طه حسين: ان اصرارهم على انتخاب الأشعري لم يأت مصادفة، وإنما كان مؤامرة قد دبرت بين طلاب الدنيا من أصحاب علي وأصحاب معاوية[١].

الإبن الأكبر: ومن هو موسى الأشعري يا أبي؟

الأب: هو عبد الله بن قيس يا ولدي. لم يكن في حياته موافقاً لأمير المؤمنين عليه السلام.

ثم تابع الأب حديثه: وعاد الخلاف بين صفوف جيش الإمام عليه السلام من جديد. فداوم أمير المؤمنين عليه السلام على نصحهم وإرشادهم لما هو خير لهم. فقال عليه السلام:

(ان القوم اختاروا لأنفسهم أقرب القوم مما يحبون. وانكم اخترتم لأنفسكم أقرب القوم مما تكرهون. وإنما عهدكم بعبد الله بن قيس بالأمس يقول: أنها فتنة فقطعوا أوتاركم. وشيموا سيوفكم.

فإذا كان صادقاً فقد أخطأ بمسيرة غير مستكره. وإن كان كاذباً فقد الزمته التهمة، فادفعوا في صدر عمرو بن العاص بعبد الله بن العباس. وخذ مهل الأيام. وحوطوا قواسي الإسلام. الا ترون إلى بلادكم تغزى، وإلى صفاتكم ترمى[٢].

---

(١) علي وبنوه طه حسين ص ٩٠.

(٢) نهج البلاغة محمد عبده جـ ٣ ص ٤٣٨ ـ ٤٣٩.

وبدأ جدال واسع بين الجند. وبدأ الخلاف من جديد، وكأن أحداث رفع المصاحف عادت، وفي مثل هكذا أمر حتى العاقل الحكيم يقف في حيرة من أمره، وقد يُتخذ قراراً حينها كما أراد الأشتر حين طلب من أمير المؤمنين عليه السلام قائلاً: فاقرع الحديد بالحديد. أو كما طلب الصحابي عدي بن حاتم الطائي فقال: فناجز القوم.

غير أن أمير المؤمنين علياً ما هو بالشخص العادي وإنما هو من شرب العقل والحكمة مع اللبن الذي غذته فاطمة بنت أسد. تلك المرأة الهاشمية، ومن أمر الله تعالى رسوله الكريم محمد صلى الله عليه وآله بأن يقربه ليعي.

فاختار أمير المؤمنين صلى الله عليه وآله عند تعامله معهم العقل والحكمة والنصح. ثم أن أصروا يختار أقل الأمور ضرراً.

وبينما الناس في جدال كبير حول من هو الذي يمثل العراق في التحكيم. جاء الأحنف بن قيس التميمي إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين، إني قد عجنت هذا الرجل (يعني أبا موسى)، فوجدته كليل الشفرة، قريب القعر. وأنه رجل يماني. وقومه مع معاوية، وأنه لا يصلح لهؤلاء القوم الا رجل يدنو منهم حتى يكون في أكفهم. ويتباعد عنهم حتى يكون بمنزلة النجم.

فإن شئت أن تجعلني حكماً فاجعلني. وإن قلت إني لست من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فابعث رجلاً من أصحابه غير عبد الله بن قيس واجعلني معه ثانياً أو ثالثاً، فإنه لا يعقد عقدة الا حللتها. ولن تحل عقدة الا عقدتها، وعقدت لك أخرى أشد منها.

فعرض الإمام إسم الأحنف بن قيس التميمي على الناس فأبى الأشعث ومن معه من المخالفين الا أبا موسى الأشعري.

فقال لهم أمير المؤمنين عليه السلام: قد أبيتم الا أبا موسى؟ قالوا: نعم. قال عليه السلام: فاصنعوا ما أردتم.

الإبن الأكبر: أن هذا الأمر مؤلم يا أبي، أي أصحاب هم؟ كأنهم هم أولياء الأمر. وهم القادة، بل وهم الإمام. وكأن أمير المؤمنين عليه السلام رجل من العامة انضم تحت لوائهم وقيادتهم.

الأب: وهل نسيت قول أمير المؤمنين عليه السلام لليهودي، ألم يكن أمر التحكيم واحداً من الأمور التي امتحن الله تعالى بها وصي رسوله صلى الله عليه وآله، وكما تعلم يا ولدي ان الصبر على الابتلاء والمحن، من الحكمة والإيمان. وهو يثاب عليها أحسن الثواب. وهذا ما يريده كل مسلم مؤمن تقي.

ثم تابع الأب حديثه قائلاً: واعلم يا بني ان طاعة أمير المؤمنين علي عليه السلام مفروضة على كل مسلم ومسلمة حتى وإن لم يكن خليفه. وهذا ما جاء في كتاب الله وسنّة نبيه الكريم محمد صلى الله عليه وآله.

فقال الإبن الأكبر: مثل ماذا يا أبي؟

الأب: قال تعالى: يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول والي الأمر منكم. وقال تعالى: إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون.

ومن حديث لرسول الله صلى الله عليه وآله قال فيه: ان هذا أخي ووصيي وخليفتي من بعدي فاسمعوا له واطيعوا[١] وقوله صلى الله عليه وآله: إني تركت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي آل بيتي ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً[٢].

الا يعني هذا وجوب اطاعة أولي الأمر الذين أوجب الله تعالى علينا طاعتهم. وهم علياً وآل بيت النبي الأطهار.

---

(١) تاريخ الطبري حـ ٢ ص ٣١٩ وتاريخ إبن كثير حـ ٢ ص ٦٢.
(٢) اخرجه الترمذي في صحيحة حـ ٢ ص ٣٢٩ كما وأخرجه النسائي وأحمد ورواه إبن هشام في سيرته.

ثم تابع الأب حديثه: خالفوا أمامهم أمير المؤمنين علي عليه السلام في مسألة التحكم وفي من يكون حكماً عنهم. وحينما يئس أمير المؤمنين منهم قال لهم: اصنعوا ما أردتم، وكانت إرادتهم كما علمنا هو ان يكون أبو موسى الأشعري حكماً عن العراق.

وتم الاتفاق مع أهل الشام على أن يكون أبو موسى الأشعري حكماً عن العراق. وعمرو بن العاص حكماً عن الشام. وان يعتمدا في حكمهما كتاب الله تعالى وسنه رسوله الكريم محمد صلى الله عليه وآله، ثم كتبوا بينهم كتاب الموادعة هذا:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما تقاضى عليه أمير المؤمنين على بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان...

فلما قرأ معاوية الكتاب قال: بئس الرجل أنا إن اقررت أنه أمير المؤمنين ثم اقاتله.

لم يوافق معاوية ان يقال عن علي عليه السلام: أمير المؤمنين، حتى وإن كان اختياره قد تم من قبل خيرة المهاجرين والأنصار.

لقد أعاد التاريخ نفسه. ولم تكن الحديبية ببعيدة عن المسلمين فهم يتذكرون جيداً.

كيف رفض المشركون أن يكتب جنب إسم النبي صلى الله عليه وآله: رسول الله. وحينما لم يشأ علي عليه السلام ان يمحو كلمة رسول الله. قال له النبي صلى الله عليه وآله: فان لك مثلها تعطيها وأنت مقهور[1] وها هي الآن قد حصلت مثل ما حصل في الحديبية.

---

(١) السيرة الدحلانية هامش الحلبية جـ ٢ ص ٢١٢ والأخبار الطوال للدينوري ص ١٩٤.

واعطاها علي عليه السلام وهو مقهور. . .

وكتب في الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان وشيعتهما فيما تراضيا به من الحكم بكتاب الله وسنّة نبيه صلى الله عليه وآله، قضية علي على أهل العراق ومن كان معه من شيعته من شاهد وغائب. وقضية معاوية بن أبي سفيان على أهل الشام. ومن كان معه من شيعته. أنا ننزل حكم القرآن فيما حكم به، ونقف عند أمره فيما أمر، ولا يجمع بيننا الا ذاك. وانا جعلنا كتاب الله حكماً فيما بيننا فيما اختلفا فيه من فاتحته إلى خاتمته، نحيي ما أحيا، ونميت ما امات.

على ذلك تقاضينا. وبه تراضينا. فما وجد الحكمان في كتاب الله بيننا وبينكم فانهما يتبعانه. وما لم يجداه في كتاب الله اخذا بالسنة العاملة الجامعة غير المعروفة، وإن علياً وشيعته رضوا أن يبعثوا عبد الله بن قيس ناظراً ومحاكماً، كما رضي معاوية وشيعته أن يبعثوا عمرو بن العاص ناظراً ومحاكماً. واخذوا عليهما عهد الله وميثاقه. وأعظم ما أخذ الله على أحد من خلقه ليتخذا الكتاب إماماً فيما بعثا له. لا يعدوانه إلى غيره في الحكم بما وجداه فيه مسطوراً. وما لم يجداه في الكتاب رداه إلى سنّة الرسول الجامعة، ولا يعتمدان لها خلافاً. ولا يتبعان في ذلك لهما هوى، ولا يدخلان في شبهه.

وأخذ عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص على علي ومعاوية عهد الله وميثاقه بالرضى بما حكما به من كتاب الله وسنّة نبيه صلى الله عليه وآله، وليس لهما أن ينقضا ذلك. ولا بالغاه إلى غيره. وانهما امناه في حكومتهما على دمائهما وأموالهما واهلهما ما لم يعدو الحق. رضى بذلك راض أو أنكره منكر. وإن

الأمة أنصار لهما على ما قضيا به من العدل.

فإن توفي أحد الحكمين قبل انقضاء الحكومة، فأمر شيعته وأصحابه يختارون مكانه رجلاً، لا يألون عن أهل المعدلة والاقساط على ما كان عليه صاحبه من العهد والميثاق. والحكم بكتاب الله وسنّة نبيه ﷺ، وله مثل شرطة، وان مات أحد الأميرين من قبل القضاء فلشيعته أن يولوا مكانه رجلاً يرضون عدله.

وقد وقعت القضية ومعها الأمن والتفاوض. ووضع السلاح والوداعة. وعلى الحكمين عهد الله وميثاقه أن لا يألوا جهداً، ولا يعتمدوا جوراً، ولا يدخلا في شبهه. ولا يعدوا حكم الكتاب وسنّة الرسول ﷺ، فإن لم يفعلا برئت الذمة من حكمهما، ولا عهد لهما ولاذمه.

وقد وجبت القضية على ما سمي في هذا الكتاب من مواقع الشروط على الأميرين وعلى الحكمين. والفريقين. والله أقرب شهيداً، وأوفى حفيظاً، والناس آمنون على أنفسهم وأهليهم وأموالهم مدة الأجل. والسلاح موضوع. والسبل مخلات، والغائب والشاهد الفريقين سواء في الأمن، وللحكمين ان ينزلا منزلاً عدلاً بين أهل العراق وأهل الشام. ولا يحضرهما فيه إلا من أحيا عن ملأ منهما وتراض.

وان المسلمين قد أجلوا القاضيين إلى انسلاخ شهر رمضان. فإن رأى الحكمان تعجيل الحكومة فيما وجهاله عجلاه. وإن أرادا تأخيرهما بعد شهر رمضان إلى انقضاء الموسم. فالمسلمون على أمرهم الأول في الحرب. ولا شرط بين واحد من الفريقين.

وعلى الأمة عهد الله وميثاقه على التمام والوفاء بما في الكتاب. وهم يد على من أراد فيه الحاداً وظلماً أو حاول نقضاً.

وشهد بما في الكتاب من أصحاب علي:

عبد الله بن عباس. والأشعث بن قيس. والأشتر مالك بن الحارث. وسعيد بن قيس الهمداني. والحصين إبن الحارث بن عبد المطلب. والطفيل بن الحارث بن عبد المطلب. وأبو اسيد ربيعة بن مالك الأنصاري. وعوف إبن الحارث بن عبد المطلب. وبريده السلمي. وعقبه بن عامر الجهني. ورافع بن خديج الأنصاري، وعمرو بن الحمق الخزاعي. والحسن والحسين إبنا علي بن أبي طالب. وعبد الله بن جعفر الطيار. والنعمان بن عجلان الأنصاري. وحجر بن عدي الكندي، وورقاء بن مالك بن كعب الهمداني. وربيعة بن شرحبيل وأبو صفرة بن يزيد، والحارث بن مالك الهمداني، وحجر بن يزيد، وعقبة بن حجيه.

وشهد بما في الكتاب من أصاب معاوية:

حبيب بن مسلمة الفهري. وأبو الأعور بن سفيان السلمي، وبسر بن أرطأه القرشي، ومعاوية ابن خديج الكندي، والخارق بن الحارث الحميري، ودعبل بن عمرو السكسكي، وعبد الرحمن بن خالد إبن الوليد، وحمزة بن مالك الهمداني. وسبيع بن يزيد الهمداني. ويزيد بن الحر الثقفي. ومسروق ابن حرملة، وخالد بن المعرض بن يزيد الجرمي، وعبد الله بن عامر القرشي. ومروان بن الحكم، والوليد بن عقبة، وعتبة بن أبي سفيان، ومحمد بن أبي سفيان. ومحمد بن عمرو بن العاص. ويزيد بن عمر والجذامي، وعمار بن الأحوص الكلبي، وسعد بن عمر اللجيبي، والحارث بن زياد القيني. وعاصم بن المنتشر، وعلقمة بن حكيم، وحمزة بن مالك[1].

وان بيننا على ما في هذا الصحيفة عهد الله وميثاقه.

وكتب عميرة: يوم الأربعاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من صفر سنة سبع

---

(١) ذكر قريباً من ذلك أبو حنيفة الدنيوري في كتابه الأخبار الطوال ص ١٩٤ ـ ١٩٦.

وثلاثين للهجرة، وفي بعض المصادر: يوم الثالث عشر من شهر صفر سنة سبع وثلاثين للهجرة.

واتعد الحكمان اذرح. وان يجيء علي عليه السلام بأربعمئة من أصحابه، ويجيء معاوية بأربعمئة من أصحابه. يشهدون الحكومة. والأجل شهر رمضان، لثمانية أشهر.

وكان في أعلى الكتاب خاتم علي عليه السلام، وفي أسفله خاتم معاوية بن أبي سفيان. ثم خرج الأشعث بن قيس وقرأ الكتاب على الناس.

فهاج بعضهم. واعترض على ما في الكتاب، ثم اقبل جمع كبير منهم على أمير المؤمنين عليه السلام مستنكرين للحكومة، وطلبوا من أمير المؤمنين عليه السلام نقض العهد، والرجوع إلى الحرب.

فقال لهم أمير المؤمنين عليه السلام:

ويحكم، أبعد الرضاء والميثاق والعهد: نرجع؟ أليس الله تعالى قال: أوفوا بالعقود. وقال جل جلاله أيضاً: أوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الإيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا.

الإبن الأكبر: ما هذا يا أبي؟ أي أصحاب هؤلاء؟ هم فرضوا عليه قبول التحكم. وفرضوا عليه أن يكون الحكم عنهم أبو موسى الأشعري، والآن يريدون فض الاتفاق ونقض العهد؟

الأب: نعم يا ولدي، لقد ابتلي أمير المؤمنين بكثير من الأصحاب من هذا النوع، وهم الذين مرقوا من الدين كمروق السهم. وكانت فتنتهم اشد خطراً على الإسلام. فقد شذوا عن الطريق الحق الذي كانوا سائرين فيه خلف أمير المؤمنين علي عليه السلام، وهم يصيحون لا حكم الا الله. وصيحتهم هذه مثل صيحة معاوية وأنصاره يوم رفعوا المصاحف، هؤلاء يقولون: لا حكم

إلا الله. وأولئك صاحوا: كتاب الله حكماً بيننا وبينكم. وصيحتهما معاً كانت كلمة حق يراد بها باطل.

الإبن الأكبر: وكم دامت حرب صفين هذه يا أبي؟

الأب: لقد دامت المئة والعشرة أيام، وكانت فيها تسعون وقعة. وكانت بين شديدة وباردة، وكان آخرها ليلة الهرير.

الإبن الأكبر: وما كان من أمر التحكيم يا أبي؟

الأب: سنتحدث عن التحكيم يوم غد إن شاء الله.

«اليوم السابع والعشرين»

«التحكيم»

كان الأب يحدث نفسه عن الأمل والتمني. وقد تولدت هذه التأملات لديه من النخبة الخيرة التي عاشت مع أمير المؤمنين عليه السلام كل أحداث صفين. وخصوصاً ما كان في مسألة التحكيم وموضوع الحكمين. حيث تولد في نفوس الكثير منهم املاً في أن يحكم الحكمين بما يفرض عليهم كتاب الله تعالى وسنّة رسوله الكريم محمد صلى الله عليه وآله، وهو بقدر ما كان املاً في نفوسهم فهو أمنية لهم.

ومعلوم أن كل أمل أو أمنية يمكن الحكم عليها مسبقاً في أنها ممكنة الحصول أو غير ممكنة، وهذا الحكم ناتج عن قراءة للأحداث ومعرفة للعوامل التي ترافقها. إذ من غير الممكن تحقيق أمل معين لم تتوفر له العناصر التي تساعد على تحقيقه ليكون حقيقة بعد أن كان أمنية.

وأمنية أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام في الحكمين غير واردة التحقيق لجملة من الأمور. منها أن الحكمين غير عالمين بالقرآن. والسنّة النبوية الشريفة.

وانهما غير منزهين من الأهواء. وغير المنزه من الأهواء لا يمكن أن يصدر حكماً عادلاً لا تأثير للهوى فيه.

وانهما على غير هدى أمير المؤمنين علي عليه السلام ان لم نقل عنهما انهما مبعضا لعلي عليه السلام، وانهما في أقل تقدير ان احدهما على هوى معاوية بن أبي سفيان. وهذا يعني أنهما ليسا محايدين.

وهذه الأمور هي أقل ما يمكن أن يقال عنها أنها ميزة للحكمين. وبالتالي فهي تكفي أن لا تساعد على تحقيق الأمل الذي كان يراود أنصار أمير المؤمنين عليه السلام في أن يتحقق من جراء حكمهما.

أما أمير المؤمنين عليه السلام ومن أتبعه وآمن بصحة حكمه فقد كانوا مؤمنين أن الحكومة هذه فاشلة ولا تحقق العدل المرجو منها، وان أمرها فرض فرضاً، والموافقة عليها حصل عنوة ودون رغبة أو رضى. وهي لا تتعدى أن تحسب لها الأيام وبمجرد أن تعقد. يعود الأمر على ما كان عليه قبل صفين.

ألا أن الأمر المؤلم هو أن أنصار علي عليه السلام بعد أن كانوا جمعاً كبيراً صاروا الآن أقل عدداً، وإن الحرب في صفين، والحروب التي ستتولد من جراء الخلافات التي حدثت ستأخذ من أنصار أمير المؤمنين جانباً كبيراً من الهمة والعزم. وهذا يعني أن أمر حرب أهل الشام سيكون شاقاً أكثر من ذي قبل.

كل هذه الأفكار كانت قد وردت على مخيلة الأب قبل أن يحضر أبناءه. وقبل أن يبدأ حديثه معهم، وما ان حضروا حتى قال الإبن الأوسط: حدثنا يا أبي عن التحكيم وما وصل إليه الأشعري وابن العاص؟

الأب: ما ان اتفق الجانبان على التحكيم ووقت إقامته حتى عاد أمير المؤمنين عليه السلام ومن معه إلى الكوفة، وهو عليه السلام في أوائل الكوفة إذ وجد قبراً. فقال عليه السلام: قبر من هذا؟ قالوا: قبر خباب بن الأرث. فوقف أمير

المؤمنين عليه السلام وقال: رحم الله خباباً، اسلم راغباً وهاجر طائعاً وعاش مجاهداً. وابتلى في جسمه آخراً. الا وإن الله لا يضيع آجر من أحسن عملاً.

ثم مشى عليه السلام . . . فإذا هو بقبور. . . فجاء حتى وقف عليها. وقال عليه السلام السلام عليكم أهل الديار الموحشة. والمحال المقفرة. انتم لنا سلف. ونحن لكم تبع. وبكم عما قليل لاحقون.

الهم اغفر لنا ولهم. وتجاوز عنا وعنهم.

طوبى لمن ذكر المعاد. وعمل ليوم الحساب. وقنع بالكفاف. ورضي عن الله تعالى.

ثم قال عليه السلام : يا أهل القبور: أما الأزواج فقد نكحت. وأما الديار فقد سكنت، وأما الأموال فقد قسمت، وهذا ما عندنا. . فما عندكم؟

ثم التفت إلى أصحابه، وقال عليه السلام : أما انهم لو تكلموا لقالوا: وجدنا خير الزاد التقوى؟

الإبن الأكبر: أرى يا أبي أن الموت خير مؤدب للإنسان يبعده عن فعل المنكر.

الأب: نعم يا ولدي هو خير مؤدب للإنسان المؤمن الذي يؤمن إن الإنسان لا بد وأن يدركه الموت ويقف للحساب عن كل صغيرة وكبيرة. وإنه سينال جزاءه على ما قدم وأخر. فإما الجنة وإما النار.

ولوا معن الإنسان النظر في هذه الحياة الدنيا. واستخدم عقله. لوجدها كما قال أمير المؤمنين عليه السلام عنها: ما أصف لك من دار. من صح فيها سقم. ومن أمن فيها ندم. ومن افتقر فيها حزن. ومن استغنى فيها افتتن. في حلالها الحساب، وفي حرامها العقاب.

وقال عليه السلام فيها أيضاً: أولها عناء. وآخرها فناء. في حلالها حساب،

وفي حرامها عقاب. من استغنى فيها فتن. ومن افتقر فيها حزن. ومن ساعاها فاته. ومن قعد عنها اتته. ومن بصر بها بصرته. ومن أبصر إليها أعمته.

وقالعَلَيْهِ السَّلَامُ: ما ألين مسها وفي جوفها السم الناقع. يحذرها الرجل العاقل. ويهوى إليها الصبي الجاهل.

ولهعَلَيْهِ السَّلَامُ فيها قوله: دار بالبلاء محفوفة، وبالغدر معروفة، لا تدوم أحوالها. ولا يسلم نزالها. أحوال مختلفة. وثارات متصرفة. العيش فيها مذموم. والأمان فيها معدوم. وإنما أهلها فيها اغراض مستهدفة. ترميهم بسهامها، وتفنيهم بجمامها[1].

ثم تابع الأب حديثه: هذه هي الدنيا يا ولدي. كما يراها سيد الخلق بعد نبي الهدى والرحمة محمد المصطفى. ولا يغتر بها إلا الجاهل. أما العاقل فيحذرها ولا يطمئن إليها. ويجعل همه فيها هو ما يتزود به فيها ليوم لا ينفع فيه الا العمل الصالح.

ولأمير المؤمنينعَلَيْهِ السَّلَامُ وصية لأصحابه وشيعته بهذا الخصوص يقول لهم فيها:

ألا وبالتقوى تقطع حمة الخطايا. وباليقين تدرك الغاية القصوى.

عباد الله. الله الله في أعز الأنفس عليكم. وأحبها إليكم. فإن الله قد أوضح لكم سبيل الحق. وأنار طرقه، فشقوة لازمة. أو سعادة دائمة...

فتزودوا في أيام الفناء لأيام البقاء. فقد دللتم على الزاد، وأمرتم بالضعن. وحثثتم على المسير. فإنما أنتم كركب وقوف. لا يدرون متى يؤمرون بالمسير، الا فما يصنع بالدنيا من خلق للآخرة، وما يصنع بالمال من

---

(١) اقوالهعَلَيْهِ السَّلَامُ هذه كلها من نهج البلاغة محمد عبده.

عما قليل يُسلبه، وتبقى عليه تبعته وحسابه[1].

ثم تابع الأب حديثه فقال: إن معاوية ومن كان على هواه وضلاله، لم يمر ببالهم كل ما كان علي عليه السلام يربي به أنصاره وشيعته. فهم إضافة إلى كل ما فعلوه طيلة سنين حياتهم وخصوصاً ما كان منهم مع أمير المؤمنين عليه السلام، حين حل اليوم الذي تواعدوا فيه على التحكيم بعث معاوية بأنصاره وكان على رأسهم شرحبيل بن السمط وعمرو بن العاص. كان منهم ما سنتحدث عنه.

أما أمير المؤمنين علي عليه السلام، وقبل أن يسيّر مبعوثيه إلى وجهتهم. قال الأحنف بن قيس التميمي لأبي موسى الأشعري: يا أبا موسى، أعرف خطب هذا الأمر، وأعلم أن له ما بعده. وأنك ان اضعت العراق فلا عراق. فاتق الله، فإنها تجمع لك دنياك وآخرتك.

وإذا لقيت عمراً غداً، فلا تبدأه بالسلام. فإنها وان كانت سنّة إلا أنه ليس من أهلها. وإياك أن يقعدك على صدر الفراش. فإنها خدعة، ولا تلقه الا وحده. واحذر أن يكلمك في بيت فيه مخدع يختبىء فيه الرجال والشهود.

الإبن الأكبر: ان ما عرضه الأحنف بن قيس يا أبي في كل جملة منه كانت حكمة وذكاء.

الأب: نعم يا ولدي، فالأحنف بن قيس رجل ذكي وحكيم. ولو استرجعنا حديثه مع أمير المؤمنين علي عليه السلام حين اختار القوم أبا موسى الأشعري ليكون حكماً حيث قال فيه: يا أمير المؤمنين. إني قد عجنت هذا الرجل (يعنى أبا موسى) فوجدته كليل الشفرة. قريب القعر. وأنه رجل يماني. وقومه مع معاوية، وأنه لا يصلح لهؤلاء القوم إلا رجل يدنو منهم

---

(١) نهج البلاغة محمد عبده جـ ٢ ص ٢٧٦.

حتى يكون في اكفهم. ويتباعد عنهم حتى يكون بمنزلة النجم...

لوجدناه رجلاً له بصر ثاقب ومعرفة بالرجال مبنية على العقل والتحليل. وحكمة تستخلص الرأي النافذ فيهم.

ثم قال الأب مكملاً حديثه عن التحكيم: واجتمع الناس في دومة الجندل كما كان متفقاً، ودار الحديث بين عمرو بن العاص وأبي موسى الأشعري، وتبادلوا الآراء. وعرض كل منهم الحل الذي يراه مناسب. ولم يصلوا إلى رأي يرضون به معاً، فاعمل عمرو بن العاص دهاءه في إيجاد حل يحمل المكاسب لصاحبه وحده يغش به الأشعري دون أن يلتفت إلى شيء من سوء قصده.

وإذا بعمرو بن العاص يطرح فكرة منه خادعه، فقال له: نخلع علياً ومعاوية. ويعود الأمر شورى بين المسلمين. فوافقه الأشعري واستراح لرأيه هذا. واتفقا على ذلك. فخرجا إلى الناس.

وجد عمرو ان خطته هذه قد أصابت. وعليه اكمالها إلى النهاية. فأخذ عمرو يقدم أبا موسى الأشعري في الكلام قائلاً له تكلم أنت أولاً[1] أنت أكبر مني سناً واقدم صحبة. وما كان ذلك منه إلا جزءاً من خطته الماكرة التي رسمها في رأسه.

فتقدم الأشعري... ونسي ما أوصاه به الأحنف بن قيس قبل رحيله.

حمد الله واثنى عليه. وقال: أيها الناس، أنا قد نظرنا في أمر هذه الأمة، وقد اجتمع رأيي ورأي صاحبي على خلع علي ومعاوية. ونستقبل هذا الأمر فيكون شورى بين المسلمين. فيتولون أمورهم من أحبوا. وإني قد خلعت علياً ومعاوية، فاستقبلوا أمركم. وولوا من رأيتم لها أهلاً... ثم تنحى جانباً.

---

(١) الأخبار والطوال ص ٢٠٠ ـ ٢٠١ وكتاب صفين للسيد الأمين.

فتقدم عمرو بن العاص مسروراً بما قدم الأشعري. وقال: ان هذا ما قد سمعتم. وخلع أبو موسى صاحبه... وأنا اخلع صاحبه كما خلعه... وأثبت صاحبي... فإنه ولي عثمان. والطالب بدمه، واحق الناس بمقامه.

فقال أبو موسى: مالك لا وفقك الله. قد غدرت وفجرت. وإنما مثلك مثل الكلب أن تحمل عليه يلهث. وان تتركه يلهث.

فقال عمرو: إنما مثلك مثل الحمار يحمل أسفاراً.

هكذا كان حكم الحكمين يا أبنائي.

قال الإبن الأكبر: وأين الكتاب والسنة التي ألزما نفسيهما باتباعهما في الحكم. والزمهما الناس بهما.

الأب: وهل تنتظر يا ولدي أن يحكم الحكمان بما في الكتاب والسنة؟ وهل النزاع بين أمير المؤمنين عليه السلام ومعاوية يحتاج من المرىء لأن يستنبط الحكم في هذا النزاع من الكتاب والسنة؟

قالها أمير المؤمنين عليه السلام منذ البداية: كلمة حق يراد بها باطل. وهل بين الناس من يفهم الرجال مثل علي عليه السلام؟ وهل إبن العاص بخافيه على أمير المؤمنين عليه السلام معرفته؟ وهل تنطلي الحيلة والمكر على علي عليه السلام وهو من حمل علم رسول الله صلى الله عليه وآله؟ ألم يكن عليه السلام هو القائل: وأويلاه، يمكرون بي ويعلمون أني بمكرهم عالم. وأعرف منهم بوجوه المكر، ولكني أعلم أن المكر والخديعة في النار، فأصبر على مكرهم. ولا ارتكب مثلما ارتكبوا[1].

لقد بلغ الإمام عليه السلام ما كان من حكم الحكمين، فقال عليه السلام:

أنا لم نحكم الرجال، وإنما حكمنا القرآن. وهذا القرآن إنما هو خط

---

(١) جامع السعادات محمد مهدي الزاقي تحقيق محمد كلنتر جـ ١ ص ١٩١.

مستور بين الدفتين. لا ينطق بلسان. ولا بد له من ترجمان. وإنما ينطق عنه الرجال، ولما دعانا القوم إلى أن نحكم بيننا القرآن. لم نكن الفريق المتولي عن كتاب الله سبحانه وتعالى. وقد قال الله سبحانه: فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول.

فرده إلى الله أن نحكم بكتابه. ورده إلى الرسول أن نأخذ بسنته، فإذا حكم بالصدق في كتاب الله، فنحن أحق الناس به، وان حكم بسنة رسول الله ﷺ، فنحن أحق الناس وأولاهم بها[1].

وهذه هي يا أبنائي المحنة التي امتحن بهاالله جل جلاله أمير المؤمنين، وهي المحنة السادسة التي حدث بها الإمام عليه السلام رأس اليهود، والتي تحدثنا عنها سابقاً.

ومن ساعته هذه، فقد قرر أمير المؤمنين عليه السلام استئناف الجهاد ضد معاوية واتباعه. الزمرة الباغية التي أمر رسول الله ﷺ علياً عليه السلام بقتالها وقتال الناكثين والمارقين.

الإبن الأكبر: حدثنا يا أبي. كيف أمر رسول الله ﷺ، بقتالهم. ومتى قال له أنه يقالهم؟

الأب: اعلم يا بني أن رسول الله ﷺ قد اعلم وصيه أمير المؤمنين عليه السلام بكل شيء. اعلمه بما كان وبما يكون. وقال ﷺ له: يا علي. انك تقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله.

ومعلوم ان القرآن الكريم قد أُول كثيراً بعده ﷺ وكذلك السنة النبوية الشريفة. ولم يبق أمير المؤمنين عليه السلام مكتوف الأيدي إزاء ذلك. ولم يدخر وسعاً لتعليم المسلمين وإرشادهم وتثبيت إيمانهم.

---

(١) نهج البلاغة محمد عبده حـ ٢ ص ٢٣٤ ـ ٢٣٥.

وما ان بويع للخلافة بعد مقتل عثمان بن عفان حتى خالف الكثير من الناس سنة الله تعالى ورسوله الكريمﷺ وكان النبي قد أعلمه بهذه الفترة وأمره بقتال هذه المجاميع التي ظهرت للوجود.

فمن قولهعليه السلام : عهد إليّ رسول اللهﷺ ان اقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين[1]، فقيل لهعليه السلام من الناكثون؟

قالعليه السلام : الناكثون أهل الجمل. والمارقون: الخوارج، والقاسطون: أهل الشام[2].

وروي عن عمار بن ياسر قال: أمرني رسول اللهﷺ بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين[3].

وروي عن أبي سعيد الخدري قال: أمرنا رسول اللهﷺ بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين. قلنا يا رسول اللهﷺ، أمرتنا بقتال هؤلاء، فمع من؟ قالﷺ : مع علي بن أبي طالب[4]. ومن وصية لأمير المؤمنينعليه السلام قال في جزء منها:

فلما قبض رسول اللهﷺ جاهدت من أمرني بجهاده من أهل البغي. وسماهم لي رجلاً رجلاً. وحضني على جهادهم. وقال: يا علي. تقاتل الناكثين وسماهم لي. والقاسطين وسماهم لي. والمارقين[5].

---

(١) اخرجه الحاكم في المستدرك حـ ٣ ص ١٣٩ وذكره السيوطي في الخصائص حـ ٢ ص ١٣٨.

(٢) المناقب للخوارزمي ص ١١٠.

(٣) اخرجه الطبراني وأبو يعلي وعنهما الهيثمي في مجمع الزوائد حـ ٧ ص ٢٣٧.

(٤) اخرجه الحاكم في أربعينه كما ذكره السيوطي والكنجي في الكفاية ص ٧٢ وابن كثير في تاريخه حـ ٢ ص ٣٠٥.

(٥) نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة للمحمودي ص ٣١٠.

وروي عن عبد الله بن مسعود قال: خرج رسول الله ﷺ فأتى منزل أم سلمة. فجاء علي عليه السلام، فقال رسول الله ﷺ: يا أم سلمة، هذا والله قاتل القاسطين والناكثين والمارقين من بعدي[1].

الإبن الأكبر: وماذا كان من أمر المارقين يا أبي؟

الأب: ستتحدث عن ذلك يوم غد يا ولدي.

---

(١) أربعين الحاكم والرياض النضرة حـ ٢ ص ٢٤٠ وتاريخ ابن كثير ٧ ص ٣٠٥ ومطالب السؤول ص ٢٤.

«اليوم الثامن والعشرين»

«النهروان»

كان اجتماع الأبناء بأبيهم سريعاً، إذ بمجرد أن جلس في محله وإذا هم ملتفون حوله. فقال كبيرهم: نعم يا أبي، ما كان من أمر المارقين؟

الأب: كان أنصار المؤمنين عليه السلام يملأ قلوبهم الإيمان والاستعداد للتضحية في سبيل الله جل جلاله وهي غايتهم وأحلى أمانيهم. غير ان مسألة التحكيم قد غيرت في بعضهم. حتى ما عاد في قلوبهم ذاك الوفاء الذي كانوا يحملوه لأمير المؤمنين عليه السلام، ولا تلك الموالاة له.

لقد برزت فئة كانت هي السبب في قبول التحكيم. والآن فهي ترفضه، بل وكفرت وصي رسول الله صلى الله عليه وآله كونه وافقهم على رأيهم في التحكيم ولم يرفضه رفضاً قاطعاً. خصوصاً وقد أدركوا الآن أنه ليس كما كانوا يتوقعون.

وكما أوضحت لكم يا أبنائي، ان اعلانهم لهذا المبدأ هو أيضاً كلمة حق يراد بها باطل. فحكم أمير المؤمنين علي عليه السلام، هو حكم رسول الله صلى الله عليه وآله، والذي يدعم ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وآله: لا يقضي إلا أنا أو علي، وقول أبي بكر الذي كان دائماً يردده في خلافته: افتنا يا أبا الحسن. وقول عمر بن

الخطاب في خلافته أيضاً: لا يفتي أحدكم وعلي في المسجد، وهناك أحاديث كثيرة لرسول الله ﷺ تؤكد أن علياً عليه السلام هو خير من يطبق حكم القرآن والسنّة النبوية الشريفة.

لقد كون الخوارج لهم آراء مبتدعة في أمور الدين والدنيا. وراحوا يقتلون كل من كان على غير آرائهم. كما حصل لعبد الله الحباب بن الأرث[1] ذلك الرجل الصالح المؤمن العابد. لا لشيء الا أنه قال في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ما كان له اهلاً، ثم تحولوا إلى زوجته، فصاحت مذعورة: اني حبلى فاتقوا الله فيّ... فراحوا يذبحونها، ثم يبقرون بطنها ويقتلوا الجنين الذي كان في احشائها.

وان من سوء فعلهم. وابتداع فكرهم. ان قالوا مرة لأمير المؤمنين علي عليه السلام: حكمت في دين الله برأينا. ونحن مقرون بانا كفرنا ولكن تائبون. فأقرر بمثل ما أقررنا به...

وقالوا له عليه السلام أيضاً: لِمَ حكمت الرجال؟ ونسوا أنهم أصروا إصرار المخالف العنيد على قبول التحكيم. وما نفع معهم نصح ولا موعظة. وإنما هددوه بالقتل. أو يسلموه إلى معاوية.

الإبن الأكبر: صحيح ما قيل عنهم يا أبي أنهم أهل تعبد؟

الأب: نعم يا ولدي. فمن حديث لرسول الله ﷺ وهو يصفهم بقوله ﷺ: تحتقر صلاةاحدكم في جنب صلاتهم، وصوم أحدكم في جنب صيامهم. ولكن لا يجاوز إيمانهم تراقيهم. مرقوا من الدين كما يمرق السهم من الرمية.

وفي رواية أن النبي ﷺ قال فيهم: سيكون بعدي من أمتي قوم يقرأون

---

(١) الإصابة جـ ٢ ص ٣٠٢.

القرآن لا يجاوز حلاقيمهم. يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية، ثم لا يعودون فيه، هم شر الخلق والخليقة[1].

الإبن الأكبر: كيف تم خروجهم على الإمام عليه السلام يا أبي؟

الأب: حينما رفضوا التحكيم ولم يقبلوه رجعوا إلى الكوفة وهم ينادون لا حكم إلا لله. ثم تبعتهم مجموعة من أهل الكوفة اقتنعوا بآرائهم ومقولتهم فتم العدد أربعة آلاف. معلنين مخالفتهم لأمير المؤمنين عليه السلام وتكفيره.

الإبن الأكبر: وما كان رأيهم بمعاوية يا أبي؟

الأب: كان رأيهم بمعاوية كما هو رأيهم بأمير المؤمنين عليه السلام.

الإبن الأكبر: وهل عددهم الأربعة آلاف هؤلاء فقط، أم إنضم إليهم آخرون؟

الأب: كانت بدايتهم أربعة آلاف. ثم انضم إليهم من الكوفة والبصرة ثمانية آلاف. وكلهم صار ينادي لا حكم إلا لله، وخرجوا من الكوفة وتجمعوا في منطقة النهروان.

الإبن الأوسط: وأين تقع النهروان هذه يا أبي؟

الأب: هل كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي. حدها الأعلى متصل ببغداد[2].

الإبن الأكبر: وهل كانت لهم قيادة تقودهم يا أبي؟

الأب: نعم يا ولدي، فقد اعلنوا لهم أميراً للقتال هو: شبث بن ربعي. وأميراً للصلاة هو: عبد الله بن الكواء.

---

(١) صحيح مسلم حـ ١ ص ٣٩٨.

(٢) راجع معجم البلدان حـ ٨ ص ٣٤٧.

وفي رواية أنهم أمروا عليهم حرقوص بن زهير ويلقب بذي الثدية، وعبد الله بن وهب الراسبي. وجعلوا على ميمنتهم زيد بن قيس الطائي. وعلى الميسرة شريح بن أوفى العبسي. وعلى خيلهم حمزة بن سنان الأسدي. وعلى رجالتهم حرقوص بن زهير السعدي(١).

وفي رواية أخرى: ورأسهم عبد الله بن الكواء، وعقاب بن الأعور، وعبد الله بن وهب الراسبي. وعروة بن جرير، ويزيد بن أبي عاصم المحاربي، وحرقوص بن زهير البجلي. المعروف بذي الثدية(٢).

وكما هو المعروف عن أمير المؤمنين عليه السلام، لم يدخر وسعاً في نصح وإرشاد عدوه قبل أن يخطو خطوة واحدة لقتاله. فقد أمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر والبغي. ونصحهم وجادلهم وأرسل إليهم من ناظرهم وحاورهم. وكان في ذلك يأمل أن يعود البعض إلى صوابه وهداه. ويبتعد عن طريق الضلالة والخسران، ثم ليكون ذلك حجة له عليه السلام عليهم إضافة إلى ماله من الحجج. بعث أمير المؤمنين عليه السلام عبد الله بن عباس ليحاورهم فيما اشتكوا. فقال لهم ابن عباس: هاتوا ما نقمتم به على صهر رسول الله صلى الله عليه وآله والأنصار. وعليهم نزل القرآن، وليس فيكم أحد منهم (وهو يعني أمير المؤمنين عليه السلام) اعلم بتأويلة منكم.

قالوا: ثلاثاً، قال ابن عباس: هاتوا، قالوا.

اما احداهن: فانه حكم الرجال في أمر الله وقد قال الله عز وجل: ان الحكم إلا لله.

فما شأن الرجال والحكم بعيد قول الله عز وجل.

---

(١) نور الأبصار للشبلبخي ص ١٠٢.

(٢) الملل والنحل للدينوري ص ١١٥.

وأما الثانية: فانه قاتل ولم يسب. ولم يغنم، فان كانوا مؤمنين ما حل لنا قتالهم.

وأما الثانية: فانه محا نفسه من إمرة المؤمنين.

الإبن الأكبر: أيعنون بذلك اعتراض معاوية عليه عليه السلام حينما كتب كتاب الموادعة؟

الأب: نعم يا ولدي حينما اعترض معاوية على كتابة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب. حيث قال معاوية: بئس الرجل أنا إن اقررت أنه أمير المؤمنين ثم اقاتله. ولذلك فقد محا الإمام عليه السلام كلمة أمير المؤمنين، وأكتفى بذكر إسمه فقط.

ثم تابع الأب حديثه فقال: قال لهم ابن عباس بعد أن عرضوا عليه اعتراضاتهم: هل عندكم غير هذا؟ قالوا: كفانا هذا.

قال إبن عباس رداً على اعتراضاتهم: اما قولكم حكم الرجال في أمر الله.

فأنا أقرأ عليكم ما ينقض قولكم. اترجعون إليه؟ قالوا: نعم. قال: فإن الله قد صير حكمه إلى الرجال في ربع درهم. وتلا الآية: ﴿لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾، وقال تعالى في المرأة. وزوجها: (وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها).

أما قولكم: قاتل ولم يسب ولم يغنم.

افتسبون أمكم عائشة؟ فوالله ان قلتم ليست بأمنا. لقد خرجتم من الإسلام والله. وان قلتم نسبيها ولم نستحل منها ما نستحل من غيرها. لقد خرجتم من الإسلام. وانتم بين ضلالتين. إن الله عز وجل قال: (النبي أولى

بالمؤمنين من أنفسهم وازواجه أمهاتهم).

وأما قولكم محى نفسه من امرة المؤمنين.

فأنا آتيكم بما ترضون، ان النبيﷺ يوم الحديبية كاتب المشركين. وقالﷺ : يا علي اكتب: هذا ما تصالح عليه محمد رسول الله... فقال المشركون: ما نعلم انك لرسول الله. ولو كنا نعلم انك لرسول الله ما قاتلناك. فقال رسول اللهﷺ : الهم انك تعلم إني لرسولك. امح يا علي، أكتب هذا ما كاتب عليه محمد بن عبد الله...

فوالله لرسول اللهﷺ خير من عليعليه السلام ، فقد محى نفسه، قال ابن عباس: فرجع منهم ألفان[1].

لم يكتف أمير المؤمنينعليه السلام بمحاورة ابن عباس هذه. بل ذهب إليهم بنفسه، حيث معسكرهم. وخاطبهم قائلاً:

اكلكم شهد معنا صفين؟ فقالوا: منا من شهد، ومنا من لم يشهد.

قالعليه السلام : امتازوا فريقين، فليكن من شهد صفين فرقة، ومن لم يشهدها فرقة، حتى اكلم كلاً منكم بكلامه.

ثم نادىعليه السلام الناس قائلاً: امسكوا عن الكلام وانصتوا لقولي: فاقبلوا بافئدتكم إليّ. فمن نشدناه شهادة، فليقل بعلمه فيها.

ثم قالعليه السلام لهم: ألم تقولوا عند رفعهم المصاحف حيلة وغيلة ومكراً وخديعة: اخواننا. وأهل دعوتنا. استقالونا، واستراحوا إلى كتاب الله سبحانه. فالرأي القبول منهم. والتنفيس عنهم، فقلت لكم: هذا أمر ظاهرة إيمان وباطنه عدوان، وأوله رحمة وآخره ندامة. فاقيموا على شأنكم. والزموا

---

(١) المناقب للخوارزمي ص ١٨٤ ـ ١٨٥.

طريقتكم. وعضوا على الجهاد بنوا جذكم. ولا تلتفتوا إلى ناعق نعق، ان أجيب أذل. وأن ترك ذل.

وقد كانت هذه الفعلة. وقد رأيتكم اعطيتموها.

والله لئن أبيتها ما وجبت عليّ فريضتها، ولا حملني الله ذنبها، ووالله ان جئتها إني للمحق الذي يتبع. وان الكتاب لمعي. ما فارقته منذ صحبته. فلقد كنا مع رسول الله ﷺ وان القتل ليدور على الآباء والأبناء والأخوان والقرابات. فما نزداد على كل مصيبة وشدة إلا إيماناً. ومضياً على الحق. وتسليماً للأمر. وصبراً على مضض الجراح. ولكنا إنما أصبحنا نقاتل اخواننا في الإسلام على ما دخل من الزيغ والاعوجاج والشبهة والتأويل. فإذا طمعنا في خصلة يلم الله بها شعثنا. ونتداوى بها إلى البقية فيما بيننا. رغبنا فيها واسكنا عما سواها...[1].

وكما هو شأن أمير المؤمنين عليه السلام ناصحاً ومعلماً وراعياً ومؤدباً. فقد كان لا يسأم من تكرار النصح والإرشاد. حتى وإن تكرر اعراضهم وعنادهم.

فمن كلام له عليه السلام قوله: فانا نذير لكم، ان تصبحوا صرعى بأثناء هذا النهر. وباهضام هذا الغائط[2]. على غير بنية من ربكم. ولا سلطان مبين معكم. قد طوحت بكم الدار. واحتبلكم المقدار. وقد كنت نهيتكم عن هذه الحكومة. فأبيتم آباء المخالفين المنابذين، حتى صرفت رأيي إلى هواكم. وانتم معاشر اخفاء الهام. سفهاء الأحلام. ولم آت لا ابا لكم بجراً. ولا أردت لكم ضراً[3].

---

(١) نهج البلاغة. محمد عبده حـ ٢ ص ٢٣٠.
(٢) الغائط هو ما سفل من الأرض. والمراد بها المنخفضات.
(٣) نهج البلاغة. محمد عبده حـ ١ ص ٩٤.

الإبن الأكبر: ألم يؤثر كل هذا النصح والترهيب بهم يا أبي؟

الأب: لا يا بني، منهم من انتفع وارتهب قلبه فعاد إلى سواء السبيل، ومنهم من انتفع بالنصح الا انه لم ينضو تحت لواء أمير المؤمنين عليه السلام. وإنما اعتزل الجانبين. فلا هو بالمؤيد. ولا هو بالمعارض. ومنهم من كان جافاً غليظ القلب مغوياً معانداً مصراً على مروقه.

وتكررت المحاولات. وتكرر النصح. وصبر أمير المؤمنين عليه السلام عليهم، ورجى ان يهتدي إلى الحق غير الذين اهتدوا. ولم يبدأ هم بقتال. وأوصى أصحابه بذلك. وحينما طال عناد من بقي منهم على ضلاله. زحف أمير المؤمنين بجيشه نحو النهروان. وتقابل الجيشان. ومع ذلك كرر أمير المؤمنين نصحه لهم.

وفي يوم راح الخوارج مرسلين بسهامهم نحو جيش أمير المؤمنين عليه السلام، وكأنهم يستعجلون بها موتهم. وغضب الله عليهم. وتقدم من بين صفوفهم حرقوص (ذو الثدية) وعبد الله بن وهب. وقالا لأمير المؤمنين عليه السلام: ما نريد بقتالنا إياك الا وجه الله والدار الآخرة...

وبدأوا هم بالقتال، فكان أول مهاجم منهم هو أخنس بن العزيز الطائي. فقتله أمير المؤمنين عليه السلام، ثم خرج عبد الله بن وهب. ومالك بن الوضاح فقتل الإمام عليه السلام الوضاح ثم ضرب الحرقوص ضربة على رأسه فارداه قتيلاً. وافلت عبد الله بن وهب من القتل ساعتها.

وحينها أمر الإمام إلى جيشه بالهجوم. وحمل أمير المؤمنين عليه السلام على عبد الله بن وهب فقتله.

واختلط الجيشان... واشتد القتال. وراحت الأشلاء تتناثر هنا وهناك، وحمى الوطيس. وتعالت الأصوات... ثم هدأت المعركة. وكان النصر حليف جيش الحق والعدل. جيش أمير المؤمنين عليه السلام.

الإبن الأكبر: وكم عدد قتلى الخوارج يا أبي؟

الأب: قتل الخوارج جميعهم الا تسعة أنفار. هرب اثنان منهم إلى خراسان. وهرب اثنان إلى اليمن. واثنان إلى الجزيرة في العراق. وأما الثلاثة الباقون فتفرقوا في البلاد[1].

الإبن الأكبر: وكم شهيد من جيش أمير المؤمنينعليه السلام راحوا يا أبي؟

الأب: تسعة انفار فقط استشهدوا في هذه المعركة يا ولدي. بعدد الناجين من جيش الخوارج. ثم تابع الأب حديثه قائلاً: كانت هذه الحرب قد قامت سنة ثمان وثلاثين للهجرة النبوية المباركة. وما ان انتهت هذه المعركة. حتى مرّ أمير المؤمنينعليه السلام على قتلى الخوارج. فقالعليه السلام: بؤساً لكم. لقد ضركم من غركم. فقيل له: من غرهم يا أمير المؤمنينعليه السلام؟

قالعليه السلام: الشيطان المضل. والنفس الإمارة بالسوء. غرتهم بالأماني. وفسحت لهم بالمعاصي. ووعدتهم الأظهار. فاقتحمت بهم النار.

ومما يروى ان عند انتهاء المعركة قيل له: يا أمير المؤمنينعليه السلام: هلك القوم بأجمعهم.

قالعليه السلام: كلا والله، انهم نطف في اصلاب الرجال. وقرارات النساء. كلما نجم منهم قرن قطع. حتى يكون آخرهم لصوصاً سلابين[2].

ومن قولهعليه السلام: لا تقاتلوا الخوارج بعدي. فليس من طلب الحق فأخطأه. كمن طلب الباطل فأدركه[3].

---

(١) هناك عدة روايات في جهة هروب هؤلاء والعدد الذين هربوا إلى كل جهة. وفي جميعها ذكر ان الناجين تسعة. راجع نور الأبصار للشبلنجي ص ١٠٢ والملل والنحل ص ١١٧.
(٢) نهج البلاغة محمد عبده حـ ١ ص ١١٥.
(٣) نهج البلاغة محمد عبده حـ ١ ص ١١٥.

الإبن الأكبر: وهل عاد أمير المؤمنين عليه السلام لقتال أهل الشام بعد ان انتهى من أمر الخوارج يا أبي؟

الأب: اعلم يا ولدي. ان الفترة التي امضاها أمير المؤمنين عليه السلام ما بعد الخوارج كانت مرة عليه.

الإبن الأكبر: ولماذا يا أبي؟

الأب: لقد تحمل من الناس حوله كثيراً من التعب والحسرة . . . . فقد كان يدعوهم إلى جهاد عدوهم وهم لا يحركوا لذلك ساكناً.

الإبن الأوسط: حدثنا عن هذه الفترة يا أبي.

الأب: نعم يا ولدي. ولكن ليس اليوم. وإنما في غدٍ إن شاء الله.

«اليوم التاسع والعشرين»

«تخاذل الأنصار»

جلس الأب وابناءه في الغرفة في آن واحد، وكان اصغرهم قد جلس جنب أبيه. وكان الأب قد وضع إحدى يديه على كتفي صغيره مد لي بكفه على صدر الطفل. وكان كل منهما مستأنس بالآخر إيما استئناس.

فقال الإبن الأكبر: حدثنا يا أبي عما حصل ما بعد النهروان.

فقال الأب: لنبدأ من يوم رجوعه عليه السلام من النهروان. ثم تابع الحديث قائلاً:

لما رجع أمير المؤمنين عليه السلام من قتال أهل النهروان. اجتاز بالزوراء. فقال للناس. انها الزوراء. فسيروا وجنبوا. فان الخسف أسرع إليها من الوتد في النخالة.

فلما أتى موضعاً من ارضها قال: ما هذه الأرض؟ قيل له: أرض بحرا. فقال عليه السلام: أرض سباخ. جنبوا ويمنوا. فلما أتى عليه السلام يمنة السواد، إذا هو براهب في صومعة له. فقال عليه السلام للراهب: انزل هيهنا؟ فقال له الراهب: لا تنزل بجيشك هذه الأرض. قال عليه السلام: ولِمَ. قال الراهب: لأنه لا ينزلها الا

نبي أو وصي نبي بجيشه، يقاتل في سبيل الله عز وجل. وهكذا نجد في كتبنا، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: فأنا وصي سيد الأنبياء. وسيد الأوصياء. فقال له الراهب: فأنت إذاً اصلع قريش وصي محمد صلى الله عليه وآله. قال عليه السلام: انا ذاك.

فنزل الراهب إليه فقال: خذ عليّ شرائع الإسلام. إني وجدت في الإنجيل نعتك. فإنك تنزل أرض (براثا) بيت مريم وأرض عيسى. فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: قف، ولا تخبرنا بشيء.

ثم أتى عليه السلام موضعاً. فقال: الكزوا هذا، فلكزوه. فانبجعت برجل عين حرارة. فقال عليه السلام: هذه عين مريم التي انبعثت لها. وقال عليه السلام: اكشفوا ها هنا على سبعة عشر ذراعاً. فكشف. فإذا بصخرة بيضاء. فقال عليه السلام: على هذه الصخرة وضعت مريم عيسى من عاتقها. وصلت ها هنا. فنصب أمير المؤمنين عليه السلام الصخرة وصلى عليها.

وأقام هناك أربعة أيام يتم الصلاة. وجعل الحرم في خيمة من الموضع. ثم قال عليه السلام: أرض براثا هذه بيت مريم عليها السلام، هذا الموضع المقدس صلى فيه الأنبياء[1].

الإبن الأكبر: إذن لأرض براثا يا أبي فضلاً بكونها أرض عيسى عليه السلام وبيت مريم.

الأب: ليس هذا فحسب يا ولدي. وإنما لأرض براثا وجامعها فضائل عديدة.

الإبن الأكبر: وهل لها فضائل غير هذه يا ولدي؟

الأب: نعم يا ولدي. فمن فضائلها.

---

(١) كشف الغمة لعلي بن عيسى الأربلي جـ ٢ ص ١٩ ـ ٢٠ رواية عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام.

١/ لا ينزله بجيش إلا نبي أو وصي نبي.

٢/ انه بيت مريم.

٣/ انه أرض عيسى.

٤/ فيه العين التي نبعث لمريم. والتي أبانها أمير المؤمنين عليه السلام كما قلنا.

٥/ فيه الصخرة البيضاء التي وضعت عليها مريم عليها السلام عيسى عليه السلام. وكشف أمير المؤمنين عليه السلام تلك الصخرة كما أسلفنا.

٦/ صلواة أمير المؤمنين عليه السلام وابنيه الحسن والحسين عليهما السلام هناك.

٧/ اقام فيها أمير المؤمنين عليه السلام عند عودته من النهروان.

٨/ صلى فيها الأنبياء ولا سيما النبي إبراهيم خليل الرحمن.

٩/ ان هناك قبر نبي من الأنبياء. ولعله يوشع. فقد روي أن قبره في الفسحة المقابلة لمسجد براثا.

١٠/ فيه ردت الشمس لأمير المؤمنين عليه السلام[١].

الإبن الأكبر: ومن براثا يا أبي. وأين يقع هذا المسجد؟

الأب: سمي المسجد بمسجد براثا لرواية رويت عن انس مالك أن أمير المؤمنين عليه السلام حينما مرّ على الراهب بعد رجوعه من النهروان فاستفضع الراهب نزول الجيش هناك. فسأل عن الجيش وأميره. فقيل له هذا أمير المؤمنين عليه السلام وقد رجع من قتال أهل النهروان. فجاء مبادراً يتخطى الناس حتى وقف على أمير المؤمنين عليه السلام فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين حقاً حقاً.

---

(١) راجع مفاتيح الجنان تعريب محمد رضا النوري باب مسجد براثا ص ٤٨٩ ـ ٤٩٠.

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: وما علمك بأني أمير المؤمنين حقاً حقا؟ فقال: بذلك أخبرنا علماؤنا واخبارنا.

فقال له عليه السلام: يا حباب. فقال الراهب: وما علمك باسمي؟ فقال عليه السلام: اعلمني بذلك حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله: فقال له الحباب: مدّ يدك، فأنا اشهد إن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله، وانك علي بن أبي طالب وصيه، فقال عليه السلام: بعد يومك هذا لا تسكن فيها (أي في الصومعة). ولكن ابني ها هنا مسجداً، وسمه بإسم بانيه. . . فبناه رجل إسمه براثا. فسمي المسجد بإسم بانيه (براثا)[1].

ثم قال الأب: أما سؤالك يا ولدي عن موقع المسجد، فهو في طرف بغداد في قبلي الكرخ[2]. وقال الأربلي: أرض براثا هذه عند باب محول على قدر ميل أو أكثر من ذلك من بغداد وجامع براثا هناك. وهو خراب وحيطانه باقية، دخلت وصليت فيه، وتبركت به[3].

ثم تابع الأب حديثه: ثم عاد أمير المؤمنين عليه السلام إلى الكوفة، وعقد العزم على معاودة قتال أهل الشام. فقد نقضوا الاتفاق الذي حصل ما بينهم. ولم يحكموا القرآن كما كانوا قد ادعوا عندما رفعوا المصاحف.

ومن هنا فقد بدأ الألم والأسى يحز في نفسه من أنصاره وأتباعه. وذلك لما وجد فيهم من الوهن والتثاقل في تلبية ندائه ودعوته لهم لمعاودة قتال أهل الشام. فخاطبهم يوماً بقوله عليه السلام.

---

(١) كشف اليقين لابن طاوس ص ١٥٦ ـ ١٥٧ طبعة النجف. وكشف الغمة حـ ٢ ص ١٩ ـ ٢٠ والبحار.

(٢) راجع مراصد الاطلاع حـ ١ ص ١٧٤ ومفاتيح الجنان تعريب محمد رضا النوري باب كلام الحموي حول مسجد براثا ص ٤٨٨.

(٣) كشف الغمة للأربلي حـ ٢ ص ١٩ ـ ٢٠.

أف لكم. لقد سئمت عتابكم. أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة عوضاً؟ وبالذل من العز خلفاً؟ إذ دعوتكم إلى جهاد عدوكم دارت اعينكم كانكم من الموت في غمره. ومن الذهول في سكره. يرتج عليكم حواري. فتعمهون وكأن قبولكم مالوسة فانتم لا تعقلون. ما انتم لي بثقة سجيس الليالي. وما أنتم بركن يمال اليكم. ولا زوافر عزّ يفتقر اليكم. ما أنتم الا كابل ضل رعاتها. فكلما جمعت من جانب انتشرت من آخر. لبئس ـ لعمر الله ـ سعر نار حرب انتم. تكادون ولا تكيدون. وتنتقص اطرافكم فلا تمتعضون. لا ينام عنكم وانتم في غفلة ساهون...[1].

الإبن الأكبر: عجباً يا أبي، كنت اتوقع أن من بقي معهعليه السلام من أنصاره أنهم النخبة المسلمة التي يعتمد عليها.

الأب: لا يا ولدي. أما سمعت قولهعليه السلام: ما أنتم بركن يمال إليكم. ولا زوافر عزّ يفتقر إليكم. فكيف يكونون نخبة وهم هذا حالهم.

نعم هناك من بينهم من استرخص وما زال يسترخص نفسه وماله وولده من أجل دوام الإسلام عزيزا تحت راية أمير المؤمنينعليه السلام، كالأشتر وعدي بن حاتم ومن كان مثلهم وفاء وغيرة على الإسلام. وهم كما لا يخفى قله. أما الكثرة فهم من قال فيهم أمير المؤمنينعليه السلام يوماً:

يا اشباه الرجال ولا رجال. حلوم الأطفال. وعقول ربات الحجال. لوددت إني لم اركم، ولم اعرفكم معرفة ـ والله ـ جرت ندماً. واعقبت سدماً. قاتلكم الله لقد ملأتم قلبي قيحاً. وشحنتم صدري غيظاً، وجرعتموني نغب التهمام انفاساً، وافسدتم عليّ رأيي بالعصيان والخذلان حتى قالت قريش: ان ابن أبي طالب رجل شجاع. ولكن لا علم له بالحرب.

---

(١) نهج البلاغة. محمد عبده حـ ١ ص ٩٠ ـ ٩١.

لله أبوهم. . . وهل أحد منهم أشد لها مراساً. واقدم فيها مقاماً مني. ولقد نهضت فيها وما بلغت العشرين. وها انذا قد ذرفت على الستين. . . ولكن. . . لا رأي لمن لا يطاع[1].

الإبن الأكبر: أرى يا أبي إن كلمات أمير المؤمنين عليه السلام تقطر ألماً وأذى. وهي كافية لمعرفة ما كان عليه السلام يعاني من أنصاره وهو الصبور الممتحن. والمؤمن المتروي في الحكم.

الأب: نعم يا ولدي. ان الألم ليقطر مع كل كلمة كان أمير المؤمنين عليه السلام يقولها لهم. وما هو بالمؤلم لأمير المؤمنين عليه السلام وحده. وإنما هو مؤلم لجميع المسلمين الخيرين. مؤلم ان يجدوا أمير المؤمنين عليه السلام بين هذه الفئة من الناس. والذي قال عنهم عليه السلام: لوددت أني لم أركم. ولم أعرفكم معرفة. ـ والله ـ جرت ندماً. واعقبت سدماً. قاتلكم الله لقد ملأتم قلبي قيحاً، وشحنتم صدري غيظاً. وجرتموني نغب التهمام انفاساً. . .

لقد اطمعوا بتقاعسهم هذا معاوية بن أبي سفيان. فراح يبعث بالغارات على المناطق التي هي في حكم أمير المؤمنين عليه السلام يقتل فيها وينهب دون خوف أو وجل أو حساب لشيء يحذره. وتكررت الغارات وأمير المؤمنين عليه السلام يستنفرهم دون أن يقدموا أو يؤخروا. وفي يوم بلغ به الألم منهم أشده فجمعهم وقال عليه السلام لهم:

ما بالكم. امخرسون أنتم.

فقام قوم منهم وقالوا: يا أمير المؤمنين، ان سرت سرنا معك.

فقال عليه السلام: ما بالكم لاسددتم لرشد. ولا هديتم لقصد. أفي مثل هذا ينبغي أن اخرج؟ انما يخرج في مثل هذا رجل ممن أرضاه من شجعانكم

---

(١) نهج البلاغة. محمد عبده حـ ١ ص ٧٧ ـ ٧٨.

وذوي باسكم. ولا ينبغي لي أن أدع الجند والمصر وبيت المال وجباية الأرض والقضاء بين المسلمين والنظر في حقوق المطالبين. ثم اخرج في كتيبة اتبع أخرى، اتقلقل تقلقل القدح في الجفير الفارغ، وإنما انا قطب الرحى. تدور علي وانا بمكاني. فإذا فارقته استحار مداها. واضطرب ثقالها[1].

الإبن الأكبر: أي رجال مقاتلين هم يا أبي. ألم يعلموا أن الخليفة بل وحتى الأمير لا يخرج الا في الحرب مع العدو بجيش كبير. ألم يكن من المفروض ان مثل هذه الأعتداءات والتحرشان أن ترد من قبل مجموعة صغيرة من المقاتلين يتقدمهم اكثرهم مراساً وشجاعة أو اقداماً؟

الأب: هي حجة كانوا يتخذونها يا ولدي لكي لا يخرجوا ويدافعوا عن الأطراف. ففي يوم جمعهم أمير المؤمنين عليه السلام وقال لهم:

أما والذي نفسي بيده. ليظهرن هؤلاء القوم عليكم، ليس لأنهم أولى بالحق منكم. ولكنهم لاسراعهم إلى باطل صاحبهم. وابطائكم عن حقي. ولقد أصبحت الأمم تخاف ظلم رعاتها. وأصبحت اخاف ظلم رعيتي.

استنفرتكم للجهاد فلم تنفروا. واسمعتكم فلم تسمعوا. ودعوتكم سراً وجهراً فلم تستجيبوا. ونصحت لكم فلم تقلبوا، اشهود كغياب؟ وعبيد كارباب؟ اتلو عليكم الحِكَمَ فتنفرون منها. واعظكم بالموعظة البالغة فتتفرقون عنها. واحثكم على جهاد أهل البغي فما آتي على آخر قولي حتى أراكم متفرقين أيادي سبأ[2].

ودام حال انصاره هكذا زمناً، وفي يوم دنى النعمان بن بشير في بعث

---

(١) نفس المصدر السابق حـ ٢ ص ٢٢٧.

(٢) نهج البلاغة محمد عبده حـ ٢ ص ٢٢٧.

لمعاوية على العراق حتى وصلوا عين التمر. وكان عليها مالك بن كعب الأرحبي. فكتب مالك إلى أمير المؤمنين عليه السلام. يقول له: أما بعد، فان النعمان بين بشير قد نزل بي في جمع كثيف. فمر رأيك سدد الله وثبتك والسلام.

فجمع أمير المؤمنين عليه السلام الناس وقال فيهم:

اخرجوا هداكم الله إلى مالك بن كعب اخيكم. فإن النعمان بن بشير قد نزل في جمع من أهل الشام ليس بالكثير. فانهضوا إلى اخوانكم. لعل الله يقطع بكم من الكافرين طرفاً.

ثم نزل عليه السلام.

وكعادتهم شهود كغياب، لم يستجيبوا لدعوة مولاهم. ولا لنصره اخوانهم. فأرسل أمير المؤمنين عليه السلام إلى وجوههم وكبرائهم فحدثهم وأمرهم ان يحدثوا الناس ويحثونهم على المسير، فلم يصنعوا شيئاً، فاجتمع نفر قليل لا يتجاوز الثلثمائة فارس فقام أمير المؤمنين عليه السلام في الناس خطيباً وقال:

لا ابالكم، ما تنتظرون بنصر ربكم؟ اما دين يجمعكم... ولا حمية تحمشكم... اقوم فيكم مستصرخاً، وanadيكم متغوثاً، فلا تسمعون لي قولاً، ولا تطيعون لي أمراً. حتى تكشفت الأمور عن عواقب المساءة. فما يدرك بكم ثأر. ولا يبلغ بكم مرام.

دعوتكم إلى نصرة اخوانكم فجرجرتم جرجرة الجمل الأسر. وتثاقلتم تثاقل النضو الأدبر. ثم خرج إليّ منكم جنيد متذائب ضعيف (كإنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون)[1].

هكذا كانت عاقبة أمر أصحابه، يستصرخهم لنصرة أخوانهم فلا مجيب

(١) نهج البلاغة محمد عبده حـ ٢ ص ٩٧ ـ ٩٨.

لصرخاته المتكررة. وكأن الدنيا قد حليت بأعينهم. وان الجهاد صار لا أنصار له ولا دعاة. زهدوا في الآخرة، وكأن الدنيا هي الحياة التي يجب أن يسعى لها المسلم المؤمن. أوهم من كانوا يريدون ثواب الآخرة بدون عمل. وان من امتحان الله لأمير المؤمنينعليه السلام ان كانت فترة هؤلاء هي عين الفترة التي كان فيها هذا النموذج المتخاذل الكسول.

كان رسول اللهصلى الله عليه وآله قد اعلمه بهم. فمن قولهصلى الله عليه وآله لعليعليه السلام :

يا علي. كيف أنت إذا زهد الناس في الآخرة. ورغبوا في الدنيا. واكلوا التراث اكلاً . . . . . واحبوا المال حباً جماً، واتخذوا دين الله دغلاً، ومالوا دولاً؟

فأجابه أمير المؤمنينعليه السلام : إذاً اتركهم لدنياهم واذرهم وما اختاروا واختار الله ورسوله والدار الآخرة، وأصبر على ذلك حتى الحق بكم.

وها هو أمير المؤمنينعليه السلام تركهم لدنياهم. وان كان لهم ناصحاً وهاوياً ومنذراً، الا انهعليه السلام ترك حبهم للدنيا واشترى الآخرة.

الإبن الأكبر: وهل يعني ذلك انهعليه السلام حينما تركهم لدنياهم ما كان يتألم إلى ما وصل إليه حالهم؟

الأب: وكيف لا يتألم لحالهم يا ولدي. وهو الذي نذر نفسه للإسلام، الا تذكر ما جاء في حديث الرسولصلى الله عليه وآله : انا المنذر وعلي الهادي. وبك يا علي يهتدي المهتدون. فكيف يهتدي به المهتدون إذا لم يكن له دور كبير في إرشادهم وتعليمهم وترغيبهم وترهيبهم. وهوعليه السلام لحبه للناس ولدين الإسلام والتوحيد كان يتألم كثيراً حينما لا يهتدي للناس لسواء السبيل. ومع تألمه هذا وبسببه كان يقول لأنصاره حينما يبلغ به الألم اقصاه.

أما والله لوددت أن الله اخرجني من بين اظهركم. وقبضني إلى رحمته

من بينكم. ولوددت أني لم اركم ولم اعرفكم.

ما قال لهم ذلك عتباً. بل قاله بعد أن تعب من تأديبهم ووعظهم. كما في حديثه معهم يوماً:

أيها الناس. إني قد بثثت لكم المواعظ التي وعظ الأنبياء بها الأمم. وأديت اليكم ما أدت الأوصياء إلى من بعدهم. وادبتكم بسوطي فلم تستقيموا. وحدوتكم بالزواجر فلم تستوسقوا. لله انتم. اتتوقعون إماماً غيري يطأبكم الطريق. ويرشدكم السبيل...

الإبن الأكبر: اتعبوه حتى تمنى أن يخرجه الله من بين اظهرهم... ويقبضه إلى رحمته؟

الأب: نعم يا ولدي. تمنى أمير المؤمنين عليه السلام فراقهم.

الإبن الأكبر: وكيف استشهد الإمام يا أبي؟

الأب هذا ما سنتحدث به يوم غد إن شاء الله.

«اليوم الثلاثون»

«كيف علم أمير المؤمنين عليه السلام بكيفية شهادته»

حينما يتحدث الأب عن مواقع الألم لآل البيت تراه يتألم لآلمهم ويحزن لحزنهم. وهذا طبيعي من كل مسلم. ولذا نراه اليوم مكتئباً حتى قبل أن يبدأ حديثه. لا شك أن حديث شهادة أمير المؤمنين هي مؤلمة للناس من المسلمين. فمكانته من الله ورسوله الكريم محمد صلى الله عليه وآله مكانة لا تضاهيها مكانة أي مسلم آخر. وان موقعه في قلوب المسلمين المخلصين لا أرفع منها إلا مكانة سيده رسول الله صلى الله عليه وآله، ولهذا الأمر وذاك فكل ألم يتألمه هو ألم للمسلمين جميعاً، وان أي حزن ينتابه فهو حزن للمسلمين جميعاً٨

وحتى الأبناء تجدهم اليوم غير مندفعين لاستعجال الحديث وبدئه، ولكن فجأة ناداهم أبيهم. وما ان حضروا حتى قال لهم: اجلسوا يا أبنائي لأحدثكم كيف علم أمير المؤمنين عليه السلام بكيفية شهادته، فجلس الأبناء ملبين دعوة أبيهم.

فقال الأب: يروى ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعلي عليه السلام يوماً: الا اخبرك بأشد الناس عذاباً يوم القيامة؟ فقال علي عليه السلام: اخبرني يا رسول الله صلى الله عليه وآله، قال النبي صلى الله عليه وآله: اشد الناس عذاباً يوم القيامة عاقر ناقة ثمود. وخاضب

لحيتك بدم رأسك[1].

ومنها فقد علم أمير المؤمنين عليه السلام ان لحيته ستخضب من دم رأسه.

وروي عن ابن نباتة قال: قلت لأمير المؤمنين عليه السلام ما منعك من الخضاب. وقد اختضب رسول الله صلى الله عليه وآله؟

فقال عليه السلام: انتظر اشتاها ان يخضب لحيتي من رأسي. بعهد معهود اخبرني به حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان ذلك في آخر جمعة من شهر شعبان. وقد خطب رسول الله صلى الله عليه وآله فيها. وذكر ما يتعلق بشهر رمضان.

فقام علي عليه السلام وقال: ما افضل الأعمال في هذا الشهر يا رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله: يا أبا الحسن. افضل الأعمال في هذا الشهر، الورع عن المحارم، ثم بكى صلى الله عليه وآله، فقال علي عليه السلام ما يبكيك يا رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله: يا علي، ابكي لما يستحل منك في هذا الشهر، كأني بك وانت تصلي لربك وقد انبعث اشقى الأولين والآخرين. شقيق عاقر ناقة ثمود، فضربك ضربة على قرنك. فخضب منها لحيتك. فقال علي عليه السلام: وذلك في سلامة من ديني؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله: في سلامة من دينك.

ومن ذلك الحديث الشريف فقد عرف أمير المؤمنين عليه السلام ان شقيق عاقر ناقة ثمود سيضربه على قرنه ويخضب بدمه لحيته الشريفة وذلك في شهر رمضان، وهو عليه السلام يصلي لله رب العالمين.

الإبن الأكبر يقول: وهو في سلامة من دينه، كما شهد له رسول الله صلى الله عليه وآله.

الأب: نعم يا ولدي. وهو عليه السلام في سلامة من دينه.

---

(١) العقد الفريد لإبن عبد ربه جـ ٢ ص ٢٩٨.

ومرت السنون وقد حملت معها كثيراً من الأحداث، وكثيراً من حالات الألم لآل البيت النبوي الأطهار. وامتلأت لحية أمير المؤمنين شيباً، ولم يشأ أمير المؤمنين عليه السلام أن يغير لونه. فهو ينتظر بفارغ الصبر ذلك الخضاب الذي سيختم به حياته المباركة ويلقى خالقه. ودليل مكافئة الناس له هو ذلك الخضاب الذي خضبوا به لحيته!!

وفي أيام خلافته عليه السلام، وحين وجد في انصاره ذلك التخاذل وذلك الخمول لنصرة الحق. تمنى ان يفارقهم. كما تمنى أن لم يعرفهم. وقد روي أن في يوم من أيام ألمه الذي اولده ذلك التخاذل عن نصرة الحق. نشر المصحف على رأسه الشريف. ورفع يديه بالدعاء قائلاً:

الهم إني سئمتهم وسئموني. ومللتهم وملوني. اما آن ان تخضب هذه من هذه. (مشيراً إلى هامته ولحيته).

وفي سنة أربعين للهجرة النبوية، ولعشر بقين من شعبان، قدم عبد الرحمن من ملجم المرادي الكوفة. فلما بلغ علياً عليه السلام قدومه قال عليه السلام: اوقد واوفى؟ اما انه ما بقي عليّ غيره. وهذا اوانه[1].

الإبن الأكبر: قول أمير المؤمنين عليه السلام، او قد وافى؟ اما انه ما بقي عليّ غيره. وهذا أوانه. يعني انه عليه السلام كان يعلم من كون ابن ملجم هو شقيق عاقر ناقة ثمود.

وانه عليه السلام كان يعلم ان آخر ابتلاء يبتلى به هو ان يضربه على قرنة. وهذا ما فهمناه من حديثه عليه السلام لرأس اليهود.

وانه عليه السلام يعلم ان اوانه قد حان. وكل ذلك يا أبي هو علم كان الله تعالى قد أمر رسوله الكريم ان يعلمه لعلي عليه السلام، وهذا يعني أيضاً ان الإمام

---

(١) نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة حـ ١ باب الوصايا هامش ص ١٠٧ عن اليعقوبي.

أمير المؤمنين ما هو بالرجل العادي أو الصحابي فقط. وإنما له شأنٌ عظيمٌ أراده له الله تعالى.

الأب: نعم يا ولدي. فالأمر العظيم الذي تعنيه هو انه عليه السلام وصي رسول الله صلى الله عليه وآله. وانه افضل الأوصياء. وكذلك لا تنس فهو الإمام. والإمامة هي من أمر الله تعالى وحكمته وهو جل جلاله الذي يختار للناس اماماً لهم ليكون هادياً ومعلماً وناصحاً. كما كان لهم رسول الله صلى الله عليه وآله.

وروي ان عبد الرحمن بن ملجم المرادي كان قد جاء يوماً الكوفة للبعية. فرده أمير المؤمنين عليه السلام، مرتين او ثلاثاً. ثم بايع فيمن بايع. فلما أدبر عنه. دعاه أمير المؤمنين عليه السلام ثانية فتوثق منه. وتأكد عليه ان لا يغدر ولا ينكث. فقال ابن ملجم(لع) والله يا أمير المؤمنين. ما رأيتك فعلت هذا بأحد غيري.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام بعد ان ذهب ابن ملجم:

أريد حياته ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مرادِ

ويروى أن أمير المؤمنين عليه السلام قال لإبن ملجم (لع: لا أراك الا من شر خلق الله[1].

الإبن الأكبر: ولكن يا أبي. لماذا لم يقتله أمير المؤمنين عليه السلام؟

الأب: وكيف يقتله أمير المؤمنين عليه السلام وهو لم يقترف ذنبه بعد، أيجوز» ذلك يا ولدي.

الإبن الأكبر: نعم يا أبي لا يجوز ذلك.

فقال الأب: لقد قال مثل مقولتك هذه بعض الناس لأمير المؤمنين عليه السلام.

---

(١) تاريخ الطبري حـ ٦ ص ٨٥ والكامل لابن الأثير حـ ٣ ص ١٦٩.

فقال الإبن الأكبر: وكيف ذلك يا أبي؟ وماذا كان جواب أمير المؤمنين عن ذلك؟

الأب: في رواية تقول: ان عبد الرحمن بن ملجم المرادي دخل على أمير المؤمنين عليه السلام في وفد مصر الذي أوفدهم محمد بن أبي بكر. ومعه كتاب الوفد. فلما سمع أمير المؤمنين عليه السلام بإسم عبد الرحمن بن ملجم. قال عليه السلام: انت عبد الرحمن؟ لعن الله عبد الرحمن.

فقال عبد الرحمن (لع): نعم يا أمير المؤمنين. أما والله يا أمير المؤمنين. اني لاحبك.

قال عليه السلام: كذبت والله، ما تحبني. (ثلاثا).

فقال عبد الرحمن (لع). يا أمير المؤمنين. احلف ثلاثة إيمان إني أحبك. وتحلف ثلاثة إيمان اني لا احبك.

قال عليه السلام: ويلك (ويحك). ان الله خلق الأرواح قبل الأبدان بالفي عام. فاسكنها الهواء. فما تعارف هناك ائتلف في الدنيا. وما تناكر منها هناك. اختلف في الدنيا. وان روحي لا تعرف روحك.

قال الراوي وهو من بعض أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام: فلما ولى. قال الإمام عليه السلام: إذا سركم ان تنظروا إلى قاتلي. فانظروا إلى هذا.

قال بعض القوم: او لا تقتله؟

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: ما اعجب هذا، تامروني ان اقتل قاتلي لعنه الله[1].

---

(١) بصائر الدرجات ص ٢٤ وروى هذا الحديث عن الإمام عليه السلام صاحب البحار في الحديث ١٤ من الباب ١٢٦ حـ ٩ ص ٦٤٧.

ثم تابع الأب حديثه قائلاً: اعلموا يا أبنائي أن امير المؤمنينعليه السلام قد بشر محبيهعليه السلام بحبه.

الإبن الأكبر: وكيف بشرهم يا أبي؟

الأب: روي عن الحسن بن الجهم قال: قلت لأبي الحسنعليه السلام: لا تنسني من الدعاء.

فقال له أمير المؤمنين: او تعلم اني انساك؟ قلت: لا. لا تنساني.

فقال أمير المؤمنينعليه السلام: وكيف علمت بذلك؟ قلت: اني من محبيك. وانك تدعو لهم دائماً.

فقالعليه السلام: وهل علمت بشيء آخر غير ذلك؟ قلت: لا.

قالعليه السلام: إذا أردت أن تعلم مالك عندي. فانظر إلى ماليّ عندك.

ومحبي أمير المؤمنينعليه السلام في قلوبهم لأمير المؤمنينعليه السلام وآل بيت النبي الأطهار حباً كبيراً. وهذا يعني أن لنا في قلب أمير المؤمنينعليه السلام مثل هذا الحب.

فقال الإبن الأكبر: جزى الله محمدصلى الله عليه وآله وآل بيته الأطهار عنا الف خير.

الأب وابناءه قالوا: إن شاء الله.

ثم تابع الأب حديثه: حينما بلغ بأمير المؤمنينعليه السلام الحزن من قعود أصحابه عن الجهاد في سبيل الله وتخاذلهم. رغب بفراقهم. وسأل الله تعالى ان يستعجل له في ذلك. لكي يأنس بما وعده ربه جل جلاله. ويرتاح من هم هذه الجماعة التي لا غيرة لها لا على الوطن ولا على الدين ورضوا لأنفسهم الذل والهوان.

فقد روي عن إسماعيل بن عبد الله الصلعي قال: لما كثر الاختلاف بين

أصحاب رسول الله ﷺ ، وقتل عثمان بن عفان . تخوفت على نفسي الفتنة . فاعتزمت على الاعتزال . فتنحيت إلى ساحل البحر فاقمت فيه حيناً لا أدري ما فيه الناس . معتزلاً لأهل الهجر والارجاف . . .

ثم قال في حديثه : فخرجت متوجهاً إلى الكوفة . فامسيت دونها . فبقيت قريباً من الحيرة . فلما اجنني الليل . إذا انا برجل قد اقبل حتى استتر برابية ، ثم صف قدميه فاطال المناجاة . وكان فيما قال :

الهم اني سرت فيهم ما أمرني رسولك وصفيك فظلموني . فقتلت المنافقين كما امرتني فجهلوني . وقد مللتهم وملوني . وابغضتهم وابغضوني . ولم تبق خلة الا المرادي . الهم فعجل له الشقاوة . وتغمدني بالسعادة .

الهم قد وعدني نبيك ان تتوفاني إذا سألتك . الهم وقد رغبت اليك في ذلك .

قال الراوي : ثم مضى . فقفوته ، فدخل منزله . فإذا هو علي بن أبي طالب عليه السلام ، فلم البث إذ نادى المنادي بالصلاة . فخرج واتبعته حتى دخل المسجد . فعممه ابن ملجم (لع) بالسيف[1] .

الإبن الأكبر : حدثنا يا أبي عن كيفية شهادته عليه السلام .

الأب : ستتحدث عنه يوم غد إن شاء الله .

---

(١) نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة جـ ١ من باب الوصايا ص ١١٧ عن كتاب تنبيه الخواطر جـ ٢.

«اليوم الحادي والثلاثون»

«شهادة أمير المؤمنين عليه السلام»

كان الأبناء حاضرين في غرفة أبيهم منتظرين حضوره من خارج الدار. ولم يدم انتظارهم طويلاً، إذ سرعان ما حضر الأب. وجلس مع أبنائه. وقال لهم: سنتحدث اليوم عن شهادة سيد الأوصياء وحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله محمد صلى الله عليه وآله.

ثم تابع الأب حديثه قائلاً: قد علمنا من حديثنا يوم أمس. ان اشقى الأولين والآخرين كانوا اثنين من شر البشر واكثرهم عذاباً يوم القيامة. الا وهما عاقر ناقة ثمود، وعبد الرحمن بن ملجم المرادي الذي ضرب مولانا أمير المؤمنين عليه السلام على قرنه ضربة قاتلة.

وعبد الرحمن بن ملجم من الخوارج. وهم كما سبق وان حدثتكم ممن كانوا يكفرون علياً عليه السلام وكذلك معاوية بن ابي سفيان. وهذا ينسحب على أصحاب أمير المؤمنين وأصحاب معاوية.

وفي سنة تسع وثلاثين من الهجرة النبوية الشريفة حج ناس من الخوارج، ثم اجتمعوا بمكة المكرمة، وتذاكروا أمر المسلمين وعابوهم وعابوا اعمالهم

عليهم. وذكروا أهل النهروان وترحموا عليهم، ثم اتفق ثلاثة منهم وهم: عبد الرحمن بن ملجم المرادي والبرك ابن عبد الله التميمي ومما ذكر ان البرك هو الحجاج بن عبد الله الصريمي[١] وثالثهم عمرو بن بكير. على قتل كل من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ومعاوية بن ابي سفيان وعمرو بن العاص. وحددوا لفعلهم هذا يوماً معيناً وهو ليلة التاسع عشر من شهر رمضان.

فقال عبد الرحمن بن ملجم انا اكفيكم علياً. وقال البرك بن عبد الله انا اكفيكم معاوية. وقال عمرو بن بكير[٢] انا اكفيكم عمرو بن العاص، فتعاهدوا وتواثقوا على الوفاء.

فقدم عبد الرحمن بن ملجم المرادي الكوفة في العشرين من شعبان سنة أربعين للهجرة النبوية الشريفة. قاصداً اتمام ما كان اتفق به مع أصحابه الذين ذهب احدهم إلى الشام حيث معاوية. والآخر إلى مصر حيث كان عمرو بن العاص.

وفي الكوفة، تعرف ابن ملجم على قطام بنت الأخضر من بني تيم الرباب، وكانت من الخوارج أيضاً، وان أباها وأخاها قد قتلا في النهروان. فاعلمها خبره وفرحت به وقدمت له من يساعده على اتمام فعلته. وهو وردان بن مجالد[٣]، ثم تحدث عبد الرحمن إلى شبيب بن بجرة الاشجعي. وبعد محاورة بينهما أجابه شبيب على ذلك، وكذلك كان الأشعث بن قيس قد

---

(١) ذكره كل من أبي الفرج في المقاتل عن أبي مخنف عن أبي زهير العبسي كما وذكره ابن الأثير في الكامل حـ ٣ ص ٩٢٦.
(٢) في الكامل حـ ٣ ص ٩٢٦ ان القائل: انا اقتل عمراً هو زاذوية مولى بني العنبر بن عمر بن تميم.
(٣) ذكر المسعودي انه مجاشع بن وردان.

تواطىء مع عبد الرحمن ابن ملجم على قتل أمير المؤمنينعليه السلام.

فقال الإبن الأكبر: الأشعث بن قيس الذي كان من أنصار أمير المؤمنينعليه السلام. والذي فرض قبول التحكيم على الإمامعليه السلام؟

فقال الأب: نعم. إنه هو يا ولدي. فهو من تواطأ على قتل أمير المؤمنينعليه السلام وابنته جعدة بنت الأشعث. زوجة الإمام الحسنعليه السلام والتي قامت بسمْ الإمام الحسنعليه السلام وابنه محمد بن الأشعث الذي شرك في قتل الإمام الحسينعليه السلام[1].

واتفقوا على ان يقوم عبد الرحمن بن ملجم بفعلته في اليوم التاسع عشر من رمضان سنة أربعين للهجرة، وهو اليوم الذي اتفق به عبد الرحمن مع رفيقيه في مكة.

الإبن الأكبر: وما كان من شأن أمير المؤمنينعليه السلام يا أبي؟

الأب: كان أمير المؤمنينعليه السلام يفطر كل ليلة من شهر رمضان عند احد أبنائه. يفطر ليلة عند الحسنعليه السلام، وليلة عند الحسينعليه السلام، وليلة عند عبد الله بن جعفر الطيار زوج زينب الكبرى بنت أمير المؤمنينعليه السلام. وليلة عند محمد بن الحنيفة[2].

وكانعليه السلام يقضي ليله بين راكع وساجد ومبتهل ومتضرع ومناج. وكان عند فراغه من ذلك يرقد قليلاً.

وفي ليلة التاسع عشر من رمضان كانعليه السلام في دار عبد الله بن جعفر الطيار. فقدمت له زينب الكبرىعليها السلام فطوره في طبق فيه قرصان من خبز

---

(١) هي رواية عن الإمام الصادقعليه السلام ذكرها الشيخ راضي آل ياسين في كتابه صلح الحسنعليه السلام ص ٣٦٥.

(٢) تاريخ ابن الأثير جـ ٣.

الشعير. وقصعة فيها لبن حامض. فأمر الإمام عليه السلام ابنته ان ترفع اللبن. وفطر بالخبز والملح. وحمد الله تبارك وتعالى على ما أنعم عليهم آل البيت النبوي الأطهار. وكان لا يزيد على ثلاث لقم. ويقول حين يُسأل عن سبب ذلك: احب ان يأتيني أمر الله وانا خميص[1].

وفي الليل كان عليه السلام يكثر من الدخول والخروج والنظر إلى السماء ويقول: هي. هي والله الليلة التي وعد فيها حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم يرقد قليلاً، وسرعان ما ينتبه مذعوراً. وينهض ويقول: الهم بارك لنا في لقائك. ويكثر من قول: لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم.. ثم يصلى ويتعبد كما هو شأنه كل ليلة.

ولم يزل عليه السلام كذلك. يخرج بين الحين والآخر يقلب طرفة في السماء وينظر في الكواكب ويقول: والله ما كذبت ولا كذبت. انها الليلة التي وعدت بها... ثم يعود إلى الصلاة ويقول: الهم بارك لي في الموت. ويكثر من قول: إنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. ويصلي على النبي الحبيب محمد صلى الله عليه وآله وعلى آل بيته الأطهار. ويستغفر الله كثيراً.

وانقضى الليل على أمير المؤمنين عليه السلام وهو على هذه الحال. وما ان لاح وقت آذان الصبح. حتى جاءت إليه ابنته زينب عليها السلام، ومعها ماء. فاصبغ الوضوء. ثم قام عليه السلام ولبس ثيابه. وفتح باب المنزل، فتعلق مئزره بالباب فانحل. فأخذه وشده وهو يقول:

اشدد حيا زيمك للموت ... فان الموت لاقيكا
ولا تجزع من الموت ... اذا حل بواديكا
فان الدرع والبيضة ... يوم الروع يكفيكا[2]

---

(١) تاريخ ابن الأثير حـ ٣.

(٢) ذكر سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص ص ١٠٠ هذه الأبيات لأبي عمر بن احيحة بن الجلاح الدوسي الأنصاري تمثل بها أمير المؤمنين عليه السلام.

كـمـا اضـحـكـك الـدهـر ... كـذاك الـدهـر يـبـكـيـكـا
فـقـد اعـرف اقـوامـاً ... وان كـانـوا صـعـالـيـكـا
مـسـاريـع إلـى الـنـجـدة ... لـلـغـي مـتـاريـكـا[1]

كان في الدار شيئاً من الاوز. فلما صار عليه السلام في صحن الدار تصايح الاوز في وجهه، ولما حاولوا أبعادهن قال عليه السلام: دعوهن فانهن نوائح. وقيل: قال عليه السلام: صوائح تتبعها نوائح[2].

خرج أمير المؤمنين عليه السلام. فلما وقف في موضع الآذان إذن، ودخل المسجد وجعل ينبه من بالمسجد من النيام. ثم صار في محرابه فوقف فيه. واستفتح وقرأ. فلما ركع وسجد سجدة، ضربه على رأسه، فوقعت الضربة على ضربة عمرو بن ود يوم الخندق[3].

ويروى ان أمير المؤمنين عليه السلام حينما ضرب قال: فزت ورب الكعبة، ثم نادى بالناس: لا يفوتنكم الرجل.

ويروى انه عليه السلام اقبل ينادي الصلاة الصلاة. فقال الراوي: فما أدري. أنادى أم رأيت بريق السيوف، وسمعت قائلاً: لله الحكم. لا لك يا علي. ولا لأصحابك. وسمعت علياً عليه السلام يقول: لا يفوتنكم الرجل[4].

وذكر سبط ابن الجوزي: وذكر بعضهم أن الأشعث بن قيس كان مواطئاً لهم على قتل أمير المؤمنين عليه السلام. فاجتمعوا في الليل في المسجد. وكان حجر بن عدي نائماً في المسجد. فسمع الأشعث يقول: اسرعوا فقد فضحك الصبح[5].

---

(١) ديوان الإمام علي عليه السلام.
(٢) راجع كامل ابن الأثير وأسد الغابة حـ ٤ ص ٣٦ والمناقب المخطوط لابن حنبل ص ٤٢ والرياض النضرة حـ ٢ ص ٢٤٥.
(٣) مطالب السئول. محمد بن طلحة ص ١٨٤.
(٤) الطبري ٦ ص ٨٤ وابن أبي الحديد ٢ ص ٤٣.
(٥) مروج الذهب ٢ ص ٢٩٠ وتذكرة السبط ص ١٨٦.

وذكر أبو الفرج الأصبهاني في كتابه المقاتل. والشيخ المفيد في الإرشاد: وقد كانوا قبل ذلك القوا إلى الأشعث بن قيس ما في نفوسهم من العزيمة على قتل أمير المؤمنين عليه السلام، وواطأهم على ذلك.

الإبن الأكبر: وهل كان مع ابن ملجم أحد حينما ضرب أمير المؤمنين عليه السلام؟

الأب: كانوا ثلاثة يا بني، عبد الرحمن بن ملجم وشبيب بن بجرة ووردان بن مجالد (مجاشع بن وردان). هم من اقدموا على اغتيال أمير المؤمنين عليه السلام، الا ان ضربة عبد الرحمن ابن ملجم كانت هي القاتلة. اما شبيب بن بجرة فقد أخطأت ضربته الإمام عليه السلام. ووقعت في الطاق.

الإبن الأكبر: وهل امسكوهم ام هربوا؟

الأب: حينما ولى شبيب هارباً تمكن من ان يدخل منزله. فدخل عليه ابن عمه فرآه يحل حريرة كان قد لفّ بها صدره: فقال له: ما هذا؟ لعلك قتلت أمير المؤمنين عليه السلام؟ فأراد أن يقول له لا. فقال: نعم، فقتله ابن عمه[1].

اما وردان: فقد انسل بين الناس وتمكن من الهرب.

وأما إبن ملجم: فقد حاول الهرب. فأدركه المغيرة بن الحرث بن عبد المطلب. وطرح عليه قطيفة، ثم صرعه واخذ السيف من يده. وجاء به.

ثم تابع الأب حديثه: واحاط الناس بأمير المؤمنين عليه السلام بعد أن ضربه ابن ملجم. وشدوا رأسه بردائه. والدم يجري على لحيته الكريمة. وكان عليه السلام يقول: هذا ما وعدنا الله ورسوله. وصدق الله ورسوله.

---

(١) المقاتل لأبي الفرج ص ٣٥ ونور الأبصار للشبلنجي.

وتأخر الإمام عليه السلام عن المحراب. وأمر ابنه الحسن عليه السلام بالصلاة بالناس. فلما فرغ الحسن عليه السلام من صلاته وضع رأس أبيه في حجره. وقال: يا ابتاه... كسرت ظهري... كيف أراك بهذه الحالة.

ففتح أمير المؤمنين عليه السلام عينيه في وجه الحسن عليه السلام وقال: يا بني. لا غم على أبيك بعد هذا اليوم... واغمي على الإمام عليه السلام من شدة الضربة. ولما آفاق عليه السلام قال للحسن والحسين عليهما السلام. احبسوا هذا الأسير. واطعموه. واحسنوا اليه. فإن عشت فانا أولى بما صنع. وإن مت فذلك اليكم. فإن بدا لكم ان تقتلوه فلا تمثلوا به.

الإبن الأكبر: وهل استشهد أمير المؤمنين عليه السلام في ذلك اليوم يا أبي؟

الأب: لا يا ولدي. ضربة ابن ملجم المرادي (لع) في اليوم التاسع عشر من رمضان، فنقل من المسجد إلى بيته. وكان الناس في ذهول شديد. وبكاء مرير حسرة على إمامهم... وانقضى ذلك اليوم وأمير المؤمنين يتلوى من الألم. وذلك لأن الضربة كانت شديدة. والسيف كان مسموماً.

وجمع له اطباء الكوفة فلم يكن احد اعلم بجرحه من أثير بن عمرو بن هانىء السكوني. وكان متطبباً صاحب كرسي يعالج الجراحات. اذ انه حينما نظر إلى الجرح دعا برئة شاة حارة. واستخرج عرقاً منها. فادخله في الجرح. ثم استخرجه، فإذا عليه بياض الدماغ. فقال لأمير المؤمنين عليه السلام: اعهد بعهدك، فإن عدو الله قد وصلت ضربته إلى أم رأسك. فدعا عليه السلام عند ذلك بصحيفة ودواة وكتب وصيته[1].

وروى عن محمد بن الحنيفة قال: لما ضرب عليه السلام بتنا ليلة العشرين من رمضان. وقد نزل السم إلى بدنه عليه السلام، وكان يصلي من جلوس. ولم يزل

---

(١) المقاتل لأبي الفرج ص ٣٨ رواية لعمر بن تميم وعمرو بن بكار.

يوصينا بوصاياه. ويخبرنا بأمره إلى طلوع الفجر. فلما أصبح. استأذن الناس عليه. فأذن لهم بالدخول، فدخلوا عليه. واقبلوا يسلمون عليه. وهو يرد السلام عليهم ثم يقول: ايها الناس، اسألوني قبل ان تفقدوني. وخففوا سؤالكم.

وفي خبر عن الاصبغ بن نباته قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام:

لقد ضربت في الليلة التي قبض فيها يوشع بن نون. ولا قبض في الليلة التي رفع فيها عيسى بن مريم عليه السلام[1].

الإبن الأكبر: وما كانت وصيته عليه السلام يا أبي؟

الأب: كان عليه السلام كثيراً ما يوصي أصحابه وأبناءه ومحبيه خلال فترة حياته. ثم أوصى بعد ان ضربه ابن ملجم بوصايا عديدة منها ما هو خاص ومنها ما هو عام. وكان من بين هذه الوصايا وصية أوصى بها الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام كما رواها القاضي نعمان فقال: عن الإمام السجاد والإمام محمد الباقر عليهما السلام، انهما ذكرا وصية أمير المؤمنين عليه السلام فقالا:

أوصى إلى ابنه الحسن عليه السلام واشهد على وصيته الحسين عليه السلام ومحمداً وجميع ولده ورؤوساء شيعته وأهل بيته ثم دفع الكتب والسلاح إليه ثم قال له:

امرني رسول الله صلى الله عليه وآله ان أوصي اليك. وان ادفع اليك كتبي وسلاحي، كما أوصى إليّ رسول الله صلى الله عليه وآله ودفع اليّ كتبه وسلامه، وأمرني ان آمرك إذا حضرك الموت ان تدفع إلى أخيك الحسين. ثم اقبل على الحسين فقال: وامرك رسول الله صلى الله عليه وآله ان تدفع إلى ابنك هذا ـ ثم اخذ بيد ابنه علي بن

---

(١) المناقب حـ ٣ ص ٩٦ ط النجف.

الحسين وضمه إليه فقال له ـ يا بني أمرك رسول الله ﷺ ان تدفعه إلى ابنك محمد. فاقرأه من رسول الله ﷺ ومني السلام. ثم اقبل على ابنه الحسن فقال: يا بني. انت ولي الأمر. وولي الدم، فان عفوت فلك. وان قتلت فضربة مكان ضربه. ولا تأثم.

ثم كتب عليه السلام كتاب الوصية. . .[1].

الإبن الأكبر: ومتى كان استشهاده عليه السلام يا أبي؟

الأب: سنتحدث عن ذلك يوم غد إن شاء الله.

---

(١) ذكر الوصية كاملة. مع وصايا له عليه السلام أخرى صاحب نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة الشيخ محمد باقر المحمودي حـ ٢ من باب الوصايا ص ٣١٠ ومثلها في حـ ١ من باب الوصايا ص ١٥٩ عن أبي جعفر الصادق عليه السلام وعن سليم بن قيس الهلالي.

«اليوم الثاني والثلاثين»

«يوم الاستشهاد»

قدر آل البيت عليهم السلام ان تكون لكل منهم ساعات ألم وتعب وامتحان. وقدر شيعتهم ان يذكروا هذه الآلام بحسرة وألم ودموع. وان من عطف الله تعالى ورحمته ان جعل لكل من آل البيت ومن شيعتهم جزاء وافراً من النعمة يوم القيامة على ما صبروا وما احتسبوا وما شاركوا به من آلام ودموع.

فالحمد لله دائم النعم. والشكر لله صاحب المنة والعظمة. وحسبنا الله ونعم الوكيل.

هكذا ردد الأب مع نفسه وهو يتهيأ للجلوس مع أبنائه للحديث. وما ان استقر به الجلوس حتى قال:

قال الله تعالى في محكم كتابه المجيد: ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما.

فقال الأبناء وأبوهم معهم: الهم صل على محمد وعلى آل محمد. ثم تابع الأب القول: كما صليت يا رب على إبراهيم وآل إبراهيم.

ثم قال الأب: اعلموا يا أبنائي. ان الله جل جلاله قد أمر المؤمنين

بالصلاة على محمد وآل محمد. وجعل الله لصلاتهم هذه جزاء كبيراً فقال جل جلاله استئنافاً لهذه الآية: ومن يقترف حسنه نزد له فيها حسنا.

وهذا كما لا يخفى فضلاً كبيراً لآل البيت عليهم السلام ورحمة منه جل جلاله عليهم وعلى المؤمنين جميعاً.

واعلموا أيضاً ان ذلك مصدره حب الله تعالى لرسوله الكريم صلى الله عليه وآله، ولآل بيت الرسول الأطهار. فمن حديث لرسول الله صلى الله عليه وآله قال فيه:

الا من مات على حب آل محمد مات شهيداً.

الا من مات على حب آل محمد مات مغفوراً له.

الا من مات على حب آل محمد مات تائباً.

الا من مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة. ثم منكر ونكير.

الا من مات على حب آل محمد يزف إلى الجنة كما تزف العروس إلى بيت زوجها.

الا من مات على حب آل محمد فتح الله له في قبره مزار الملائكة[1].

ونسأله تعالى بحق محمد وآل محمد ان يميتنا على حب محمد وآل محمد. انه سميع مجيب.

ثم تابع الأب حديثه قائلاً:

وعلي عليه السلام يا أبنائي هو عميد آل محمد. كان السم قد أثر في جسمه

---

(١) رواه الزمخشري في الكشاف ٢ ص ٣٣٩ وذكر قريباً منه الحموني الشافعي في فرايد السمطين ٢ ص ٤٩ وعبيد الله الحنفي في ارجح المطالب ص ٣٢٠ والفيروز آبادي في فضائل الخمسة ٢ ص ٧٨ ـ ٧٩ واخرجه الثعلبي في تفسير آية المودة.

تأثيراً كبيراً جراء الضربة التي ضربه إياها عبد الرحمن بن ملجم المرادي (لع). مما جعله يتلوى من الألم. وصار يمد رجلاً ويسحب أخرى. رغم ما عرف عنه من التحمل والصبر. ورغم ذلك الألم فهو دائم الوعض لمن كان موجوداً قربه من الأهل أو الأصحاب أو المحبين، وكان عليه السلام كثيراً ما يوصيهم بالتقوى والصلاح وقراءة القرآن وتأدية ما فرض الله تعالى على عبيده من الأحكام.

وفي ليلة الحادي والعشرين من رمضان، جمع أهل بيته وودعهم ثم قال لهم: الله خليفتي عليكم. وهو حسبي ونعم الوكيل، ثم التفت إلى ولديه الحسن عليه السلام والحسين عليه السلام وقال: يا أبا محمد ويا أبا عبد الله. كاني بكما وقد خرجت عليكما بعدي الفتن من ههنا وهنا، فاصبروا حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين.

يا أبا عبد الله. انت شهيد هذه الأمة. فعليك بتقوى الله. والصبر على بلائه.

وروي عن محمد بن الحنيفة قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام.

يا أبا محمد ويا أبا عبد الله اوصيكما خيراً. فانتما مني وانا منكما.

ثم التفت عليه السلام إلى أولاده الذين من غير فاطمة عليها السلام واوصاهم ان لا يخالفوا اولاد فاطمة عليها السلام. ثم قال عليه السلام: احسن الله لكم العزاء. الا واني منصرف عنكم. وراحل في ليلتي هذه ولاحق بحبيبي محمد صلى الله عليه وآله كما وعدني، فإذا انا مت ـ يا أبا محمد ـ فغسلني وكفني وحنطني ببقية حنوط جدك رسول الله صلى الله عليه وآله، فانه من كافور الجنة. جاء به جبرئيل إليه.

وخفت حركة أمير المؤمنين عليه السلام. وعرق جبينه. فجعل تمسح العرق بيده. فقالت له ابنته زينب عليها السلام: يا ابه. أراك تمسح جبينك؟ قال عليه السلام: يابنية، سمعت جدك رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ان المؤمن إذا نزل به الموت

ودنت وفاته، عرق جبينه. وصاركا لؤلؤ الرطب. وسكن انينه.

وما ان سمعت العقيلة زينب الكبرى ذلك من أبيها حتى ألقت بنفسها على صدره وهي تبكي بكاء شديداً.

ومما روي عن اسماء بنت عميس قالت: كنت عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بعد ما ضربه ابن ملجم (لع) اذ شهق شهقة بعد ان اغمي عليه، ثم آفاق وقال: مرحباً. الحمد لله الذي صدقنا وعده. وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء. فقيل له: ما ترى يا أمير المؤمنين؟ قال عليه السلام: هذا رسول الله صلى الله عليه وآله. وهذا أخي جعفر. وعمي حمزة. وأبواب السماء مفتحة. والملائكة ينزلون علي يبشرونني بالجنة. وهذه فاطمة قد احاط بها وصائفها من الحور العين. وهذه منازلي... لمثل هذا فليعمل العاملون[1].

ومن رواية لمحمد بن الحنفية قال فيها: وما ان افاق عليه السلام من الغيبوبة قال: هذا رسول الله صلى الله عليه وآله، وعمي حمزة، وأخي جعفر. وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وكلهم يقولون: عجل قدومك علينا. فأنا إليك مشتاقون. ثم أدار عليه السلام عينيه على أهل بيته كلهم. وقال:

استودكم الله جميعاً، وسددكم جميعاً، خليفتي عليكم الله. وكفى بالله خليفة.

ثم قال عليه السلام: وعليكم السلام يا رسل ربي...

ثم قال عليه السلام: لمثل هذا فاليعمل العاملون. ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون.

وما زال عليه السلام يذكر الله جل جلاله. ويتشهد الشهادتين... ثم استقبل القبلة. وغمض عينيه. ومدد يديه ورجليه. وقال عليه السلام: اشهد إن لا إله إلا

(١) المستطرف في كل فن. شهاب الدين أحمد الأبشيهي حـ ٢ ص ٢٨٢ طبع القاهرة ١٩٣٣.

الله وحده لا شريك له. واشهد ان محمداً عبده ورسوله.

ثم قضى أمير المؤمنين عليه السلام نحبه... والسلام عليه يوم ولد... ويوم مات... ويوم يبعث حياً. وجزاه الله تعالى عنا كل خير. ان الله سميع مجيب.

صرخت زينب عليها السلام وأم كلثوم وجميع نسائه... وبكى الكل بكاء شديداً مريراً.. فقد فقدوا حبيباً لله ورسوله كان بين ظهرانيهم. بكوا لفقد الوالد الحنون. وفقدوا الخليفة العادل العابد الناصح الهادي... وفقدوا الإمام والأمان لهم من الضلال... وارتفعت الصيحة... وعلا البكاء. وضجت الطرقات بالعويل والألم والحسرة. وبكى كل من في الكوفة... واقبل الرجال والنساء والأطفال يهرعون افواجاً.. وعلى وجوههم بان ذهول كبير. وسخت العيون بكل ما فيها من دمع وعلا النحيب وكان مصدره القلب والجوارح والضمير. وتمنى الكل لو كان فداء له. غير ان في ذلك ارادة الله تعالى. فصبراً جميلاً والله المستعان.

فتهيّأ أولاد أمير المؤمنين عليه السلام لتجهيزه. ثم نادى الإمام الحسن عليه السلام بأخته زينب. وقال لها: يا اختاه، هلمي بحنوط جدي رسول الله صلى الله عليه وآله فبادرت عليها السلام مسرعة حتى أتته به. فلما فتحه فاحت منه رائحة زكية عمت الدار وانتشرت في أجواء الكوفة...

وبعد تغسيل جسده الطاهر حنطوه. ولفوه بخمسة اثواب. ثم وضعوه على السرير. وتقدم الحسن والحسين عليهما السلام. فحملا... وابتعدوا عن الكوفة... وكان ذلك ليلاً. وقصدوا أرض الغري... حيث مثواه الأخير.. كما أوصى عليه السلام، وكما حدد لهم المكان...

السلام عليك يا أمير المؤمنين.

السلام عليك يا سيد الوصيين.

السلام عليك يا خير من ترك رسول الله ﷺ من بعده.

والسلام على ضجيعيك آدم ونوح عليهما السلام.

والسلام على جاريك هود وصالح عليهما السلام.

والسلام عليكم يا ملائكة ربي المحيطين بقبر أمير المؤمنين. ورحمة الله وبركاته.

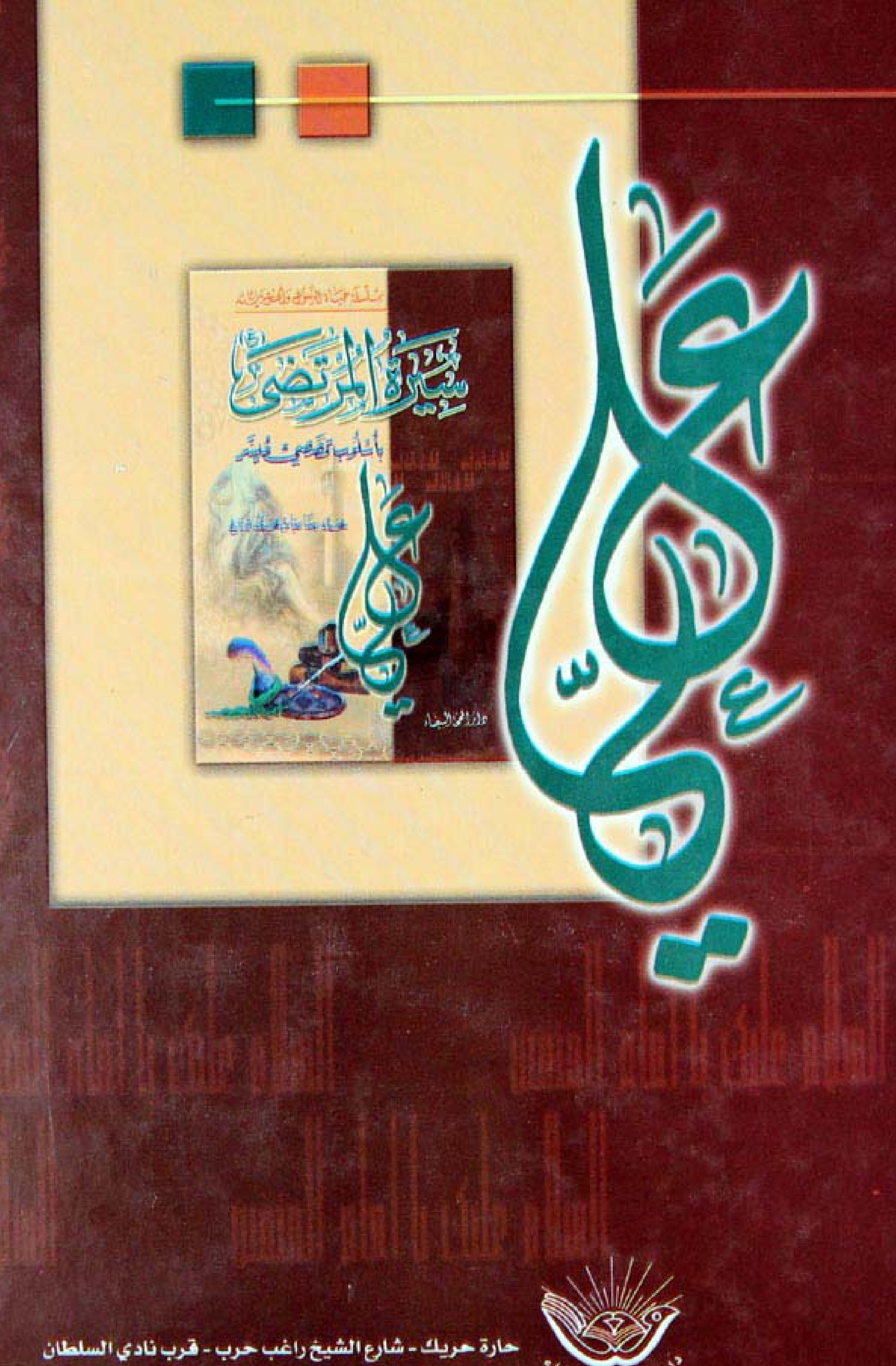
وكانت وفاته عليه السلام في اليوم الحادي والعشرين من شهر رمضان سنة أربعين للهجرة النبوية الشريفة. وكان عمره عليه السلام خمساً وستين سنة وفي رواية ثلاث وستين. كانت منها مع النبي ﷺ خمس وثلاثون سنة. وبعده ثلاثون سنة. ودفن في ظاهر الكوفة بالغري[1] عند النجف التي شرفها الله تعالى ان حوت بين طياتها وصي رسول الله ﷺ وزوج الزهراء الطاهرة عليها السلام وأبو الحسنين سيدي شباب أهل الجنة.

فقال الأبناء لأبيهم: جزاك الله تعالى عنا خيراً يا أبي.

«والحمد لله رب العالمين»

(١) نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة. محمد باقر الحمودي جـ ١ من باب الوصايا هامش ص ١٥٥.

الفهرست



دار المحجة البيضاء
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

حارة حريك - شارع الشيخ راغب حرب - قرب نادي السلطان

ص.ب: ٥٤٧٩ / ١٤ - هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧

E-mail:almahajja@terra.net.lb

www.daralmahaja.com - info@daralmahaja.com